صبري ابو المجد



المكتبة العربية

— ٣ —

ثــورة أفــريقيـــا

صـــبرى ابـو المجـد

صبري أبو المجد

ثورة أفريقيا



التضامن الأفريقي الأسيوي

للسيد الرئيس جمال عبد الناصر

ان مؤتمر آسيا وافريقيا انما هو تأكيد لمؤتمر باندونج الذى اشتركنا فيه وتضامنا من أجل تثبيت مبادئه . هذه المبادىء التى آمنتم بهـا والتى آمنت بها شعوب آسيا وافريقيا والتى آمنت بها الشعوب الحرة فى جميع أرجاء العالم ــ هـذه المبادىء التى تعبر عن تقرير المصـير والتى تعبر عن الحرية والمساواة ، والتى تعبر عن التضامن للعمل من أجل الاستقلال ومن أجل تثبيت الاستقلال ، والتضامن من أجل التنمية الاقتصادية ومن أجـل التطور الاجتماعى لجميع الشعوب الاسـيوية الافريقية .. كل ذلك تحت أسس أعلنها مؤتمر باندونج وهى مبنية على الاحترام وعلى أن لكل دولة الحق فى أن تتخذ لنفسها المبادىء السياسية والمبادىء الاجتمـاعية التى تراها ــ هذه المبادىء التى أعلنت فى باندونج والتى تقول أن لا تستخدم الدول الكبرى الدول الصغرى لتحقق أمانيها ولتحقق سياستها .. هذه المبـادىء التى أعلنت فى اندونج والتى أعلنت المساواة بين الدول كلها الكبـير منهـا والصغير .. هذه المبادىء التى أعلنت فى باندونج وعبرت عن أمل الشعوب فى التعايش السلمى وفى العمل من أجل السلام ..

ونحن اليوم أيها الشباب .. شباب الجمهورية العربية المتحدة .. بعـد أن حاربنا المعركة المريرة والمعركة الكثيرة من أجل الاستقلال ، ومن أجـل الحصـول على الاسـتقلال ، فاننا نشعر أن أمامنـا مسئوليات كبـار ومسئوليات عظمى نحو وطننا ونحو البلاد التى نشعر أن هناك رابطـــة تربطنا بها . نشـعر بهذا من كل قلوبنا ومن كل أرواحنا .. واذا كنا حاربنـا

معركة الاستقلال واستشهد منا الكثير فاننا قد صممنا على أن نكافح بكل قطرة فى دمائنا وبكل نفوسنا من أجل تثبيت هذا الاستقلال ومن أجل حماية هذا الاستقلال ..

ان الشباب الذين قاتلوا على مر السنين وعلى مر الأيام ليحققوا لبلادهم الحرية والاستقلال .. الشباب الذى لم ييأس أبدا رغم الاستعمار ، ورغم قوات الاستعمار ، ورغم جيوش الاستعمار ، وخرج دائما وهو عارى الصدر ولا يتسلح الا بالايمان ليحارب الاستعمار ويحارب القوة الغاشمة ولم يهب الموت ولم يهب الاستشهاد .. هذا الشباب الذى يشعر اليوم بحلاوة الاستقلال والذى يشعر اليوم بحلاوة السيادة والذى يشعر اليوم بحلاوة الحرية ، آلى على نفسه أن يحمى هذا الاستقلال وأن يحمى هذه الحرية — هذا الشباب الذى يحمى الاستقلال والذى يحمى الحرية من أجل خلق مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى تسود فيه العدالة والحرية والمساواة ، يشعر أيضا أن عليه واجبا كبيرا من أجل التنمية الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة ومن أجل رفع مستوى المعيشة لجميع أبنائها .. لقد فاتنا الكثير فى السنين الماضية حينما كنا نرزح تحت السيطرة الاستعمارية ونرزح تحت الاحتلال .. وفاتتنا فرص كبيرة من أجل تنمية بلادنا ومن أجل تطور اقتصاد أوطاننا .. وفاتنا فرص كثيرة من أجل العمل على رفع مستوى المعيشة بين أبناء وطننا ، ومن أجل اقامة مجتمع ترفرف عليه الرفاهية والمساواة . واليوم بعد أن حققنا الحرية وبعد أن تخلصنا من الاستعمار وبعد أن تخلصنا من أعوان الاستعمار .. اننا اليوم نشعر أننا اليوم نشعر أننا نستطيع أن نعمل بحرية وبعزم من أجل بناء هذا الوطن — بنائه اقتصاديا وبنائه اجتماعيا وبنائه ثقافيا .. حتى نعوض ما فات وحتى نرفع مستوى المعيشة بين ربوع هذا الوطن.

.. هـذه أيها الاخوة هى رسالتكم .. رسالة شباب الجمهورية العربية المتحدة من أجل الجمهورية العربية المتحدة .. العمل من أجل الاستقلال ثم العمل من أجل حماية هذا الاستقلال ، ثم العمل بكل قوة فى سواعدنا من أجل بناء وطننا حتى نستطيع أن نحرر الاقتصاد الوطنى وحتى نستطيع أن نطور اقتصادنا وحتى نرفع بين ربوع هذا الوطن راية المجتمع السليم الذى يشعر بالعدالة والحرية والمساواة ..

هذه أيها الاخوة هى رسالتكم ، من أجل الجمهورية العربية المتحدة وانا اليوم ونحن نحتفل بهذا العيد ، عيد الشباب ، بعد أن قامت الجمهورية العربية المتحدة لاول مرة ـــ ونشعر بحلاوة الوحدة وحلاوة الانتصار الذى حققه الشعب العربى من أجل وحدته ومن أجل حريته ـــ وقد قلت لكم أيها الاخوة دائما أن القوة هى سبيل الوحدة وأن الوحدة هى سبيل القوة .. واننى أقول لكم اليوم أيها الاخوة ، أيها الشباب : ان الوحدة لها مشاكلها وكذلك التجزئة والتفتت لها مشاكلها .. أما مشاكل التجزئة ومشاكل التفتت فهى السيطرة الاجنبية على مقاديرنا وعلى أجزاء متفرقة من بلادنا ـــ أما مشاكل التجزئة ومشاكل التفتت فهى سيطرة وتحكم واستعمار واحتلال ـــ وقد لاقت الامة العربية الاحتلال والاستعمار والسيطرة والتحكم بعد أن جزءوها وفرقوا بين أبنائها وأقاموا بينهم الدس والفتنة حتى يتصارعوا وحتى يتشابكوا وحتى تقوم الفرصة للطامعين فينا حتى يتحكموا فينا ويسيطروا على بلادنا ويتحكموا فى الامة العربية .. وبعد هذا أيها الاخوة شعرت الامة أن سلاحها ضد السيطرة وضد الاستعمار وضد التحكم وضد الغزو هو الوحدة والتضامن والاتحاد فآمن العرب فى كل مكان أن لابد للعمل من أجل الوحدة ولابد للعمل من أجل التضامن ولابد للعمل من أجل الاتحاد .. وكانت ثمرة هذا الجهاد

الطويل هى جمهوريتكم الجمهورية العربية المتحدة .. هذه الجمهورية أيها الاخـوة التى قامت بين أرجاء الامة العربية لترفع راية الاسـتقلال ، فان الاستقلال هو أول خطوة نعمل من أجل تحقيقها حتى يكون هناك اتحاد .. ان الاستقلال هو أساس التضامن الحقيقى لانه لا تضـامن اذا كانت الامة العربية تخضع أجزاء منها لادارات متفرقة وتمثل الاستعمار وتمثل السيطرة وتمثل الاستبداد وتمثل التحكم وتمثل هؤلاء الذين يريدون أن يسيطروا على بلادنا لينهبوا خيراتها من أجلهم ومن أجل السيطرة علينا ومن أجل أن تعود عليهم فائدة الخيرات ..

كانت الوحدة أيها الأخوة هي السبيل الذى رآه العرب فى كل مكان للاستقلال وللحرية ، وكان التضامن هو السبيل الذى رآه العرب فى كل بلد عربى للحفاظ على الاستقلال ولحمايته من الطامعين فينا ولحمايته من المستبدين ، وكانت معركة بورسـعيد أيها الشباب هى المثل الواضح والمثل الكبير لكفاح الشعب العربى وكفاح الأمة العربية .. كانت بورسعيد هى مثل الوحدة وهى مثل الاتحاد وهى مثل التضامن .. كانت بورسعيد هى المثل الحى الذى أثبت للعالم أجمع أن تضامن الأمة العربية لابد أن ينجح ولا بد أن يهزم الدول الكبرى ولا بد أن يهزم العدوان ..

إلى اخوتى فى أفريقيا وآسيا

أكتب هذه الصفحات وأنا فى طريقى إلى كوناكرى للاشـــتراك فى مؤتمر الشعوب الأفريقية الاسيوية الذى يعقد هناك .

أكتب هذه الصفحات للأخوة فى أفريقيا وفى آسيا ... للشيوخ والشباب ، للرجال وللنساء ...

أكتب هذه الصـفحات لأولئك الذين أذلهم وأذل آباءهم من قبلهم الاستعمار ، والاستغلال والسيطرة الأجنبية .

أكتب هــذه الصفحات للاخوة الذين تحرروا من قيود الاستعمار والاستغلال . . والذل والعبودية .. وأكتبها للذين لم يتحرروا بعد من قيود الاستعمار والاستغلال والذل والعبودية .

أكتب هذه الصفحات للاخوة الذين يكافحون ويناضلون ويدفعون من دمائهم وأعصابهم وأموالهم وأرواحهم الشىء الـكثير للتخلص من الاستعمار والاستغلال ، والذل والعبودية .

أكتب هذه الصفحات وأنا أتصور تلك القارة — التى أطلق عليها الاستعمار فيما مضى القارة المظلمة — وقد أصبحت قارة المستقبل ، يشع منها النور ، كما كان يشع منها من قبل . . ويشيع فيها السلام كما كان يشيع فى الماضى .

أتصور هذه القارة وقد تحررت من كل ألوان العبودية والاسترقاق والتمييز العنصرى — أتصورها وقد أصبحت أمورها بأيدى أبنائهـا

البررة بها المخلصين لمـــا التفانين فى سبيل إسعادها ، وإنهاض شعوبها .

أتصورها وقد قضت على كل معاقل الاستعمار ، وجيوبه الخلفيـة التى ترك فيها جراثيمه وسمومه .

أتصور القارة الأفريقيـــة وقد طردت الرجل الأبيض الذى احتلها وأذلها .. وقضى على كل مقدراتها وإمكانياتها .

أتصورها وقد أصبحت تلعب الدور الخطير الذى كانت تلعبه فى الماضى فى خدمة الإنسانية .

تصورها وقد اصبحت تمسك بيدها ميزان القوى وتحمل راية الحياد بين معسكرى الشرق والغرب .

أتصور أفريقية ، وقد راحت تزيح بقوة الـــكابوس الاستعمارى الثقيل الذى ظلت ترزح تحت أعبائه مئات السنين ..

أتصور أفريقية وقد أصبحت للأفريقيين . . وأتصور آسيا وقد أصبحت كلها للأسيويين . ثم أتصورهما معا وقد حملا مشعل الحضارة والمدنية كما حملاه معا منذ آلاف السنين .

وأسائل نفسى : هل كنت أحلم وأنا أتصور ذلك المستقبل الزاهر المشرق لأفريقية ، وآسيا . . هل كنت أحلم ، أم كنت أتصور الحقيقة ؟.

وأعود إلى الماضى منذ أن التقينا — آسيا وأفريقيا — فى باندونج والقاهرة ، وأكرا .

ثم أعود إلى الحاضر فأجد تلك الصور الجميلة الرائعة من صور التعاون الأفريقى الآسيوى .

أعود إلى ذلك الإيمان العميق الذى امتلأت به شعوبنا فى آسيا وأفريقية ... الإيمان بالكفاح المشترك والهدف المشترك والعدو المشترك . .

ثم ألقى نظرة عابرة على الحركات الوطنية التى تنبعث اليوم فى جنوب أفريقية ، ووسط أفريقية وغرب أفريقية ، وكل مكان لم يتحرر بعد من القارة الأفريقية .

وأتأكد أننى لم أبالغ . . ولم أحلم يوم تصورت ذلك المستقبل المشرق للقارتين الشقيقتين أفريقية وآسيا .

لقد أخذت القارتان منذ اللقاء فى باندونج تعملان عملا سريعاً وحاسمة للقضاء على كل مقومات الاستعمار فى أفريقية وأسيا .

أخذت القارتان — أفريقيا وآسيا — تعملان معا لبناء مستقبل شعوبهما على أساس من الحريه الحقيقية والاشتراكية الوطنية .

ولم تستطع قوى الشر بالرغم من جبروتها : وعنف الاساليب التى اتبعتها أن توقف عجلة الزحف الأفريقى الأسيوى .

ولم يستطيع عملاء الشر بالرغم من دناءة الأساليب التى اعتمدوا عليها للتفرقة بين أبناء الوطن الواحد ، وأبناء المنطقة الواحدة ، وأبناء القارة الواحدة وأبناء القارتين الشقيقيين ، لم يستطع عملاء الشر أن يقضوا على الحركات التحررية التى رفعت فى كل مكان من آسيا . وأفريقية . . راية الحرية . . والعدالة . . والمساواة .

إننا فى أفريقية وفى آسيا نختلف فى اللون ونختلف فى العقائد ونختلف فى النظم الاجتماعية والسياسية ، ولكننا نتفق معاً فى كراهيتنا للاستعمار . . . نتفق معاً فى رغبتنا الأكيدة فى التخلص من كل أثر للاستعمار . . نتفق معا فى أن عدونا المشترك هو الاستعمار . وأن الخطوة الأولى التى نخطوها نحـــو المستقبل الزاهر هى القضاء على الاستعمار . .

وقد أكدت السنوات الخمس الماضية التى أعقبت لقاءنا فى باندونج أن نمو العلاقات بين الشعوب الأسيوية والأفريقية قد وصل إلى درجة أقلقت الاستعمار وجعلته يضاعف مؤامراته وحملاته .

وقد أكدت السنوات الخمس الماضية التى أعقبت لقاءنا فى باندونج أن كل شر يصيب شعباً من الشعوب الأفريقية الآسيوية يصيب كافة الشعوب الأفريقية الآسيوية . وأنه كل خير يصيب شعباً من الشعوب الأفريقية الآسيوية ، يصيب كافة الشعوب الأفريقية الآسيوية .

وقد أكدت السنوات الخمس الماضية أن مؤامرات الاستعمار ، ومناوراته وقد أصبحت مكشوفة ، تعتمد على القوة ، كما تعتمد على الوقيعة ... تعتمد على الاستعماريين كما تعتمد على العملاء .

وتجاربنا خلال السنوات الماضية أكدت لنا أن العدو لن يستطيع النفاذ إلى صفوفنا إلا عن طريق عملائه وأذنابه . ولذلك فإن معركتنا مع الأذناب يجب ألا تقل عنفاً عن معركتنا مع الاستعماريين أنفسهم ... إننا يجب أن نحارب عملاء الاستعمار بنفس القوة التى نحارب

بها الاستعماريين أنفسهم وهذا هو حجر الأساس الذى نعتمد عليه فى سياستنا التحررية . حرب ضد الاستعمار وضد عملاء الاستعمار . ثورة ضد الاستغلال وثورة ضد عملاء الاستغلال .

بقيت كلمة أقولها وأنا أختتم هذه الإفتتاحية لكتابى « ثورة أفريقية »

وأسوق هذه الكلمة إلى الإخوة الذين خدعتهم الصهيونية ببريقها فى غانة وغينيا ونيجيريا وبعض أجـــزاء الصومال ـ بل .. وبورما ن الصهيونية تحاول أن تتسلل الى صفوف الوطنيين فى أفريقيـة وآسيا أنها — والاستعمار يساندها ويحالفها — تعمل كل ما تستطيع عمله لكى تنفذ إلى اقتصاديات كثير من البلاد الأفريقية الاسيوية .

أن الصهيونية والاستعماو هما العدوان الرئيسيان لنا .. والاستعمار يعتمد على الصهيونية والصهيونية لاتستطيع أن تعتمد إلا على الاستعمار وواجبنا جميعاً .. واجبنا كلنا فى آسيا وافريقية .. واجبنا كحاكمين ومحكومين .. واجبنا أن نتنبه إلى هذا الخطر المحدق بنا جميعا .. واجبنا أن نحول دون سيطرة الصهيونية ومؤمراتها الاستعمارية ضد اقتصادياتنا وضد سياستنا وواجبنا أن نحول بكل ما نستطيع من وسائل أن نمكن الاستعمار الصهيونى منا .. وان ندخله بين صفوفنا

لقد أخطأنا نحن العرب من قبل عندما استهنا بخطورة إسرائيل .

ونحن ندفع اليوم — كما قلت فى فصل من فصول هذا الكتاب — ثمن هذا الخطأ من دمائنا ، وأقواتنا .. ومستقبل حياتنا .

لقد جربنا خطورة إسرائيل ، على إقتصادياتنا · وخطورة إسرائيل على مستقبلنا جربنا خطورة إسرائيل على حياتنا طوال السنوات العشر الماضية ونحن عندما ننادى الشعوب الأفريقية الأسيوية بأن تناضل ضد الخطر الصهيونى لا نقول ذلك لأننا عرب فى حالة حرب مع إسرائيل بل لأننا سبق أن إكتوينا بنيران هذه الجرثومة الصهيونية . ولأننا لقينا من مساوىء الصهيونية وآثامها ما لم يلقه شعب من الشعوب ·

فلتستفد الشعوب الأفريقية والأسيوية من تجاربنا . . ولتبذل كل ما تستطيعه من جهود لكى تقضى على هذا الخطر المحدق بها ·

إننا هنا فى القاهرة ننادى الأشقاء من أبناء أسيا وأفريقية : لقد قرر الاستعمار أن يرحل عن القارتين أسيا وأفريقية قرر أن يفعل ذلك مجبراً أمام الضربات القوية العنيفة التى كالتها له الشعوب الأفريقية قرر الرحيل ولكنه قرر فى نفس الوقت أن يترك لنا إسرائيل لتحقق ما لم يستطع تحقيقه .. ولتنفذ من الخطط والأهداف الاستعمارية ما لم يستطع تنفيذه .

ولكنه سيرحل . .

وسترحل معه كل الجيوب الصهيونية التى تركها · :

سيرحل الاستعمار وأذنابه وسنبقى نحن أحرارا فى بلاد حرة

ابريل سنة ١٩٦٠ صبرى أبو المجد

هذه أفريقية

هذا الكتاب ، بالرغم مما لاقيت فى سبيل إعداده من أقرب كتبي إلى قلبي ، فقد عشت فيه خمس سنوات كاملة ، أغدو وأروح وموضوعه فى ذهنى . . . وأصبح وأمسى والأمل فى إخراجه بالصورة التى ارتضيها له يشغل بالى وتفكيرى . . ومع كل ذلك فلم يخرج على النحو الذى ارتجيته له ، مما حدا بى إلى التمثل بقول ناى تنج الذى نشر فى القرن الثالث عشر كتابه عن تاريخ الكتابة الصينية بعد مجهود استمر سنوات عديدة وقال عنه : لو كنت أنتظر لكتابى الكمال لما فرغت منه إلى الأبد » . .

***

بدأت أفكر فى موضوع هـــذا الكتاب فى الثامن عشر من شهر ابريل سنة ١٩٥٥ ، وذلك عند ما التقت شعوبنا الأفريقية الأسيوية لقاءها الأول ، الحار ، الحلو ، فى باندونج ، وعندما وقف قائدنا جمال عبد الناصر يقول : لقد تخلصنا من عهد طال أمده كنا فيه تحت تأثير نفوذ أجنبي فى شئوننا الاقتصادية والسياسية على السواء وتواجهنا الآن مشاكل النهوض الاقتصادى ، والتطور الاجتماعى والسياسى ، فليس بعجيب أن تقرب هذه الأمور بعضنا من بعض فنشعر بشعور واحد وهو ما يبدو جليا فى وجهات نظرنا نحو السلم العالمى والعدالة الدولية ، إن التعاون بين الشعوب الأسيوية والأفريقية ليس عاملا على تخفيف حدة التوتر الدولى القائم فحسب ؛ بل هو دواء لتلك الدول التى تمثل القارتين — وسكانهما أكثر من نصف سكان العالم — ودفعها إلى التقدم وتحقيق مستوى معيشة أرفع وتحقيق هذا الغرض كما لا يخفى لازم لهدف تال وهو السلم العالمى ، فليس معنى السلم مجرد لاحرب بل إنه يستوجب جهوداً متضافرة متواصلة لتهيئة جو من الاستقرار السياسى والنمو الاقتصادى والعدالة الاجتماعية وكلها مقومات لا غنى عنها لإنشاء مجتمع عالمى سليم » . .

وبرزت فى هذا المؤتمر — مؤتمر باندونج — الشخصية الإفريقية ، بروزاً تاماً لأول مرة ، وأصاب المؤتمر الكثير من النجاح والتوفيق بالرغم من مؤامرات الاستعمار وأذناب الاستعمار ، وعملائه وكان النجاح والتوفيق يعدان — كما قال نهرو — نجاحاً

شخصياً للرئيس جمال عبد الناصر ، ذلك أن سيادته كان رئيساً للجنة التي تعد مسئولة عن أصعب لجان المؤتمر ، وأشقها وأدقها وهي اللجنة الخاصة ببحث وسائل اقرار السلام في العالم . ولقد انقسمت اللجنة إلى معسكرين كانت الثقة بينهما منعدمة من غير شك ، فكان هذا في مقدمة العوامل التي تنذر المؤتمر بالخيبة والفشل الذريع ولكن اللجنة وفقت في النهاية وأصابها النجاح ، فتوصلت إلى اتفاق يرجع الفضل فيه بلا مراء إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، واتساع أفق تفكيره وكان أن أدى ذلك إلى أن يحالف النجاح والتوفيق المؤتمر كله . . »

ويمضي نهرو في حديثه عن نجاح مؤتمر باندونج فيقول :

« وكذلك كانت الحال في اللجنة التي عهد إليها البحث في مشكلات الشعوب التي لاتتمتع بالحكم الذاتي ، فقد وقعت أيضاً أزمة أوشكت معها اللجنة أن تنتهي إلى إصدار بيانين متضاربين متعارضين ، وكادت تقع مهزلة فاضحة لولا تدخل الرئيس جمال عبد الناصر الذي أمكنه بثاقب نظره أن يسد الثغرة بين كتلتين تتخاصمان وتتشاجران وبفضل ذلك وحده استطاعت اللجنة أن تجتاز الأزمة إلى اتفاق بالإجماع . . »

ونجحت شعوب آسيا . .

ونجحت شعوب أفريقية .

وسارت كلها في طريقها إلى التحرر . .

وهبت الشعوب الأفريقية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، ومن أقصى الشرق إلى أقصى الغرب تعمل على استخلاص أرضها .. واسترداد حرياتها واستغلال خيراتها . . وطرد العدو من كافة أرجائها . . .

وأخذت القارة الإفريقية — كما قالت أخيراً مجلة نيوزويك الأمريكية — « تسير نحو الاستقلال والتحرر من الاستعمار . وأصبحت نهضتها هي أعظم أحداث القرن العشرين كما يعتبرها بعض الساسة العالميين . . »

وانتهى كما قال تريجفي لي — السكرتير السابق للأمم المتحدة — عهد الرجل الأبيض في آسيا ولم يبق سوى أفريقية . وها هي ذي الأخيرة قد أخذت تفيق من سباتها وتطالب بحريتها حتى تلحق بركب الحضارة الذي يعمل الاستعمار على تعطيل سيره » . .

وامتلأت القارة الأفريقية — كما قال الصحفى الأمريكى جون جنتر — بالحركات الوطنية . . » وإذا كان لإفريقية قاسم مشترك فإنما هو الرغبة الكامنة أو البادية فملا لدى غالبية الأفريقيين فى تخليص أنفسهم من القهر . . وأصبحت أيام تحكم البيض المطلق ، وسيطرتهم التى لا ترحم معدودة فى كل الأحوال فى القطاع الأكبر من القارة الأفريقية » .

ودبت كما يقول — بازيل دافيدسون — فى الشعوب الأفريقية صحوة تشمل الطريقة التى تقوم عليها حياتهم والطريقة التى يحبون أن يقيموا عليها هذه الحيـاة . . أنها رغبة متعددة الجوانب تستهدف اللحاق بركب العالم الحديث ، ووضع نهاية للذلة والخنوع ، وبداية عهد من الحرية والمساواة . . » .

وطرأت كما يقول الـكاتب الهندى — إيفان يوتنجن — على أفريقية تغييرات كثيرة وشمال القارة الآن يمثل شيئاً كبيراً من هذا التغيير فإن أكبر الدول العربية تلعب دوراً بارزاً يزداد على مر السنين فى المنطقة كلها كما أن ليبيا وتونس ومراكش نالت جميعها استقلالها وظهرت حديثاً جمهورية السودان فى الجزء الأوسط من وادى النيل وأصبح صانعو الخرائط اليوم سواء أرادوا أم كرهوا يلونون جزءاً كبيراً من خريطة أفريقية بلون مخالف لـما كانوا يستعملونه من قبل وهذا شىء سيستمرون فى عمله دون توقف ، فالمجاهدون الجزائريون يكافحون كفاحاً مريراً ليجلوا المستعمر عن بلادهم . و . و . و . ان حركات شعبية استقلالية تجتاح اليوم أفريقية وهى وأن اختلفت من بلد إلى آخر فى درجة نضوجها ، وطبيعتها إلا أنها تـكتسب على مر الأيام قوة وانتشاراً » .

* * *

وإذا كانت انتفاضة الشعوب الأفريقية قد آتت ثمارها فى أعقاب مؤتمرات باندونج والقاهرة وأكرا ، وإذا كانت هذه الشعوب قد وفقت إلى إحراز مكاسب شعبية ضخمة وإذا كانت هذه الشعوب قد سارت قدماً فى طريق حريتها وفى طريق وحدتها فإن الاستعمار الذى اختلف حول نفسه ، وحول أغراضه وأهدافه المتباينة ، فإنه هو الآخر ، قد أفاق من هول الصدمة الـكبرى التى منى بها فى أفريقية . وراحت

ريطانيا وفرنسا وبلجيكا. تستنجد بالولايات المتحدة الأمريكية.وراحت هذه الأخيرة تستخدم وسائل استعمارية جديدة تختلف فى الشكل،وفى الصفة وتتفق فى الموضوع عن تلك الوسائل التى لجأ إليها الاستعمار الانجليزى . . والفرنسى ، والبلجيكى ، فى السنوات الماضية . . وراح كتاب الغرب وساسته ، ينادون بأن أفريقية هى جهتنا الأخيرة — لقد فقدنا — كما يقول جون جنتر — معظم آسيا . . أما أفريقية فباقية إن أفريقية هى أثمن غنيمة على الأرض ، مفتوحة كالفراغ وتكاد تكون محرومة من الدفاع الكامل » . .

وراح دالاس يصرح : « يمكن لأفريقيا أن تغنى أوروبا الغربية كلها عن الاعتماد على موارد أوروبا الشرقية وهو هدف يجب أن يتحقق » .

وراحت الصحف البريطانية — وفى مقدمتها نيوز كرونيكل — تنادى : « لقد أقامت بريطانيا إمبراطوريتين عظيمتين فى أمريكا والهند ثم فقدتهما . . غير أنها ترى الآن أن ما لديها من الفرص يتيح لها أن تتطلع إلى إقامة امبراطورية ثالثة فى أفريقية تكون أعظم إمبراطورياتها » .

وراحت صحيفة ريفيو اوف ورلد أفيرز تقول : إن السبيل الوحيد الذى يهيىء عملا ضخما هو أن تتضامن أمريكا وبريطانيا ودول الكومنولث والدول الاسكندنافية وسويسرا وهولندا وبلجيكا وفرنسا وإيطاليا والبرتغال وأسبانيا وتوحد جهودها فى سبيل تحقيق ثلاث غايات هى تنمية القارة الأفريقية واستعادة الصين وألمانيا الغربية والطريق العملى هو البدء بأفريقية فى الحال . . . إن على الكتلة الانجلوسكسونية أن تضع برنامجا للتنمية يحقق مصادر جديد للثروة ويحقق أسواقا جديدة . . ان الحل هو إنشاء شركة للتنمية فى أفريقية برأسمال أدناه خمسة آلاف ملايين جنيه » . .

بل لقد راحت بعض الصحف الألمانية — دى فيلت كبرى صحف هامبورج — تنادى بأن مشاكل أفريقية لم تعد تهم الفرنسيين وحدهم بل أنها تهم أوربا كلها وقد كان على البلاد الأوربية أن تدرس مع فرنسا طرقا جديدة ووسائل جديدة تنتهج فى أفريقية .

وراحت أمريكا تضاعف نشاطها ، ومؤامراتها . وضغطها الاقتصادى والسياسى فى أفريقية ، كما راحت تضاعف رأسمالها وشركاتها . . وقواعدها . . كما راحت أيضاً تضاعف أذنابها . . وتوابعها وعملاءها . .

ووجد عملاء الاستعمار وأذنابه ، وتوابعه الفرصة سانحة لمحاولة القضاء على الحركات الوطنية وطعنها من الخلف ، وإسكات كل الأصوات المنادية بالوحدة ، وبالتحرر . .

ووجد هؤلاء العملاء . . وهؤلاء الأذناب وهؤلاء التوابع أن الاستعمار ، خير لهم وأبقى ، وأنه لا حياة ولا بقاء لهم إلا فى ظلال الحكم الأجنبي أو الحكم الوطنى فى الظاهر ، الأجنبى فى الواقع وحقيقة الأمر . . .

وخيل لهؤلاء ولسادتهم أن الأمور تسير بالنسبة لهم جميعاً سيراً حسناً . .

وأعد هؤلاء وهؤلاء النعوش والاكفان للحركات التحررية فى كثير من أنحاء القارة الأفريقية .. وبدا لقصار العقول وقصار النظر ، من أقطاب الاستعمار ، وأقطاب أذنابه ، وتوابعه ، وعملائه أن النظام الاستعمارى الذى أخذ يتفكك ويتداعى للانهيار قد أتيحت له من جديد فرصة البقاء ، والازدهار . . . غير أن كل ما يتمناه هؤلاء لم يدركوه . . ولكن كانت النتيجة . نتيجة نشاط الاستعماريين وأذنابهم ، ونتيجة محاولاتهم المستميتة ، لاستعادة نفوذهم ، وكيانهم الفشل الذريع .

***

لقد آمنت شعوب أفريقية إيماناً لا حد له بأن معركة الحرية فى كل بقعة من بقاع أفريقية كل لا يتجزأ ، الانتصار فى جزء منها انتصار لبقية الأجزاء . . والهزيمة فى مكان ما منها هزيمة للجميع . .

***

وآمنت شعوب أفريقية إيماناً قوياً راسخا بأن معركة الحرية ، ليست معركة لون أو جنس ، وإنما هى معركة بقاء . . ووجود . .

***

وآمنت شعوب أفريقية — كل شعوب أفريقية — بأنه كلما اتسع نطاق الحرية فى هذه القارة كلما اطمأن الأحرار على حريتهم ، وكلما قويت آمال الذين لم يحصلوا على الحرية فى الحصول على الحرية . . .

***

وآمنت شعوب أفريقية أن طرد الاستعمار من الديار وحدها لا يكفى بل لابد من طرده من النفوس ، والقلوب والتقاليد والعادات . . . ولابد من القضاء على ما تركه ويتركه من أذناب وتوابع . . .

* * *

وآمنت شعوب أفريقية — كل شعوب أفريقية — أن ما كان يفرقها ، ويمزق وحدتها فى الماضى إنما كان من فعل الاستعمار وأذناب الاستعمار وأنه لم يعد هناك مجال لهذه الفرقة أو الاختلاف بعد أن انكشفت وسائل الاستعمار وانكشف عملاؤه وأذنابه ...

وآمنت الشعوب الأفريقية — غالبية الشعوب الأفريقية — أن الاستعمار عندما يجبر أمام ضربات الشعوب القويه المتواصلة ، العنيفة على الرحيل ، يترك بدلا منه عصابات من الصهيونين العملاء الذين آلوا على أنفسهم أن ينفذوا ما لم يستطع الاستعمار تنفيذه من تحطيم للاقتصاد الوطنى والاستقلال الوطنى ، كما فعل سابقاً عندما ترك فلسطين . . .

* * *

وآمنت الشعوب الأفريقية — غالبية الشعوب الأفريقية — أن معركة التحرر السياسى ، مرتبطة تمام الارتباط بمعركة التحرر الاقتصادى ، وأن النصر لن يتم للشعوب المتحررة سياسيا إلا إذا تحررت اقتصاديا . . .

* * *

وآمنت الشعوب الأفريقية — كل الشعوب الأفريقية — أن واجبها الأول هو تطهير أراضيها من عملاء الاستعمار وصنائعه حتى ولو كان هؤلاء العملاء مستندون على حراب القوات الأجنبية .

* * *

وآمنت شعوب أفريقية أن خطواتها الأولى نحو التحرر هو القضاء التام على كل الحكومات الرجعية التى تأتمر بأمر الاستعمار ، والتى لا تستطيع العيش إلا فى

ظلال الاستعمار . . . والتي آلت على نفسها أن تخدم بكل ما تستطيع من قوة مصالح الاستعمار . . . وأذناب الاستعمار . . .

* * *

وآمنت شعوب أفريقية أن واجبها الحتمى تأييد الحكومات الوطنية التى تحمل لواء التحرر والانطلاق وتكافح بكل ما تملك من قوى مشاريع الاستعمار ، ومؤامرات الاستعمار . .

* * *

ولهذا فقد تحددت نهائيا المعركة التى بيننا وبين الاستعمار . . .

ولن نقول للمستعمرين — كما كنا نقول فى الماضى — : « ارفعوا أيديكم عن افريقية » .

بل إننا نقول سنعمل كل ما فى وسعنا لقطع هذه الأيدى . . أيدى المستعمرين . . وأذنابهم وعملائهم . . . حتى نحرر قارتنا منهم ومن نفوذهم . . . إلى الأبد . . .

« اتخذ الاستعمار الباغي على بلادنا ألوانا شتى وصوراً متنوعة فكان فى يوم من الأيام دعوة صليبية مارقة، تستخدم اسم الصليب — كذباً وزوراً — وسيلة للعدوان والبغى وهتك الحرمات وسفك الدماء .. فلما أذن الله أن تبوء تلك الدعوة الصليبية الزائفة بعواقب ما اقترفته من آثام، انحسر اللثام عن وجه أولئك الباغين، وانكشف الستور من خبايا نفوسهم فبدءوا زحفاً آخر على بلادنا لا يحاولون أن يستروا وجهه أو ينكروا الغرض منه، فكان هذا الاستعمار السافر الذى يحاول أن يفرض سلطانه علينا ويستذلنا فى ديارنا ويملك ما بأيدينا وما تحت أرجلنا ويستغل ثرواتنا وأسواقنا لصالحه ويتخذ أرضنا معسكراً لجنده يأكلون أرزاقنا فى السلم، ويدمرون أبنيتنا بأيديهم وأيدى عدوهم فى الحرب، ثم يبذر بيننا بذور الفساد والفرقة، فيقضى على مقومات قوميتنا ويخرس ألسنتنا عن ذكر أمجاد ماضينا ويغلف قلوبنا عن الإحساس بمفاخرنا ويسلبنا ديننا ودنيانا جميعاً .. »

جمال عبد الناصر

القارة الأفريقية التي كانت فيا مضى مهداً للحضارات والديانات والفلسفة . .

القارة الأفريقيةالتي عرفت — وقبل أن تعرف اوروبا المدنية ، بألفي عام — أرق مدنية عرفها التاريخ .

القارة الأفريقية التي بنت قبل ميلاد المسيح بثلاثة آلاف عام ،الأهرامات ، معجزة المعجزات وحفظت جثث الموتى بطريقة لم يصل إليها علمنا الحديث إلى الآن . . ثم ابتكرت الكتابة قبل أن تعرف الدنيا كلها الكتابة .

القارة الأفريقية التي تلاقت أجزاؤها الشمالية في عام ١٥٥٩ قبل الميلاد ، والتي امتزج شمالها بغربها وشرقها عن طريق التجارة قبل أن تعرف أوربا وأمريكا التجارة ..

هذه القارة التي تعادل خمس الكرة الأرضية في المساحة ، والتي يسكنها أكثر من مائتي مليون نسمة ، يكونون عشر سكان الأرض . .

هذه القارة التي تفوق إمكانياتها وخاماتها حد الوصف . . والتي بالرغم من أنها لم تستغل بعد تساهم بنصيب وافر في خدمة البشرية .

ففي أفريقية ٩٨٪ من ماس العالم .

وفي أفريقية ٥٥٪ من ذهب العالم .

وفي أفريقية ٢٢٪ من نحاس العالم .

وفي أفريقية اليورانيوم ، والكوبلت والنيونيوم ، وغيره وغيره من المواد التي اشتدت حاجة العالم إليها في السنوات الأخيرة .

هذه القارة التي تقرب مساحتها من مساحة أوروبا وأمريكا الشمالية معاً كانت هدفاً لأبشع حملة عرفتها البشرية في تاريخها القديم والحديث . .

لقد أطلق عليها الأوربيون اسم القارة السوداء ، والقارة المظلمة بالرغم من أن جزءاً هاما منها هو الذي نقل المدنية إلى أوروبا وبالرغم من أن شمال هذه القارة وبعض روافدها كانت موطناً لمدنية مشرقة امتدت إلى الأندلس وبعض الجزر الأوروبية . . وبالرغم من توغل المسيحية والإسلام في شمالها وشرقها وغربها . .

وقد اتفقت سياسة دول أوروبا الكبرى فى القرن التاسع عشر — وهى التى لم تتفق إلا نادراً — على اقتسام هذه القارة البكر .. وجندت أوروبا فيما جندته جيوشاً من المكتشفين والرحالة ، والمبشرين لا لإنقاذ القارة من الهمجية كما ادعوا ، وإنما لإمكان استغلالها وإذلالها . . والقضاء على كل مقومات الحياة فيها . .

وعندما انهزمت فرنساً فى الحرب السبعينية ، واستولت ألمانيا على الالزاس واللورين وخشيت ألمانيا أن تتفرغ فرنسا للأخذ بالثأر وجهت أنظار ساسة فرنسا إلى شمال أفريقية وخاصة تونس . . على أن تكون قبرص ومصر من نصيب بريطانيا .

واتخذ احتلال أفريقية صورة مساومات ، ومقايضات ، ومجاملات بين الدول الكبرى وبعضها البعض ..

فمثلا تدفع بريطانيا إلى البرتغال مبلغ ٩٠ ألف جنيه مقابل تعديل الحدود بين مستعمراتها فى أفريقية على أن تكون منطقة الماس فى جنوب أفريقية — كمبرلى — من نصيب انجلترا .

ثم تتفق بريطانيا وألمانيا — نعم بريطانيا وألمانيا — على أن تسترد ألمانيا جزيرة هليجولند فى مقابل اعترافها بسيادة بريطانيا على زنزبار وأوغندا ...

وفى سنة ١٩٠٤ تتفق انجلترا وفرنسا — نعم انجلترا وفرنسا — على ألا تعرقل فرنسا عمل انجلترا فى مصر لا بطلب تحديد أجل للاحتلال البريطانى ولا بأية صورة من الصور مقابل التزام الحكومة البريطانية بألا تعرقل عمل فرنسا فى مراكش ..

ومثلا — فى مؤتمر الجزيرة — تتفق ١٢ دولة على تعديل حدود الكمرون لصالح ألمانيا فى مقابل الاعتراف بالحماية الفرنسية والحماية الأسبانية على مراكش .

تستخدم الدول الأوربية الكبرى أبشع الوسائل، وأقذر الطرق ، وأخس أنواع المؤامرات ، والمناورات للسيطرة على القارة الأفريقية .

يصل المغامر الألمانى كارل بيترز مع بعض رفاقه بفضل المعونة التى قدمها لهم أحد البيوت التجارية فى زنجبار إلى قلب كينيا وبعد عشرة أيام يعودون ومعهم اثنتى عشرة معاهدة تم التوقيع عليها من الزعماء الوطنيين الذين لم يدركوا حقيقتها ولا الغرض منها — كما تم وضع ٦٠٠٠٠ من الأميال المربعة تحت حماية شركة الاستعمار الألمانى التى أطلق عليها فيما بعد شركة أفريقية الشرقية الألمانية والتى أعلن بسمارك حماية الحكومة الألمانية لها .

وتوغل أيضاً الانجليزى المغامر سير هارى جونستون وعقد طائفة أخرى من المعاهدات مع بعض الزعماء الوطنيين الذين ، وكون شركة « أفريقية الشرقية البريطانية الامبراطورية » . . . وكان لابد لفرنسا أيضاً من نصيب فى التركة فإن لديها أيضاً بعض المغامرين ، ولديها أيضاً كية من الهدايا التى تعطى لحكام تلك المنطقة . . وأخيراً وليس أخراً لديها من الورق ما يكفى لوضع مليون معاهدة . . .

ثم حدث اتفاق فيما بين الدول الثلاث ظفرت فيه بريطانيا — كعادتها دائماً قبل أن يأفل نجمها — بنصيب الأسد حيث تقرر ضم مستعمرة كينيا إلى مستعمرات التاج بينما قنع سلطان زنجار بتأجير جزء من الساحل لبريطانيا أطلق عليه « محمية كينيا » وروى بويل فى كتابه عن المشاكل الوطنية فى أفريقية والذى نشر فى نيويورك عام ١٩٢٨ « إن من رأى البعض أنه منذ ابتداء استعمار كينيا حتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين تناقص عدد سكانها بمقدار الثلثين » . ويرى بويل أن من المحتمل أن يكون ٥٠٠٠٠ ألف مواطن من كينيا ماتوا خلال الحرب العالمية الأولى وإن ١٥٠٠٠٠ غيرهم هلكوا بسبب المجاعة ووباء الإنفلونزا عام ١٩١٧ — ١٩١٩ » ، ويعلل بويل تناقص عدد السكان بقوله : إن إخراج الأهلين عن ديارهم وحرمانهم من أراضيهم وتسخيرهم فى خدمة مزارع البيض إلى جانب الحرب والأمراض التى لم يمكن التغلب عليها بسبب عدم وجود خدمات صحية كافية — كل هذا كان لابد وأن يؤدى إلى تناقص السكان ! ! »

أما أول حاكم بريطانى لكينيا ، السير اليوث فيرى — كما يرى كل غلاة الاستعماريين — وأن من النفاق عدم الاعتراف بأن مصالح البيض يجب أن تكون لها الغلبة وينبغى أن يكون الهدف الأساسى من السياسة التى نتبعها والتشريعات التى نسنها هى أن ننشىء مستعمرة بيضاء . . »

وترى لجنة كينيا الاقتصادية فى تقرير لها عام ١٩١٩ فى وجود المستوطنين الهنود فى هذه البلاد فتقول: إنه ضد الرفاهية الخلقية والجثمانية للوطنيين وضد تقدمهم الاقتصادى لأن الهنود يتميزون بنفور لا علاج له من الأمور المتصلة بالعناية بالصحة فضلا عن انحطاطهم الأخلاق مما يجعل لهم أثراً غير طيب . . »

أى أن سياسة بريطانيا ، كل شىء للرجل الأبيض ، ولا شىء للرجل الأسود ، حتى ولو لم يكن من أفريقية .. بل حتى لو كان من الهند التى كانت بريطانيا ، تعتبرها وقتئذ — أثمن درة فى التاج البريطانى ..

وفى الكونغو يرسل ملك البرتغال — قبل أن تصبح الكونغو بلجيكية — رسالة إلى مندوبه هناك قائلا : إن هدفنا الرئيسى لا يزال خدمة الله وتحقيق مشيئة الملك ورغم هذا عليك أن تشرح لملك الكنغو باسمى ان واجبه نحونا يقتضى عليه أن يملأ سفننا بالعبيد ، والنحاس والعاج » . .

ويصف العالم الألمانى «أهله» ، مأساة الرقيق فى الكونغو فيقول : لاشك أنه كان هناك الكثير من العبيد فى الكونغو قبل وصول الرجل الأبيض ، ولكنهم كانوا جزءاً من الاطار الاجتماعى وكانوا يمثلون فيه مكانة محدودة وعندما انتشرت تجارة الرقيق تحول امتلاك العبيد إلى مطاردة جنونية للانسان . . أصبح الرجل الأقوى يبيع الأضعف ثم تفككت عرى الحياة العائلية فالأباء يبيعون أولادهم للبرتغاليين والأبناء يبيعون آباءهم وكأنهم أشياء لا قيمة لها . . وكان البرتغاليون يرقمون العبيد بالنار ، وكأنهم أغنام » . . .

ويجتمع مؤتمر من بلجيكا وفرنسا ، وانجلترا ، وألمانيا وإيطاليا والنمسا فى المدة من ١٢ — ١٩ ديسمبر سنة ١٨٧٦ ويفتتح ليوبولد اجتماعات هذا المؤتمر فيقول « ان الغاية من المؤتمر هى أن يفتح للحضارة الجزء الوحيد من الكرة الأرضية التى لم تنفذ إليه

بعد وذلك لتبرير الظلمات التى تغشى شعوبها كلها وأن فى ذلك لحملة صليبية جديرة برقى هذا القرن » . .

وبدأ ليوبولد تنفيذ الخطة . . . خطة فتح وتبديد الظلمات التى تغشى شعوب هذه القارة .

وأصدر أول ما أصدر فى يوليو سنة ١٩٨٥ قانونا بجعل كل الأراضى الخالية ملكا شخصيا له .. أما الأراضى التى كانت للاهالى فقد أجبرهم على مغادرتها والهجرة إلى الغابات والأحراش .

ثم أصدر فيما بعد — ٢١ سبتمبر سنة ١٨٩١ — قراراً باحتكار مافى البلاد كلها من المطاط والعاج . .

ويسجل المبشر الأمريكى ميرفى عام ١٨٨٥ فى صحيفة التيمس ما رآه فى الكونغو فيقول : «لقد رأيت عشرات من الأيدى المقطوعة ، أيدى الرجال والأطفال والنساء الذين اتهموا بالإهمال فى الإنتاج قد وضعت أمام الضابط الأوروبى الذى راح يعدها ليتأكد من أن جنوده الوطنيين لم يضيعوا الرصاص فى الهواء » . .

ويروى روجه كيسمنت فى تقرير نشرته وزارة الخارجية البريطانية بعد رحلة قام بها عام ١٩٠٣ فى الكونغو : أن أجداد الافريقيين الذين يعيشون اليوم فى الكونغو كان عليهم أن يجمعوا نصيبهم من المطاط البرى وإلا بترت أيديهم . . وقطعت أعضاؤهم التناسلية وأحرقت قراهم وقتل أطفالهم ؛ وإن جدات النساء اللاتى يعشن اليوم فى الكونغو كن يعذبن ويقتلن ويغتصبن ويؤتى بهن لكى يلهوا بهن جنود الملك ليوبولد وعملاؤه ، لقد أخليت القرى وأنتزعت ملكية الأرض ودمر المجتمع الأفريقى » .

وقدر كيسمنت عدد السكان الذى نقصوا نتيجة لسياسة ليوبولد بثلاثة ملايين نسمة حتى ١٩٠٤ وبعدها بثمانى سنوات نقصوا ثلاثة ملايين أخرى . . . لقد نجح ليوبولد فى فتح باب الحضارة .

نجح ليوبولد فى تبديد الظلمات التى تغشى شعوب القارة الأفريقية . . .

أماقى شمال أفريقية . فى مصر . . . وليبيا ، وتونس والجزائر ومراكش ، فقد فعل الاستعمار بشعوبه كما فعل بشعب كينيا ، وشعب الكونغو . . .

لقدعبرت جريدة لاكسبريس الباريسية عن خطة الاستعمار فى هذه القارة فقالت «أن للاستعمار خطة أحكم وضعها منذ نصف القرن التاسع عشر، وتدبير آتى ثماره منذ سنة ١٨٨٠ ثم دخله الخلل والانحلال فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، ويرتد كيده الآن إلى نحور الامم المستعمرة . . .

إن سياسة الاستعمار بدأت تتعرف خطاها وفهمت أن مهمتها الأولى هى القضاء على مقاومة الشعب المغلوب ثم العمل على تفكيكه فإخضاعه فإشاعة حكم الإرهاب فيه وبعد ذلك يكون البدء فى إقامة النظام الاقتصادى » . . .

* * *

وفى مصر — مثلا — استخدمت بريطانيا القوة والرشوة، والعملاء للاستيلاء على مصر فى عام ١٨٨٢ ، فلما تمكنت من ذلك ألغت التعليم المصرى ، وجعلت اللغة الإنجليزية هى اللغة الرسمية وأحلت المدرسين الإنجليز محل المدرسين المصريين وجعلت من الكتب والصحف التى تطعن فى مصر والمصريين مادة للمطالعة فى المدارس الإبتدائية والثانوية واستبعدت من التاريخ كل ماعت إلى الوطنية أوالعربية من قريب أو من بعيد . . . ثم عصفت بالتعليم الحربى والتعليم الصناعى . . وأغلقت المدارس الحربية والمدارس الصناعية . .

ألغت بريطانيا الجيش والبحرية .

ألغت المصانع ، والترسانات . . وباعت السفن الحربية والسفن التجارية وباعت المصانع الكبرى — مصانع الورق والغزل والنسيج — بأبخس الأثمان . .

وسيطرت بريطانيا على مالية البلاد منذ الساعة الأولى وملأت البلاد بالبنوك والمؤسسات الأجنبية ، حتى بلغ مجموع رءوس أموال هذه الشركات ٦٢,٧٣٧,٤٠٠ جنيه تغل ربحاً سنوياً قيمته ٣,٣٤٨,٠٠٠ جنيه وذلك عام ١٩١٠.

ثم راحت تكافىء عملاءها وأذنابها الذين خانوا مصر ، وجيش مصر وارتموا فى أحضان الإنجليز . . فأنعمت مثلا بوسام سان ميشيل ووسام سان جورج على السيد محمد سلطان الذى خان الثورة وأخذ يوزع النقود على قبائل البدو للانضمام

إلى الخديوى .. والتخلى عن عرابى بطل ثورة سنة ١٨٨١ كما منحته سلطات الاحتلال أيضاً عشرة آلاف فدان من أجود الأراضى الزراعية فى مصر .

وحرمت كلمة « حرية » فى أية رواية أو أغنية ثم أصدرت سلسلة من القوانين التى تتعلق بالإتفاقات الجنائية التى تعاقب كل من اشترك أو شرع أو فكر أو سمع بجريمة أو تخيل بينه وبين نفسه إمكان إحداث جريمة . .

وفى الجزائر .

قالت اللجنة العامة التى أوفدت إلى الجزائر عام ١٨٣٣ تصف العمليات الحربية التى تمت غداة الغزو الفرنسى : « بين يوم وليلة أصبحت مدينة الجزائر مسرحا للصفقات المريبة والغش والتدليس فما على الإنسان لكى يصبح مالكا إلا أن يشى بأخيه ويلصق به تهمة معارضة الاحتلال ، فيصبح فى اليوم التالى مالكا لأرضه بقوة الجيش الفرنسى فهل ذهبنا إلى هذه البلاد لتوطيد دعائم الحضارة أم لإهدار الحقوق ، ومن عساهم أن يكونوا هؤلاء المستوطنون الفرنسيون ؟ أليسوا دخلاء على أهل البلاد ؟ فأى خير يرجى منهم إنهم ، لا يفلحون الأرض ولا يزرعون ولا يجنون ثمرا ولا يحترفون صناعة ومع ذلك منحتهم سلطات الاحتلال سند الملكية لأراض لم يروها بأعينهم فأصبحوا هم أصحابها وسادتها ، وهكذا أثارت سلطات الاحتلال حفيظة البدو والحضر ثم مالبث هؤلاء المستوطنون أن عمدوا إلى بيع أراضيهم بأضعاف أثمانها ظلما وعدوانا فماذا أفادت فرنسا من هذه المضاربات الحقيرة ؟ هل ذهب شبابنا إلى الجزائر ليحموا طغمة من الأشرار سارت فى أعقاب الجيش لتنعم بالغنائم والأسلاب . . . إن النفس لتصاب بالغثيان مما حدث فى الجزائر تحت سمع القيادة وبصرها مما تأباه النفوس الكريمة والقلوب الرحيمة ؛ واستولى أيضا الماريشال الفرنسى كلوزيل على مائتى هكتار من الأراضى الخصبة ظلما وعدوانا فى نظير مبلغ ١٥ جنيها كما وضع يده على ضيعة « أغا بلدة فونك » بمثل هذا الثمن .

وسجل المؤرخ جوليان ما كتبه الكولونيل مونتانياك أحد ضباط حملة الجزائر : « جمعنا الجنرال (وجو) قبل خروجنا للحرب وقال لنا : إن الحرب التى تقومون بها ليست حربا تقوم على إطلاق النار فقد اعتدت قواتنا على المساجد والقبور وامتد عدواننا إلى المنازل التى يعتبرها المسلمون حرما مقدساً وكنا نعذب الناس بناء على الشك

والريبة ، دون أية محاكمة وقتلنا عددا كبيراً ممن يحملون تصاريح خاصة منا لشكنا في سلوكهم كما فتكنا بعدد كبير من الأهالى دون أى سبب وظهرت بعد ذلك براءتهم كما ظهر أنه لا علاقة لهم بالثائرين ودفعنا إلى المحاكم شخصيات كبيرة كان الشعب الجزائرى يقدسها ويضعها فى مصاف الأولياء ، وفتكنا بكثيرين من الأعيان الذين كان يدفعهم مركزهم وشجاعتهم إلى التوسط لدينا للكف عن الأذى . .

وألقينا فى غياهب السجن بزعماء القبائل لأن بعض أفرادها ساعدوا الثوار . .

لقد استعملنا الخيانة ووصفناها بأنها مفاوضات وجعلنا من السكان أعمالا دبلوماسية وبالاختصار تفوقنا على المتوحشين بما قمنا به من أعمال وحشية وأظهرنا من الانحطاط والتوحش وفساد الأخلاق ما لا يمكن أن يكون لدى الذين ادعينا أننا جئنا لتمدينهم . ثم أخذنا نتذمر من أننا لم ننجح فى تلقينهم أخلاقنا ومبادئنا » .

وجاء فى التقرير الرسمى الذى قدمه الجنرال بوجو إلى وزارة الحربية بتاريخ ١٧ مايو سنة ١٨٤٤ : « لقد نهبنا ودمرنا أكثر من ٥٠ قرية من أجمل القرى »

وأرسل بوجو إلى الكولونيل بليسيه ـ عندما أخذ المناضلون العرب يحتمون فى المغارات « وإذا ظل هؤلاء اللئام معتصمين فى المغارات فاعمل ما يجب عمله لإخراج الثعالب من جحورها اخنقهم بالدخان . . »

ونفذ الجنرال بليسيه الأمر ولم يطمئن ـ كما يقول الكاتب الفرنسى مارسيل اجرينو فى كتابه الوطن الجزائرى ـ إلا بعد أن أرسل رجلا من قبله وأخرج الجنود أمامه من إحدى المغارات ٦٠٠ جثة عدا الجثث التى كانت متراكمة فى الخارج وكان الأطفال يختنقون مختبئين فى أحضان أمهاتهم وبعضهم رئى مختنقاً وهو يرضع ثدى أمه . . »

ويقول المؤرخ كريستيان سكرتير الجنرال بوجو إنه سمع من أحد الضباط أنه كان كثيراً ما يتناول طعام الغداء مع الجنرال دون أن يفكر فى أنه يوجد بأحد أركان الخيمة عدداً من الأكياس يمتلىء برءوس العرب المقطوعة وهى معدة لشحنها إلى فرنسا . أما الكولونيل مونتانياك فيشرح فى رسائله أعمال البطولة التى قام بها ، والتى ذهب هو ضحيتها عام ١٨٤٥ فيقول :

« تسألونني ماذا نعمل بالنساء اللواتى نأسرهن .. أننا نحتفظ ببعضهن كرهائن ، ونبادل بعضهن بعدد من الخيل ثم نبيع الباقيات بالمزاد العلنى كالسوائم والمواشى ... وهذه هي الطريقة التي يجب أن نحارب بها العرب... قتل جميع الرجال من سن ١٥ إلى مافوق.. الاستيلاء على جميع النساء والأطفال وإرسالهم إلى جزر ماركيز أو أى مكان آخر .. وبالاختصار القضاء على كل من لاينحنى كالكلب تحت أقدامنا .. »

وبالطبع لم ينحن أحد من أبناء الجزائر .

وما اتبعته انجلترا فى مصر اتبعته فى الترنسفال والكاب ونيجيرياوساحل الذهب والصومال البريطانى وبتشوانالاند ، وأفريقية الشرقية البريطانية وروديسيا وزنجبار وأوغندا . . . والسودان .

وما اتبعته فرنسا فى الجزائر اتبعته فى ساحل الذهب وداهومى والصحراء الكبرى وأفريقية الاستوائية وتونس ومراكش والصومال الفرنسى .

واتبعت ألمانيا نفس الوسائل فى المناطق التى استعمرتها فى الفترة ما بين ١٨٨٤ — ١٩١١ وفى مقدمتها توجولاند وأفريقية الجنوبية وأفريقية الشرقية الألمانية والكرون وارتكبت إيطاليا من الجرائم الاستعمارية ما تقشعر له الأبدان فى الصومال الإيطالى وأرتيريا وطرابلس والحبشة ...

واكتفت أسبانيا بالاستيلاء على ريودى أورو وغيانا الإسبانية وجزر كناريا وجزيرة « فرناندوبو » كما اكتفت بتقليد بريطانيا وفرنسا وإيطاليا فى خططهما الاستعمارية المتوحشة .

ولم تحتج البرتغال إلى تقليد أى من الدول الاستعمارية فى القضاء على مقومات غيانا البرتغالية وأنجولا وموزمبيق وجزر ماديرا فإن لها من تقاليدها الاستعمارية القديمة الشىء الكثير !!

والغريب أن انجلترا سيطرت على تلك المناطق الشاسعة من أفريقية فى فترة لا تتجاوز ستين عاما . . استولت على جنوب أفريقية والكاب ونيجريا وساحل الذهب وسيراليون وجامبيا ابتداء من ١٨٣٧ .

واستولت على مصر فى سنة ١٨٨٢ .

سيطرت على جزء من الصومال ١٨٨٤ واستعمرت بتشوناالاند وأفريقيا الشرقية عام ١٨٨٥ ولم تلتهم ، فى عام ١٨٩٠ ، أكثر من روديسيا وزنجبار وأوغندا . .

أما فى عام ١٨٩٩ فقد اكتفت بالسودان .

والتهمت فرنسا الجزائر فى عام ١٨٣٠ . كما التهمت ساحل العاج وداهومى والصحراء الكبرى وأفريقية الاستوائية وتونس عام ١٨٨١ . .

واكتفت عام ١٨٤٤ بالصومال الفرنسى . كما اكتفت فى عام ١٩١٢ بمراكش

أى أن اوروبا قد التهمت إفريقية فى الفترة من سنة ١٨٣٠ إلى سنة ١٩١٢ ولم يسلم من الاستعمار الإنجليزى والفرنسى . . والألمانى . . والإيطالى ، والإسبانى والبرتغالى . . والبلجيكى . إلا ليبريا .

افريقيا بين مخالب الذئاب الأوربية

لقد لعبت أفريقيا دورا رئيسيا فى اشعال نيران الحرب العالمية الاولى فان العملية التى بدأت فى مراكش بتصارع الدول الكبرى حول المستعمرات الافريقية انتهت على المارن بهزيمة المانيا سنة ١٩١٨ .

سيموند

فى كتابه : « الدول العظمى فى السياسة العالمية »

خيل للسادة المستعمرين بعد أن استولوا على كل أفريقية ما عـدا ليبريا وبعض أجـزاء من أثيـوبيا ان كل شيء قد دام لهم الى الابد وان مستقبل أفريقية قد ارتبط نهائيا بعجلة الاستعمار .

وأيقن عملاء الاستعمار وأذنابه أن افريقية لن تنهض من جديد وانها ستدخل عن قريب أو بعيد ضمن نطاق الامبراطوريات البريطانية والفرنسية والاسبانية... وبدأ حكام افريقية يعدون العدة للاجهاز على شعوب القـارة الافريقية حتى لا تحاول النهوض من كبوتها ، أو الخروج سالمة من محنتها :
واصطفى الحـكام الاسـتعماريون فى كل دولة من الدول التى ابتليت بالاستعمار طائفة من الذين ينتسبون ظلما وعدوانا الى الشـعوب الافريقية ، وحرص هؤلاء الحكام على أن يكون عملاؤهم من ذوى النفوس المريضـة وذوى المطامع الحقيرة ، وذلك ليسهل التأثير عليهم ، وقيـادتهم الى مافيـه الحاق الضرر بشعوبهم ....

ولذلك لقد أضحى هؤلاء العملاء ــ الذين نرى بعضا منهم اليوم بكل أسف فى بعض الدول الافريقية ــ حرب عوانا على مواطنيهم ، يلحقون بهم من الأضرار أكثر ما يفعل بهم الاستعماريون أنفسهم ..

ولم تكن طرائق الدول المستعمرة فى استنزاف خيرات الشعوب الأفريقية مختلفة الا فى المظهر ، فالانجليز يستخدمون العبارات الناعمة ويستنزفون الدم بكميات غزيرة ووفيرة ..

والفرنسيون يستخدمون الشدة والعنف ، علنا وبلا حياء بغية الوصول الى كميات من الدم ، أكثر وأغزر .. وبدأت السياسة الاسـتعمارية تعد العـدة لضم كثير من شعوب أفريقية وآسيا الى الدول الكبرى . واختفت من مصر مثلا تلك العبارات التى كان يستخدمها الاستعماريون أنفسهم من أن الجلاء عن مصر سيتم بعد استتباب الامن . وان مصر تؤهل للحكم الذاتى وأن مصر ستسلم الى المصريين ، عندما تختفى آثار الثـورة العرابية ، وبدأ الانجليز

أنفسهم يتحدثون عن مستقبل مصر فى ظل الحكم البريطانى .. لا يتحدثون سرا ، بل جهرا وفى بعض الكتب والصحف .. فمثلا يقول لورد كرومر فى فى كتابه مصر الحديثة ، « والآن انتقل الى الحاضر والمستقبل القريب فان مصير مصر السياسى بعد أن بقى ثلاثة وثلاثين عاما معلقا فى كفة واحدة من الميزان تقرر نهائيا وذلك بادخالها ضمن الامبراطورية البريطانية ولم يكن هناك حل ممكن غير هذا الحل »

وبدأ الفرنسويون يتحدثون علنا عن الجمهورية الفرنسية وادماج شعوب أفريقية الخاضعة لنفوذهم فى نطاق الامبراطورية الفرنسية . وراح عملاء الاستعمار يجاهرون بمحاسن الاحتلال وأفضاله على الشعوب الافريقية !!

ففى مصر وأقول على سبيل المثال لا الحصر يتحدث رياض باشا رئيس وزراء مصر عام ١٩٠٤ عن اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر أمام عباس الثانى خديو مصر فيقول : جناب المحتشم اللورد كرومر اعتذر اليوم عن الحضور فى هذا الحفل — وضع الحجر الأساسى لمدرسة محمد على الصناعية — لتغيبه عن مصر وكل يعلم ماله من المقام الأرفع والنفوذ الشامل فى هذه البلاد وبالأخص ماله من اليد الطولى فى كل ماله مساس بالمصالح والمنافع العمومية فهذه اليد الفعالة قد شملتنا وهى كانت لنا معوانا بل متمما ومكملا لهذا المشروع فحق علينا أن نعرف له هذه الخبرة ونقدم لجنابه واجب الشكر ونثنى عليه أطيب الثناء ولا نبرح أن نترجاه بألا يترك هذا المولود وهو فى المهد صبيا ، بل يراعيه بعين رعايته ويواسيه ، ويواليه الى أن يتربى ويبلغ أشده ويصبح قويا يقوم بأود نفسه . »

وما دام الوطنيون — الوطنيون اسما — قد بدأوا يتحدثون علنا عن مآثر المحتلين فمن الطبيعى أن يتحدث الاستعماريون أيضا علنا عن مآثر الاحتلال وأن يجاهروا بآرائهم وخططهم فى المستقبل .. حتى أن جول فيرى — من غلاة الاستعماريين الفرنسيين دعا قادة الاستعمار الاوربى الى ضرورة اتقاذ

أوروبا من الافلاس عن طريق استنزاف موارد أفريقية وفرض الواردات الاوربية على أهلها ..

وحسبى هنا أن أذكر كلمة للبروفيسور دى كاسترو وصف فيها قارة أفريقية وأطلق عليها اسم «قارة الجياع» وقال ان المستعمرين ينزعون من السكان الوطنيين أراضيهم ويحشدونهم كالقطيع فى أماكن يخصصونها لهم ولا تكفى أراضيهم لامدادهم جميعا بالغذاء فيضطرون الى أن يبيعوا قدرتهم على العمل وتدل أبحاث الخبراء على أن كمية الغذاء التى يحصل عليها العمال الزراعيون وعمال المناجم من الافريقيين أقل كميات فى العالم والنتيجة النهائية هى القضاء التدريجى على الشعوب الافريقية .

ولم تذهب شعوب أفريقية الى الجحيم كما أرادوا لها ولم تندمج شعوب أفريقية فى الامبراطوريات الفرنسية والانجليزية كما خططوا ..

وانما استيقظت شعوب أفريقية ..
وقامت الحرب العالمية الاولى ..

واتخذ الرق أشكالاً جديدة

« ان تاريخ الاسترقاق قد مضى عليه أكثر من ثلثمائة سنة ، وبناء على احصاء قام به كاتب فرنسي مدقق ظهر أن هذه التجارة قد انتزعت من أفريقية أكثر من خمسين مليون رجل .. »

جوزيف كوبر فى كتاب : القارة الضائعة

« ان رخاء مانشستر وليفربول قام بنيانه على دماء العبيد المتحجرة... »

بريفال فى محاضراته عام ١٨٤١ عن « الاستعمار والمستعمرات »

لقد ازدادت حلقات الاستعمار على مر الأيام حتى أصبح من شأنها أن تهدد حياة الشعوب واقتصادياتها وعقائدها بل حتى توازنها الحيوى والنفسانى

اليوث ديوب

شهدت القرون الثلاثة الميلادية : السادس عشر ، والسابع عشر والثامن عشر أبشع ما عرفه تاريخ البشرية من أنواع الجرائم ... لقد كان التجار من قطاع الطرق .

وكان ما يدفعونه من أثمان لا يتعدى كميات من المحار والاصداف وبعض كؤوس من النبيذ والبيرة أما السلع فكانت الملايين من جدودنا الذين يسكنون القارة الافريقية .

ولم تشذ دولة من دول أوربا عن الاتجار فى الرقيق . البرتغال ، أسبانيا، فرنسا ، ألمانيا ، السويد ، انجلترا ... وقد احتكرت الأخيرة بمقتضى معاهدة أوترخت عام ١٧٦٣ تجارة الصنف ..

وكانت طرق أصطياد العبيد ، لا تتعدى أن ينصب تجار الرقيق شباكهم فى أدغال الغابات لاصطياد الأبرياء من أبناء القارة الافريقية .. أو اجبار الآباء على بيع أبنائهم .. أو اجبار الابناء على بيع آبائهم وأحيانا كان زعماء القبائل ، يجبرون على بيع المئات من أقاربهم نظير أثمان وهمية ، لا تتعدى الغوايش الزجاجية ، وفى كثير من الاحيان كان هؤلاء الزعماء يتخلون عن تابعيهم تحت سلطان القهر والقوة ، وذلك عن طريق « البارود » الذى لم تكن هذه القبائل قد عرفته بعد .. ويروى جون هوكنز — أحد كبار لصوص البحر البريطانيين كيف وصل الى ساحل غانة لجلب الضحايا فيقول :

« أعددت العدة بمعونة أصدقائى فى لندن وكانوا كلهم يرحبون بما اعتزمت القيام به فصاروا يساهمون فى الاعداد لهذا العمل بأموالهم ويقامرون معى بالاشتراك فيه ، فسرعان ما جهزت ثلاث سفن كبيرة وتوجهت الى سيراليون على ساحل غانة فمكثت هناك بعض الوقت واستطعت بعد السيف تارة وبغير ذلك من الوسائل تارة أخرى أن أشحن فى السفن الثلاثة ثلاثمائة زنجى على الاقل وحملت معهم بعض منتجات تلك المنطقة ثم ضربت فى المحيط ورحلت فقايضت على الرقيق كلهم بملء خمس سفن من الجلود والزنجبيل

وقصب السكر وكميات من اللآلىء وأخيرا — فى عام ١٥٦٣ — عدت الى بلادى حاملا معى هذه الثروة الهائلة فاقتسمتها مع من ساهموا فى العمل من أجلها وأخذ كل منا نصيبه »

وقد أعارت الملكة اليزابيث واحدة من سفنها تحمل اسم السيد المسيح لجون هوكنز ، وخلعت عليه لقب سير كما منحته أعظم الأوسمة .. ثم أولته قيادة الأسطول البريطانى اعترافا بفضله على البشرية !! »

وكتب جوزيف كوبر الانجليزى يقول: ان تاريخ الاسترقاق قد مضى عليه الآن أكثر من ثلثمائة سنة وبناء على احصاء قام به كاتب فرنسى مدقق أن هذه التجارة قد انتزعت من أفريقية أكثر من ٥٠ مليون رجل » .

أما الدكتور محمد صبرى فيقول : فى كتاب له عن الامبراطورية السودانية :

«ويرى بعض الباحثين أن عدد الزنوج الذين اقتنصوا وأخرجوا من ديارهم لا يقل عن مائة مليون لم يصل منهم سالما الى أمريكا ويصبح صالحا للعمل فى مزارعها أكثر من ٨ر٥ مليون باعتبار أن من كل عشرة زنوج يموت تسعة فى البر من جراء الغزوات وفى البحر ، وهم مكدسون فى قاع السفن وعند وصولهم بعد ما لاقوا من العذاب ألوانا » . .

ويؤكد المؤرخ الزنجى البروفسور دوبوا عدد الزنوج الذين وقعوا فى أسر القناصة خلال هذه القرون بما لا يقل عن مائة مليون أفريقى وفى كتاب بعنوان « غسق المدنية أو الغرب والشعوب الملونة » جاء ما يلى :

فى الوقت الذى اكتشفت فيه قارات جديدة وجعل هذا الاكتشاف النفس الغربية الطموح تهز أجنحتها الى عالم اللانهاية فى الثروة المادية نبتت فكرة استغلال الانسان لشبيهه الانسان فى سبيل تنمية ثرائه وزيادته الى حد غير معلوم وقد منح شارل الخامس أصدقاءه الفلامان فى افرس — سنة ١٥١٦ — الحق فى نقل وبيع العبيد فى أمريكا ، ولكن انجلترا ستصير هى البلد الذى تزدهر فيه تجارة الرقيق ، وتصبح أزهى صناعة فى البلاد ، وقد منح الكابتن

هوكنز ــ وهو نخاس من الطراز الأول النبالة لأنه صاحب الفضل فى تعريف البلاد ــ انجلترا ــ بهذه التجارة الجديدة .»

وكان للانجليز بمقتضى معـاهدة اوترخت الحق فى احتكار مطاردة العبيد ونقلهم وبيعهم وقد كانت تجارة الرقيق السبب فى انتعاش البحـرية التجارية وارتفاع شأنها وفى انتشار الرخاء فى ليفربول ، وبريستول ولانكشير .

وكان فى ليفربول أسطول مؤلف من ١٩٢ سفينة يستطيع نقل ٢٠٠٠ر٠٠٠ عبد فى السنة وكان نصيب العبيد الكرباج والسلاسل ، وآلات التعـذيب ، وغذاء البهائم « وقبر فى المزبلة » وكثيراً ما كان ينتفع بجثث الموتى للسماد



وقد صرح ميريفال فى محاضرات له عن الاستعمار والمســتعمرات ١٨٤١ أن رخاء منشستر وليفربول قام بنيانه على دماء العبيد المتحجرة.. وقد قدر أحد المؤرخين البرتغاليين ــ من واقع الوثائق الرسمية ــ أن ما جلب من عبيـد أنجولا وحدها فيما بين سنتى ١٤٩٦ ، ١٦٤١ بلغ حوالى ، ١ر٣٨٩ر٠٠٠ عبدا أى بمعدل تسعه آلاف كل عام ووصل هذا الرقم الى ٢٥ ألفا فى العام خلال القرن الثامن عشر ، ثم زاد الى ثلاثين ألفا فى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر ، هذا بخلاف الذين ماتوا أثناء عمليات القنص والنقل ومن غرقوا فى المحيط وبخلاف الملايين الذين استبعدهم الاوربيون فى انجولا ذاتها ؟ ويؤكد بلير نورس المصلح الاجتماعى أن العين لم تقع و لايمكن ان تقع على شقاء أشـد هولا مما نراه على مثل تلك البقعة الصغيرة ... سفينة العبيد ... »

لقد حملت سفن ليفربول وحدها اثنين من ملايين الضحايا ذاقوا الامرين فى الطريق وكان القراصنة الذين يتولون نقل هؤلاء الضحايا يتخلون عن الكثير منهم عندما تشتد أزمة الغذاء ، أو عنـدما تكون مصلحة السفينة فى تخفيف حمولتها وذلك بالقائهم فى البحر . وأحيانا كان هؤلاء الضحايا يلقون بأنفسهم فى المحيط فرارا مما يلقون من معاملة سيئة داخل السفن التى تحملهم الى

ليفربول أو غيرها من موانئ البعيد . « العبيد » من أبناء أوربا الذين كانوا يتاجرون فى الرقيق ..

وكتب السير د . أ . ف وارد المؤرخ البريطانى فقال : لقد أوقفت بريطانيا تجارة الرقيق عام ١٨٠٧ مع احتجاج نلسون وغيره من رجال البحرية لان منع تجارة الرقيق معناه تدمير البحرية وكان عدد الافريقيين الذين شحنوا من هذا الساحل — ساحل غانة — على ظهر السفن حتى ذلك التاريخ ١٨٠٧ يقدر بعشرين مليونا من الافريقيين ..

وقد نقل جاميكا وحدها فيما بين سنتى ١٧٠٠ — ١٨٨٦ على ظهر اسطول انجليزى تجاوزت سفنه ٢٠٠ سفينة من الضحايا الافريقيين ٦١٠٠٠٠ر نسمة » .. ويضيف وارد الى ما سبق فيقول : ان واحدا من كل ثمانية مات فى عرض البحر وان اثنين آخرين فقدا حياتهما خلال أشهر قليلة من وصولهم الى المزارع وهكذا نجد أنه فى بعض الاحيان لم يبق من هؤلاء العبيد المصدرين من أفريقية أكثر من نصفهم ليعيشوا أياما شاقة وعسيرة فى الدنيا الجديدة وهؤلاء العبيد الذين بقوا على قيد الحياة بهذه الصورة هم أجداد الخمسة عشر مليونا من الزنوج الذين يعيشون اليوم فى الولايات المتحدة الامريكية ... وها هم بعد مرور قرن تقريبا على تحرير الرقيق لا زالوا يواصلون كفاحهم ضد الاضطهاد والتمييز العنصرى »

ثم شاءت انسانية أوربا ومدنيتها ، وحضارتها أن تحرم تجارة الرقيق .. وأن توفر على نفسها عناء نقل الملايين من أبناء افريقية عبر البحار ..

شاءت انسانية أوربا ومدنيتها وحضارتها أن توفر على نفسها ، وعلى غيرها تكاليف نقل الملايين من الضحايا الذين ابتلتهم بحضارتها ، وانسانيتها ، ومدنيتها تخلت بريطانيا وفرنسا ، وهولندا ، وبلجيكا ، و . و . وغيرها من الدول التى وصلت القارة الافريقية لتحمل مشعل الحضارة الى ربوعها، تخلت هذه الدول عن تصدير العبيد من أفريقية وذلك لامكان تحويل الافريقيين ،

الى عبيد داخل أوطانهم ولامكان استخدامهم على أوسع نطاق لانتاج المواد الاولية فى ذاتها ..

وجد المستعمرون ، المتحضرون المتمدينون ، انهم بحاجة الى أيدى عاملة رخيصة لا تكلفهم طعاما ولا لباسا ولا أجورا ، بل ولا أماكن للاقامة . كما وجدوا انهم بحاجة ماسة الى خلق أسواق جديدة تستهلك ما أخرجته مصانعهم الكبرى من سلع ضاقت بها اوربا ، وذلك ليضربوا طيورا متعددة ، بحجر واحد ...

وجد الاوربيون المستعمرون انهم بحاجة الى توظيف رأسمالهم الوطنى فى أرض بكر ، تدر عليهم ملايين الجنيهات ولا يخسرون شيئا ..

ورأى الاوربيون المتحضرون المتمدينون انهم بحاجة الى نظام جديد للاستفادة من الرق ويكون كفيلا بمضاعفة الأرباح .. وكان أن اخترعوا نظام السخرة ..

واعتبرت بلجيكا كل سكان الكونغو عمالا برغم انوفهم ، يعملون — بلا أجر — لجمع المطاط والعاج .. والذى يمتنع عن تنفيذ الاوامر ، بل الذى يهمل .. بل الذى لا ينتج ما يراد منه ولو كان هذا الذى يراد منه من رابع المستحيلات يعاقب بالسجن مرة ، وبالاشغال الشاقة مرات .. وكانت التهم التى يحاكمون بها مضحكة للغاية .. كانت اخفاء المسروقات ، وانتهاك حرمات البلاد ..

أما انجلترا ، فقد رأت أن تتبع طريقة جديدة تتلاءم مع أساليبها فى الحضارة والمدنية والانسانية . فقد أمرت بوضع كل العمال السود فى سجن كبير .. لا حق لهم فى أجر ولا فى راحة بل لا حق لهم فى رؤية زوجاتهم وأولادهم .. يعيشون فى معسكرات أقرب الى السجون . يموتون بالرصاص والسياط .. اذا لم يموتوا من وطأة العمل المضنى .. أو من الجوع .. أو من المرض .

وفعلت فرنسا ، ما يتفق ثورتها الكبرى ثورة الحرية والرخاء والمساواة .. لقد أرادت ألا تكلف نفسها عناء نقل الضحايا من أبناء أفريقية .. وعناء تسخيرهم للعمل الشاق المضنى . رأت ابادتهم عن آخرهم .. وذلك حتى يخلو لها الجو فى مستعمراتها . وحتى تتيح للمستوطنين الفرنسيين، وللحكومة الفرنسية امتلاك الارض بما عليها ...

ولم تتوان فرنسا عن تنفيذ رسالتها فى اعدام الضحايا من الاطفال ، والنساء والكهول اذلا يليق بها وبانسانيتها أن تقتل الآباء .. وتترك الابناء .. ولا يتفق مع تاريخها المضيء القضاء على الازواج دون لزوجات ..

وتحول الرق الى سخرة ... وتحولت السخرة الى تفرقة عنصرية .... واتخذت هذه التفرقة — فى بعض الأحايين وفى بعض البلدان —صفات قانونية وفى تقرير قدمه الوفد السودانى الى مؤتمر الشعوب الافريقية فى الفترة مابين ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٥٧ ، ١ يناير سنة ١٩٥٨ جاء مايلى بخصوص هذه التفرقة :

ان التفرقة العنصرية من المآسى التى يثور لهـا الضمير العالمى . وهى وان تعددت أنواعها الا أنها فى كل الحالات تفرقة بين أفراد الجنس البشرى . واذا تتبعنا التشريع فى دول العالم نجد أن ضمير جميع المشرعين باستثناء دولة واحدة قد تيقظ ليقضى على هذه المشكلة ويجتثها من جذورها . وفى جميع المجتمعات التى كانت تمارس فيها التفرقة العنصرية قد اتخذت التدابير لمحو آثار هذه الجريمة الشنيعة . وحتى فى المجتمعات التى تمارس فيها التفرقة العنصرية عن غير وعى ، فان قلوب الرجال المخلصين لتخفق مرتاعة من أن تتخذ هذه المشكلة فى بلادها وضعا معينا أو آخر ، ولهذا فهم يحاولون تجنبها بكل السبل .

والتفرقة العنصرية فى أساسها تفرقة فى المعاملة بين البيض من ناحية والملونين من ناحية أخرى . على أنها قد اتخذت فى السنوات الاخيرة ، وخاصة فى اتحاد جنوب أفريقيا ، مظهرا جديدا ، ألا وهو العزل . والتفرقة العنصرية فى بعض

البلاد تقوم على تقاليد ، وفى بعضها الآخر تقوم على التشريع والقانون . واذا نظرنا الى تاريخ التفرقة فى أفريقيا نجد أنها جاءت مع الاستعمار الاوربى لكثير من البـلاد الافريقية . وحجتنا فى ذلك ما قاله الدكتور مالان رئيس وزراء حكومة اتحاد جنوب أفريقيا ردا على القس بيير سيما حيث قال :

« ان التفرقة العنصرية ســواء أكانت العزل أو التمييز ، ومهما اختلفت أسماؤها ، فهى السياسة العنصرية التقليدية لجنوب أفريقيا . وقد كانت جزءا من تقاليد جنوب أفريقيا التى تمارسها منذ أن استوطن الهولنديون مدينــة الكاب فى عام ١٥٦٢ ، ولا تزال تؤيدها أغلبية البيض فى الأحزاب السياسية الرئيسية فى جنوب أفريقيا » .

وفى عام ١٩٢٢ عينت حكومة الجنرال سمطس لجنة اتخذت قرارا يقضى بأن المدن من صنع الاوربيين ومن ممتلكاتهم الخاصة ، ولهذا فينبغى ألا يسمح للافريقى بأن يدخل مناطق المدن الا اذا كان مستعدا أن يدخلها ليخدم أغراض البيض وحاجياتهم ، وأن يغادرها متى ما استنفدت أغراضهم . وتاريخ التشريع فى اتحاد جنوب أفريقيا يشير الى ان المشكلة ازدادت تعقيدا مع الايام ، فقانون جنوب أفريقيا لسنة ١٩١٠ وهو دستور الاتحاد يجعل التفرقة العنصرية أساسا فى كيان الدولة . فهو ينص على أن يكون كل أعضــاء البرلمان من السلالات الاوربية الا القليل ، والافريقيون لا يعطون حق الاقتراع ومحرومون من أن يختاروا بمحض ارادتهم الحكومة التى يريدونها وقد أصدر برلمان اتحــاد جنوب أفريقيا عدة تشريعات مجحفة نذكر منها :

١ ــ قانون تخصيص المناطق سنة ١٩٥٠ وقانون لوائح العمل للمواطنين وهو قانون يعرض الافريقى للمحاكمة اذا تغيب عن عمله بغير اذن ، وقانون تعديل قوانين المواطنين ، وهو يمكن الحكومة من أن تبعد القبائل أو الافراد من أراضيهم ، وقانون تعليم البانتو سنة ١٩٥٣ .

ولكن كل هذه القوانين بدلا من أن تساعد البيض على استئصال الملونين لم تزد المشكلة الا تعقيدا وقد زادت من مخاوف الاوربيين كما أنها أوغرت صدور المواطنين الافريقيين .

واذا نظرنا الى الدوافع التى كانت سببا مباشرا لهذه التفرقة العنصرية نجد أنها تختلف فى أذهان البيض الذين يطبقونها على الملونين عنها فى أذهان سائر البشر حيث يزعم البيض على لسان كبيرهم الدكتور «مالان» بأن الشعور العميق عند البيض من سكان جنوب أفريقيا بمشكلة اللون ناجمة عن الفروق الاساسية بين البيض والسود ، وان اختلاف اللون لم يكن غير مجرد ظاهرة طبيعية للتجانس بين متناقضات لا يمكن التواؤم بينها : من اختلاف فى طرق المعيشة ، واختلاف بين الوحشية والمدنية وبين الوثنية والمسيحية ، وأخيرا بين اعداد بالغة الكثرة متناهية فى القلة . وهكذا كانت المشكلة منذ البداية ولا تزال . والفرق العنصرى بين الاثنين صارخ الآن كما كان قبل ثلاثة قرون . ولا غرو فى أن غريزة حب البقاء قد تغلغلت فى أذهان ونفوس البيض فى جنوب أفريقيا . ولقد حافظ الرجل الأبيض على ذاتيته كل تلك السنين ولايمكن أن يتغافلها الآن » ..

ولكن من البيض من ينظرون الى أسباب المشكلة نظرة تختلف عن هذا ؟ فقد قال اللورد « بلفور » :

« ان فى جنوب أفريقيا شعبا من البيض استقروا نهائيا فى قارة سوداء وهى شىء لا مثيل له فى تاريخ البشرية » ..

أما نحن فنرى أن الاسباب غير تلك التى يقولها البيض ، لان التفرقة العنصرية كما قلنا جاءت الى أفريقيا مع الاحتلال الاوربى واستيطان أولئك المستعمرين فى البلاد التى احتلوها ، ودوافعهم الى التفرقة العنصرية والتمييز بين أفراد الجنس البشرى مصدرها حب السيطرة والسلطات من ناحية والجشع

الاقتصادى من ناحية أخرى ، وخاصة فى البلاد التى لها كيان استقلالى وتحكمها حكومات تتولى الحكم عن طريق البرلمان .

لقد أدرك الاوربيون انهم اذا مارسوا الديمقراطية البرلمانية التى تقرر انه لكل مواطن صوت واحد ، فالنتيجة الحتمية ألا يجد الاوربيون مكانا فى البرلمان ، وبالتالى لا يجدون مكانا فى تكوين الحكومة . وهذا واضح من جزعهم من الكثرة العددية للافريقيين والدافع لكل تلك التشريعات التى تحرم حق الاقتراع على الملونين والتى ان أعطته لهم لا تسمح لهم بممارسته الا فى حدود ضيقة .

والدليل على أن الجشع الاقتصادى من أقوى الاسباب عند البيض فى تطبيق سياسة التفرقة العنصرية هو حرصهم على ألا يعطوا فرصة للملونين ليغتنوا وليرفعوا من مستوى معيشتهم ، فهم أولا لا يسمحون للملونين بأن يصلوا الى درجة عالية من العمل المهنى أو الفنى بل يظلون دائما يقومون بالاعمال اليدوية . وفى عام ٤١/٤٢ أعطت لجنة الضمان الاجتماعى فى اتحاد جنوب أفريقيا الارقام الآتية لمتوسط دخل الاوربى فى العام ستمائة دولار ومتوسط دخل الافريقى أربعين دولارا . كما صرحت حكومة اتحاد جنوب أفريقيا مرات عديدة بأن الهنود البالغ عددهم ٢٦٤٠٠٠ والذين استوردوا عام ١٨٦٠ ليعملوا فى مزارع قصب السكر ، يجب أن يعودوا إلى الهند . وليس الدافع لهذا القرار سوى دافع اقتصادى ، وخاصة فى « ناتال » حيث يزاحم تجار الهنود الاوربيون منافسة قوية . ويعتقد الاوربيون أن التاجر الهندى نظرا لقلة تكاليف معيشته ولانخفاض مستوى حياته ، لانه يعيش وعائلته فى ذات المتجر ، يستطيع أن يبيع بضاعته بسعر أرخص من الاوربى الذى يحتاج الى سكن له ولعائلته تتوفر فيه كل أسباب الراحة والرفاهية ، بل انهم يذهبون الى أبعد من ذلك ويمنعون الهندى من ان يسكن فى المناطق التى يسكنها البيض لانه يهبط بمستوى الحياة فيها ويضطرهم لهجرها وبيع مساكنهم بأثمان بخسة .

ودليل آخر على ان الجشع الاقتصادى سبب للبلاد مازراه فى النظام الاقتصادى لاتحاد جنوب أفريقيا ، حيث يعتبرون أن رخص اليد العاملة وسيلة أفضل للاثراء من استثمار رأس المال فى الصناعات التى تحتاج الى عمال فنيين يحتاجون الى مرتبات عالية • وتدل الاحصاءات على أن الدخل القومى للافريقيين فى جنوب افريقيا فى عام ١٩٥١ يبلغ ١٤٪ من الدخل القومى العام• وقد كان دخل الاوربيين قبل الحرب فى علم ١٩٣٨ يبلغ ٨٠٪ من الدخل القومى •

ويحرص الاوربيون على ترك الافريقيين ليفتك بهم الجهل والمرض والفقر ، فلا يوفرون لهم العناية الصحية اللازمة ويحرمونهم من التعليم ، واذا سمحوا لهم به ففى حدود معينة • ولا يمكن لشخص لا يتوفر له التعليم ولا يتمتع بالصحة أن يقوى على زيادة دخله لتتحسن حالته الاقتصادية • واننا حين نقول ان العامل الاقتصادى اكثر فاعلية من غيره لا نرسل القول جزافا ، بل عندنا الدليل القاطع على ماتقول ، فاننا لنرى أنه حيث يزداد عدد الأوربيين تكون التفرقة العنصرية أكثر استشراء ، فهى تبلغ القمة فى جنوب أفريقيا وتنخفض فى كينيا وتكاد تختفى فى أوغندا ، ونرجو الا يفهم مما تقدم ان التفرقة العنصرية مقصورة على جنوب أفريقيا بل موجودة فى الكنغو البلجيكى حين لا يسمح بالحقوق النقابية للعمال الافريقيين ، وحيث يبلغ عدد الاطفال الأوربيين الذين ينالون تعليمهم الأولى ٩٠/ من عدد أطفال الأوربيين ، وتنخفض هذه النسبة لدى الاطفال الافريقيين الى ٣١٪ • وكذلك الامر فى كينيا وفى أوغندة ولكن فى حدود ضيقة • وفى أمريكا ، وخاصة فى الجزء الجنوبى منها لا تزال التفرقة ضيقة • ورغم محاولة الدولة لوقف التفرقة العنصرية تعمل على اذلال بعض أفراد الجنس البشرى •

ومما لا ريب فيه أن هذا العمل غير الانسانى يترك آثاره السيئة لا فى الملونين وحدهم ، ولكن فى جميع أفراد الجنس البشرى ، فقد تسببت سياسة التفرقة

العنصرية فى الهبوط بمستوى المعيشة عند الشعوب الافريقية وانتشار الامراض ، وليس عندنا ما نقوله أكثر مما ورد فى تقرير لجنة القوانين للوطنيين سنة ١٩٤٨ وهى تصف آلام ومآسى الافريقيين الذين لم يكن لهم حظ السكن فى المدن . ان أغلبية مناطق السكن المخصصة للافريقيين تعتبر كارثة على صحة السكان ووصمة عار وغير صالحة لسكنى البشر ، ولا تزيد عن انها أوكار مظلمة وقذرة تضيق بأمتعة غير نظيفة وعديمة الفائدة ولا يستطيع الشخص أن يتصور من الاحوال ما هو أكثر ملاءمة منها لانتشار السل .

وان هذه الاحوال التى وصفناها والآثار التى تتركها فى نفوس الملونين كانت ولا تزال مصدر الحنق فى نفوسهم وسببا للاضطرابات وعدم الاستقرار وتاريخ الشعوب الافريقية ملىء بالكفاح المرير ، ففى أول مايو سنة ١٩٥٠ نظم اضراب فى ترانسفال ، وفى مايو من ذات العام حدث اضراب سياسى شامل ، وفى ٧ مايو سنة ١٩٥١ نظم احتجاج الملونين فى مدينة الكاب كما نظمت الهيئتان القوميتان فى جنوب أفريقيا حملة عنيفة ضد التفرقة العنصرية سميت حملة التحدى .

وليس أدل على آثار التفرقة العنصرية فى الضمير العالمى من أن المؤتمرات الدولية المختلفة أدانت سياسة التفرقة العنصرية ، فقد ندد بها وأدانها المؤتمر البرلمانى الدولى فى هلسنكى فى عام ١٩٥٥ وأدانتها هيئة الامم المتحدة فى دوراتها المختلفة .

والآن هل تقف الانسانية مكتوفة الايدى أمام هذه المشكلة التى أثقلت الضمير العالمى ؟ .. كلا . فقد استيقظ الضمير العالمى ، واستيقظ الكثير من حكومات العالم ، وتنبهت لاخطار هذه المشكلة ، بل نحن نجد ان المساواة بين الشعوب بصرف النظر عن اللون جزءا من ديباجة ميثاق هيئة الامم المتحدة:

« نحن شعوب الامم المتحدة مصممون على توكيد ايماننا بحقوق الانسان الاساسية من أجل كرامة أفراد البشر وعزتهم ، وبالمساواة فى الحقوق بين

الرجال والنساء ، وبين جميع الدول الكبيرة والصغيرة ، وخلق الجو الذى تتوفر فيه وتصان العدالة واحترام الالتزامات المترتبة على المعاهدات ومصادر القانون الدولى الاخرى ... »

وما دامت هذه هى شريعة الأمم المتحدة ، فمن واجبها ألا تسمح لأية دولة من الدول الأعضاء أن تمعن فى الاضطهاد والتفرقة العنصرية وتحرم أعضاء الجنس البشرى من ممارسة حقوقهم الاساسية وتحتقرهم وتدوس على كرامتهم وعلى القيم البشرية للفرد ، من واجبها ألا تسمح لها بالبقاء فيها الا اذا احترمت مبادىء الميثاق وعلى الامم المتحدة أن يكون سلطانها على الدول الاعضاء أكثر فاعلية وألا تقتصر على مجرد اصدار القرارات التى تكرر عاما بعد عام ولا تحترمها دولة أخرى ، فهذه هى الطريقة الوحيدة لحل المشكلات التى تجابهنا ، والا فان سلطان الامم المتحدة سيتقلص ، وسيتعرض السلام العالمى للاخطار واراقة الدماء .

واننا لنقدر جهد الامم المتحدة فى سبيل ايجاد حلول لهذه المشكلة ، فاللجنة الفرعية لحقوق الانسان قررت فى تقريرها الصادر فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٧ ما يأتى :

« ان منع التفرقة العنصرية هو منع أى عمل ينكر على الافراد أو الجماعات حق المساواة فى المعاملة وفقا لرغبتهم » .

كما أن اللجنة أوصت فى عام ١٩٥٢ بأن تمد خدمات المساعدة الفنية لمعاونة الدول الاعضاء حتى تتمكن من القضاء على التفرقة العنصرية وسوء المعاملة ولتحمى الاقليات .

وفى مؤتمر الشباب الافريقى الاسيوى الذى عقد فى القاهرة فى فبراير سنة ١٩٥٩ كان لى الشرف أن أكون عضوا فى وفد الجمهورية العربية بلجنته السياسية ، وقد تقدمت الى المؤتمر ببحث عن دور الشباب فى القضاء على التفرقة العنصرية إجتزىء منه ما يلى :

«حتى عام١٨٧٨ لم يكن الاستعمار قد تمكن بعد فى أفريقيا وآسيا الامن بعض السواحل وبعض البلدان كالرأس وموزمبيق وأنجولافىآسيا ، وقدنجح أفريقيا والهند وأندونيسيا وبعض جزر الشرق الاقصى فى آسـيا ، وقد نجح الاستعمار فى السيطرة على أفريقيا وآسيا فى الثلاثين عاما التالية ، كما نجح فى السيطرة على كل مصادر المواد الأولية فى البلاد التى استعمرها ونجح فى اشعال الحروب وايجاد التفرقة بين أبنـاء الوطن الواحد وأبناء الشـعوب المتجاورة رغبة منه فى دوام سيطرته على تلك البـلاد وقد اشعلت بريطانيا حرب الافيون لمدة ٢٠ عاما بحثا عن السيطرة على موانيء الصـين وأشعلت فرنسا الحرب فى جنوب الصين لمدة أحد عشر عاما حتى تضمن لنفسها السيطرة على أنام وسيام وكمبوديا ولاوس وأشعلت أمريكا نيران الحـروب والفتن الداخلية لكى تسـتولى على فورموزا والفلبين وهاواى وقـد تم فى فترة لا تتجاوز ثلاثين عاما اقتسام أفريقيا وآسيا بين انجلترا وفرنسا وأمريكا والمانيا وهولندة والبرتغال وأسبانيا وايطاليا ، وقد عمد الاستعمار الى القضاء على كل مقومات الحياة فى الشعوب التى استعمرها ، فألغى التعليم الوطنى واللغات الوطنية وقطع كل صلة بين هذه الشعوب وبين جاراتها وعصف بالاقتصـاد الوطنى وجعل رؤوس الاموال فى أيدى الاجانب وفرض الامتيازات الاجنبية وقد وصف الاستعماريون أنفسهم بعض هذه الاساليب التى استخدمت فى آسيا وأفريقيا فقال الكابتن ميرفى المبشر الامريكى يصف ما رآه فى أفريقيا عام ١٨٩٥ وقد نشر هذا الوصف فى جريدة التيمس : « لقد رأيت عشرات من الايدى المقطوعة أيدى الرجال والاطفال والنساء الذين اتهموا بالاهمال فى الانتاج رأيتها وقد وضعت أمام ضابط أوربى وراح يعـدها ليتأكد من أن جنوده الوطنيين لم يضيعوا الرصاص فى الهـواء » وقال الرحالة الالمـانى فروبنيوس يصف فى عام ١٨٠٢ ما رآه فى أفريقيا أيضا فيقول : « شهدت أحد الزنوج وقد فشل فى تغطية ما تلقاه من القطن بالمطاط ، بينما وقف أحد العملاء الزنوج بجانبه ووقف أحد الاوربيين من الناحية الاخرى وقد حمل كل منهما

عصا غليظة وراح يضرب الزنجى ضربا مبرحا بدا لاسماعنا كطنين الطاحون وكلما تحملت عصا أبدلت بغيرها سريعا حتى لا يتوقف الضرب ، ولم أستطع أن أحصر من الضربات أكثر من ١٠٦ فقط ويغلب على ظنى انها جاوزت ١٥٠ ضربة ، كان الفتى لم يستطع أن يتحرك فحملوه بعيدا والدماء تنزف من خمسة جروح ثم مات • وليست هذه قصة غير عادية ولكنها تتكرر كل يوم مئات المرات • فى أفريقيا حيث يعامل الوطنيون الذين يتغيبون عن أعمالهم أو يهملون فيها بمثل هذه المعاملة الشاذة أو يعاقبون على الاقل بالاشغال الشاقة المؤبدة •

حتى الجريدة الرسمية لافريقية الغربية الفرنسية نشرت عام ١٩٥٠ تصريحا لاحد المواطنين واسمه هازوم قال فيه « طردت السلطات السكان الاصليين من بلادهم وذلك لكى تبيع أراضيهم الغرباء أوربيين أو لشركات تجارية تتركز هناك ومنذ أربع سنوات ومن أجل بناء مطار من الفئة « ب » فى ضواحى كونونو حصدت غابات النخيل وهى المصدر الوحيد لثروتنا وقد أجبر الاهالى على قبول تعويض رمزى قدره ٥٠ سنتيم عن كل نخلة «مقطوعة» وبعد تدمير مزارع النخيل هذه ، أوقف المستعمرون أعمال سكان البلاد جميعا وأجبروهم على الذهاب لتشييد مطار « لوميه » •

وردد السيد/ تشيشبيل الممثل للكنغو الاوسط والمستشار الاعلى فى شئون أفريقية الاستوائية الفرنسية الوقائع التالية أثناء الدورة العادية للمجلس الاعلى لافريقية الاستوائية عام ١٩٤٩ فقال : —

« ان بلدة بانقا وأرض بانقا قد انتزع ملكيتها السيد/دار هاب وجردها من مزروعاتها العشبية بما فيها النخيل وغيره من الاشجار المثمرة ولقد قدر السكان الخسارة التى تكبدوها بحاصل تقريبى قدره ٣٠٠,٠٠٠ فرنك ولم يصرف لهم منها كتعويض وبعد تحفظات كثيرة سوى ثلاثة آلاف فرنك »

« ومن المؤكد ان هذه القرية الواسعة ستتلاشى وهذا محزن يقطع نياط القلوب حين نذكر غابة مايولبى التى كانت ممتدة بكل اتساعها تنشر ثروتها

اللا متناهية بين جميع الناس الطيبين الكاملين .. ان هناك قانونا استعماريا يطرد بالقوة الضعفاء المساكين من أراضيهم ويجردهم من ملكيتهم » .

وكتب الاب يوغندا فى مقالة له فى صحيفة الاوبزرفاتير عـدد ١٢ نوفمبر ١٩٥٣ فقال « ان زراعة القطن هى اجبارية والذى يحاول ان يمتنع عن الزراعة يتعرض لافظع الاخطار اذ يحكم عليه بالسجن شهرين أو ثلاثة شهور ويدفع غرامة تتراوح بين الف وأربعة آلاف فرنك وذلك بتهمة اهمال الزراعة .

وفى الجزائر ومنذ أكثر من مائة عام يقوم الفرنسيون بأبشـع حملة عرفتها البشرية لابادة الشعب الجـزائرى الباسـل والفرنسيون أنفسهم لا يخفون خجلهم من هذه الحملات المنكرة والذين أتيح لهم أن يقرأوا الكتب الفرنسية « العائدون يشهدون » « ملفات جون ميلر » « ضد التعذيب » يجـدون الحقائق التالية :

وتوجد فى الجزائر الكثير من الحقائق المرة التى تستهدفها حملات التعذيب والابادة فى الجزائر بحيث لم تعد هناك منطقة أو مدينة لا تتعاقب عليهـا عمليات التقتيل الجماعية بكثرة وبحيث لاتفرق العقلية الاسـتعمارية بين شيخ وشاب وطفل وامرأة وقد فضح أحد القضـاة الجزائريين هذه الوسائل فى مؤتمـر صحفى قال فيـه : لقـد توالت فظائع الفرنسـيين فى الجزائر كما توالت أعمال الاغتصاب الشائن التى يقومون بهـا فى الاحيـاء الاسلامية حيث يقتلون الرجال بين اسراتهم ويغتصبون نسـاءهم ثم يبقرون بطونهم . »

وجاء على لسان جندى فرنسى فى كتاب ضد التعذيب « لقد شهدت ٣٢ جزائريا وقد اعدموا فى بلدة اوليد بيشار وذلك بعد تعذيبهم وتشويههم » . وفى التقرير المرسل من النساء الجزائريات الى الاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى خلال شهر مايو سنة ١٩٥٧ الحقائق الرهيبة التالية : —

« تجرى حملات التفتيش فى كل وقت ففى جوف الليل يدق جنود المظلات

الفرنسيون الابواب دقا يخلعها من أماكنها ويقتحمون المنـازل كالعواصف الهوجاء فيدوسون بأقدامهم الاطفال النائمين على الارض ويعيدون السكان بمدافعهم الرشاشة وأخيرا يحملون معهم الاب أو الاخوة ويجهضون الحوامل ويلقون فى قلوب الصغار رعبا قاتلا حتى أصبح الاطفال يخافون مجىء الليل

وأعد الفرنسيون فى الجزائر غرفا للتعذيب تفوق فى بشاعتها غرف التعذيب النازية وفيها يقع على المشتبه فيهم أبشع أنواع التعذيب وأكثرها وحشية اذ يعلقون من الايدى والارجل أياما عديدة ، ودفن رؤوسهم فى حمامات المـاء المثلج حتى يفقدون الوعى ومن وسائل التعذيب الرهيبة طريقة التليفون وهى أن يربطوا الضحية الى مائدة ويمرون فوق جسمه أسلاكا كهربائية تحمـل صدمات كهربائية مخيفة حتى أن بعض المسجونين حاولوا الانتحار هربا من هذه الطريقة .

وفى أغسطس سنة ١٩٥٧ وفى مدينة بليدا قيد الجنود الفرنسيون ما يقرب من عشرين جزائريا والقوا بهم على الارض وهرسوهم بالجرارات ثم دفنوا الشهداء فى حفرة وغطوا الجثث بالجير الحى »

ان الاستعمار الفرنسى كالاستعمار الانجليزى كالاستعمار البلجيكى ككل أنواع الاستعمار يعمد الى نشر الخـراب والدمار والتعذيب فى كل بلد من البلاد التى ابتليت به لقد حرم الاستعمار الملايين من أبناء آسيا وأفريقيا من كل شىء . حرمهم من مصادر رزقهم وحرمهم من التعليم وحرمهم من الحرية .. فرض عليهم حصارا لا مثيل له فى تاريخ الانسانية .

لا يستطيع الوطنى ــ وهو فى بلده ــ ان يدخل مصانع معينة ولا مدارس معينة .. بل لا يستطيع ان يدخل مستشفيات معينة .. بل لا يستطيع أن يركب هو واسرته عربة من عربات السكك الحديدية أو الترمواى أو السيارات العامة . بل لا يستطيع دخول دور السينما أو المسارح أو أماكن اللهو . بل لا يستطيع دخول المكتبات والمطاعم ودواوين الحكومة ومكاتب البريد . بل

لا يستطيع ان يلتجىء الى المحاكم ليشكو ما يحيق به من ظلم وليست هذه التفرقة وسائل شاذة يلجأ اليها بعض الحكام بدافع من كراهية الوطنيين أو رغبة فى اذلالهم واحتقارهم بل ان هذه التفرقة العنصرية اتخذت شكلا رسميا فنص دستور اتحاد جنوب أفريقية الصادر فى ١٩١٠ على أن يكون أعضاء البرلمان من سلالات الاوربيين الا القليل بل وأصدر برلمان جنوب أفريقية عدة تشريعات مجحفة منها قانون تخصيص المناطق وقانون لوائح العمل للمواطنين — ويصف — د. الفايوس هاتتون — الكاتب الامريكى المعروف فى كتابه «تقرير المصير» : ان عدد الذين قبض عليهم لمخالفتهم هذه القوانين بلغ فى عام ١٩٥٤ وفى جنوب أفريقيا وحدها ١٠٣٢٤٠٠ر١ أى ١ر١٢٪ من مجموع السكان الافريقيين وان ٣٦٧٦٠٣ أفريقيا قد سجنوا فقط لمخالفتهم قوانين الانتقال الصادر فى عام ١٩٥٥ .

وليس من حق أى مواطن أفريقى شراء أى عقار أو أرض فى المناطق غير المخصصة لسكناهم وأقامتهم بتلك المناطق التى لا تزيد عن ١١٪ من المناطق المخصصة للبناء فى جميع انحاء البلاد بالرغم من أنهم يكونون ثلاثة أرباع السكان وقد أكد بوتيكا ولسون أحد رجال القضاء فى جنوب أفريقية « ان عدد السكان الافريقيين ضخم جدا بالنسبة لقلة الاراضى المخصصة لهم وفى محلة كيسكى لا تملك العائلات المقيمة هناك شبرا من الارض وان الجانب الأكبر من دخل هذه العائلات لايكاد يكفى نفقات الطعام وحده وقد صدر عام ١٩٥١ قانون يمنع استخدام الوطنيين فى الأعمال الفنية دون استصدار الترخيص اللازم وهذا الترخيص لا يعطى الا فى النادر على الرغم من أن عدد العمال الافريقيين وفقا لاحصاء سنة ١٩٥٤ يقدر بـ ٨٢٪ من عدد العمال فى أنحاء جنوب أفريقية . »

وقد صدر قانون الآداب العامة عام ١٩٥٥ الذى يجعل الافريقيين مسئولين عن زواج مختلط يتم بينهم وبين الاشخاص المنحدرين من أصل غير أفريقى فالزواج من اوربى أو اوربية يعتبر جريمة اذا قام به احد الافريقيين .

وقوانين العمل فى جنوب أفريقية تحرم على العامل أن يهجر عمله دون اذن من صاحب العمل حتى ولو حرمه صاحب العمل من أجره شهورا متعددة .
وكل عامل أفريقى يتعرض للبطالة يبحث عن عمل دون الحصول على ترخيص من الحكومة يعاقب بالسجن .

وقد صدر أيضا قانون سمى « قانون الكسل أو التشرد » يتيح للحكومة القبض على الوطنيين الذين يغادرون مرغمين محلات اقامتهم التماسا للرزق فى منطقة أخرى توجه اليهم تهمة التشرد أو تهمة الكسل وعقوبتها السجن لمدة طويلة وأحيانا لفترة غير محددة .

وقد أصبح من سلطة حاكم المنطقة أى منطقة ارسال الوطنيين بالجملة الى مناطق المستعمرات للعمل فيها سنوات عديدة وتسليمهم لاصحاب الاعمال لتسخيرهم دون أخذ رأيهم فى هذا العمل بل دون اعطائهم جزءا ضئيلا من أجورهم .. وقد أصدرت المحاكم بناء على هذا القانون احكاما بتسخير ٨٩٦٠٠٠ عامل من الافريقيين الملونين .

ولا يحدث هذا فى جنوب أفريقية وحدها بل أنه يحدث فى الكونغو البلجيكى وفى أوغندا وفى أفريقية الاستوائية وفى كينيا وفى كثير من المناطق الافريقية ولذلك زادت نسبة الوفيات فى هذه المناطق من ٢٠ر٩٪ الى ٦٠٪ فى الاقاليم القريبة من أفريقية الفرنسية وتم حصر سبعة آلاف من الاطفال وكانت النتيجة أن نسبة الاطفال الذين أصيبو بأمراض سوء التغذية تتراوح بين ٤٤ر٥٪ ، ٩٠٪ من الذكور وتتراوح بين ٤٣٪ ، ٨٤ر٢٪ بين الاطفال والاناث . »

وأبت المدينة الاوربية الحديثة الا أن تغير وتبدل « ثورات » الاستعمار ، فلا يليق بها وهى الحريصة على التجديد والتبديل والتغيير أن تقف عند حد الرق أو السخرة أو التفرقة العنصرية ..

لقد سرقوا الارض ..
وسرقوا ، أصحاب الارض ..

وباعوا الارض ..

ثم باعوا أصحاب الارض ..

ولم يبق الا أن يبيعوا العرق والجهد ..ثم راحوا يقولون انهم يفعلون ذلك استجابة لنداء الانسانية ... ولندع بعض الاوربيين يتحدثون عن الطرق المستحدثة فى سرقة العرق والجهد ، والدمع والدم ..

ويقول جنرال اورو براون فى كتابه « العامل الافريقى » أن حكومة تنجانيقا وحدها قد سخرت فى عام واحد مجهودات الوطنيين بلا مقابل ما يعادل ٤٠٠ر٠٠٠ يوم من أيام العمل » .

أما ميشيل يونج — أحد الناطقين بلسان حزب العمال البريطانى — فيقول فى كتاب له : مهما حاولنا ان نبرر سياستنا ووجودنا فى أفريقيا فان ذلك لا يمحو الحقيقة الواقعة وهى أننا ذهبنا كغزاة واعتمدنا فى بقائنا عن حق الفتح وعلى قوتنا واذا كان الكثيرون من كتاب المحافظين قد تحدثوا عن نعمة الحكم البريطانى على الهند وأفريقية فها نحن بعد أربعمائة عام من حكم الهند لا يزال دخل الفرد السنوى أربعة جنيهات ، ولا زالت الغالبية العظمى من الشعب تعانى الانيميا والملاريا أما فى أفريقية فالحال أدهى وأمر فقد طردت أقليات من البيض أهل البلاد الاصليين من أرضهم وساقتهم كالقطعان للعمل فى المناجم أو الحقول بأبخس الاجور ومنعت عنهم التعليم وفرضت عليهم الضرائب ولم تسمح لهم بركوب الترام أو السيارات العامة .. بل حرمتهم حتى من مجرد السير على نفس الرصيف أو الاقامة فى نفس الاحياء مع الذين كانت مواهبهم مجرد كونهم من ذوى البشرة البيضاء..

أما ليدى سيمون فى كتابها « الرق » فتقول : لقد ارتكبنا من جرائم تسخير الشباب السود مالا مثيل له وذلك من أجل أعمال ندعوها عامة وهى لا تمت الى هذا الوصف بصلة ما .. »

وفى كثير من الاحيان لا يتقاضى العامل شيئا عن عرقه وجهده » . ولقد

ازدادت فيما يقول الشاعر الزنجي اليوث ديوب حلقات الاستعمار على مر الايام وأصبح من شأنها أن تهدد حياة الشعوب ، واقتصادياتها، وعقائدها .. بل حتى توازنها الحيوى ... والثقافى .. »

ووصفت جريدة مورننج بوست الافريقية فى عــدد يوليو ١٩٣٦ ما يعانيه العمـــال الافريقيون من جراء الاستعمار فقالت : ان العمـــال يسخرون كالرقيق تماما ... ويخدعون فى كل شيء حتى فى دفع رواتبهم .. بل بلغ الأمر حد قسر هؤلاء الضحايا على شراء سلعهم من أماكن معينة مع دفع أثمان ما يلزمهم من معاول الحفر وما اليها من أدوات ثم بعدئذ يلقى بهم الى عرض الطريق بل تلهب جلودهم أحيانا بضربات السياط أو تتكسر أظافرهم من أثر الضرب الشديد أو تشوه وجوههم الكدمات .

لقد بلغ الاوربيون حدا من القسوة على هؤلاء السود جاوز حد الخيال.. أليس من العار أن يجبر عامل على العمل المرهق من الخامسة والنصف صباحا الى السابعة مساء ومن أجل ٤ بنسات فقط ...

ولذلك تم لأوربا وأمريكا أن تسيطر على أفريقية سـيطرة تامة ، وأن تملك الأرض وما عليها . ففى الجزائر — مثلا — تملك الشركات الفرنسـية — شركات الكروم فقط ٧ر٢ مليون هكتـار من الأراضى الزراعية الجيدة وتملك الحكومة ١١ مليون هكتــار ... ويملك المستوطنون الفرنســيون أضعاف .. أضعاف هذا وذاك .

وفى أفريقية الاستوائية الفرنسية تملك الشركات الفرنسية ما يقرب من مليونى هكتار ..

أما فى السنغال فلا يقل ما تملكه الشركات الفرنسية عن ٩٠ ألف هكتار من أجود الاراضى الزراعية .

وتملك أيضا الشركات الفرنسية فى الكاميرون ٢ مليون هكتار .

وفى الكونغو البلجيكى يملك الأهالى — كل الاهالى — ١٠٪ من مجموع دخل المؤسسات الخاصة ، بينما يملك السكان الأجانب ٩٠٪ منها .. بينما لا يزيد عدد السكان الأوربيين عن نصف فى المائة من مجموع سكان الكونغو

وفى روديسيا يملك ١٩٪ من السكان — هم السكان الوطنيون — ٥٪ من دخل المؤسسات بينما تملك الاحتكارات الأجنبية مايتراوح بين ٩٠٪ ، ٩٥٪ من الدخل .

وفى الكونغو يملك ٢٤ ألف أوروبى ٣ مليون رأس من الغنم بينما لايملك أهل البلاد وتعدادهم ٤٫٤٣٦٫٠٠ شيئا من هذه الثروة ..

وحققت شركةأفريقية البريطانية فىعام ٩٥٨من الأرباح ماقيمته مليون جنيه استرلينى زادت الى ٢٩ مليون جنيه فى عام ١٩٥٠ ..

وحققت الاحتكارات البريطانية فى غرب أفريقية وأوغندا فى الفترة مابين عامى ١٩٤٥ — ١٩٥٢ ربحا صافيا قدره ١٣٣ مليون دولار من الكاكاو ... وزيت النخيل فقط بينما كان نصيب شركات المناجم الانجليزية فى جنوب أفريقية عام ١٩٥٣ من الأرباح ما يعادل ١٤٧ مليون جنيه من الذهب ، ٢٥ مليون جنيه من الماس ، ٤٠ مليون من اليورانيوم ، ٥ مليون من المنجنيز والكروم .

وتستخرج كل عام الشركات البريطانية فى السنغال قرابة ٣٫٧٦٠٫٠٠٠ أوقية من الذهب ، تذهب كلها الى جيوب المستعمرين ..

حتى أمريكا التى لم تكن تلتفت الى افريقية من الناحية الاقتصادية ، قد أخذت هى الأخرى ترث بريطانيا وفرنسا فى المناطق الضعيفة من مستعمراتهما . كما أخذت أيضا تعمل كل ما فى وسعها للسيطرة التامة على افريقية

لقد كانت أمريكا قبل الحرب العالمية الثانية لا تستغل فى افريقية أكثر من ٣٪ من مجموع رءوس الأموال الأجنبية .. وكانت تجارتها لا تتعدى ٥٪ من التجارة مع افريقية .

وزادت الاستثمارات الأمريكية المستثمرة فى افريقية لم يزد فى هـذه ـ ٨٠٠٪ أى أن رقم الأموال الأمريكية المستثمرة فى افريقية لم تزد فى هذه الفتـرة الا ألف مليون دولار فقط أى أن الرقم ارتفع فقط من ١١٠ مليون دولار الى ١٢٠٠ ـ بخـلاف ٦٠٠ مليون دولار قامت أمريكا باقراضـها أو بتسليمها الى « دلاديلها »

واسـتنزفت أوروبا ومعها أمريكا ، كل ما يمكن اسـتنزافه من خيرات افريقية ، ومواردها ـ وأبادت أوربا ـ ومعها أمريكا ، كل ما يمكن ابادته من مقومات الحياة فى افريقية . وخيل للمستعمرين من الأوربيين والأمريكيين أن المسألة قد انتهت وأن القارة البكر السوداء قد احتلت الى الأبد ..

ولكن !! ..

ما أصعب « لكن » على الاستعماريين ، وأذنابهم .. وعملائهم . .

لقد اسـتيقظ ـ كما قال جمال عبد الناصر ـ المارد الأسود من نومته الثقيلة .. وقام ينفض عن جسده الأغلال مقسـما أن يسـتخلص أرضه ، ويسترد حريته ، ويستقل بخيرات بلاده وليس لمن يعترض سبيله غير الموت الزؤام ...

هذه القارة السوداء ، كان حلما سـعيدا يملأ ليالى بريطانيا بالأمانى البيضاء ثم لم يلبث الصبح أن أشرق عن الحلم والحالم .. فابيضت وجـوه واسودت وجوه ؟ !

واستيقظ المارد الأسود !

« أما اليوم فقد تغير الزمن وانفتح مستقبل جديد أمام الشعوب الافريقية ، ومن ثم أمام الانسانية كلها .. ومن ناحية أخرى فان تحرير افريقية يعنى أن تعود للظهور على المسرح العالمى ، حضارتان كبيرتان عملت الدول الاستعمارية ، بوحشية على سحقها ، أولاهما الحضارة العربية ، والثانية حضارة الشعوب الافريقية السوداء ... »

النائب الفرنسى بيركوت

هل كانوا يتوقعون لأنفسهم وهم الذين احتلونا وأذلونا عشرات السنوات ، حاولوا فيها القضاء على حرياتنا ، وخيراتنا ، وحياتنا ، يتوقعون مثل هذه النهاية المؤلمة ؟

وهل كانوا — وهم الغزاة القساة الذين استولوا على أرضنا بالأساطيل والدبابات والسيارات المصفحة تارة وبالقوة والخديعة والسرقة تارة أخرى ينتظرون أن تقوم يوما ما مثل هذه الثورة العارمة التي أذلت كبرياءهم — وأنزلتهم من على عروشهم ..

وهل كان أولئك الذين قضوا السنوات الطويلة يموهون فيها على الشعرب الافريقية بالعبارات المنمقة ، والشعارات المزيفة مرة باسم الحكم الذاتي ومرة باسم الوصاية ، ومرات بأسماء الانتداب والمعونات الأجنبية والأحلاف الاستعمارية ، يأملون أن تنكشف خططهم ومؤامراتهم بمثل هذه السهولة .. وبمثل هذه السرعة

وهل دار فى خلد أولئك المستعمرين الأوربيين أن الوسائل التى استخدموها بحذق ومهارة طوال السنوات الماضية ، لتفرقة الشعوب الافريقية، وتمزيقها واشاعة روح الهزيمة والجبن بين أبنائها سترتد يوما الى نحورهم وستعجل يوما ما بقرب نهايتهم ، وستكرن يوما ما من العوامل التى تطردهم من القارة الافريقية .

وهل ظن أولئك الذين استخدموا الحديد والنار لضرب الحركات الوطنية الشعبية واستخدموا أخس الطبقات ما العملاء والأذناب للقضاء على الحركات التحررية . ثم ملأوا السجون والمعتقلات والمنافى بخيرة الوطنيين فان هذه الوسائل لن تزيد شعوب القارة الا اصرارا على القضاء على العدو ... وأذنابه .. وعملائه

هل اعتقد يوما الاستعماريون الامريكيون — الجدد — أن محاولتهم لميراث الاستعمار البريطاني والفرنسي والهولندى تحت تأثير المساعدات

المالية والمشروعات الاستعمارية ان شعوب القارة الافريقية ستكشفهم وتفضحهم ، وتقلب خططهم رأسا على عقب .

هل ظن الاستعماريون — الأوربيون والأمريكيون — يوما ما أن القارة المظلمة .. الداكنة ستحمل يوما مشعل الحرية والمساواة ، وستفاجيء العالم كله بثورة القرن العشرين .. ؟

بعض غلاة المستعمرين أيقنوا أن افريقية ستكون لهم الى الأبد ... كل ثورة فيها يستطيعون القضاء عليها ببصقة كما قالوا فى ثورة سنة ١٩١٩ .. وكل حركة تحررية يستطيعون الاستفادة منها ببضعة آلاف من فرسان جورج الخامس — الجنيهات الانجليزية — وكل زعيم وطنى افريقى ، يستطيعون شراءه بكرسى من كراسى الوزارة أو النيابة .

وبعض هؤلاء المستعمرين كان بعيد النظر عرف بواسع تفكيره الحقيقة المرة .. عرف أن الاستعمار ككل كائن حى له بداية .. ونهاية

أيقن هؤلاء أن الشعوب قد تغمض أعينها سنوات وسنوات ولكنها لاتنام أبدا ... وقد تغفر لأبنائها بعض غلطاتهم ولكنها الا تغفر للمحتل أبدا اذلاله ، واستعباده . قد تنحنى للعاصفة .. ولكنها لا تفقد مقومات حرياتها ، وحياتها

أيقن هؤلاء الذين استمدوا أفكارهم وآراءهم من اتصالهم بالشعوب ، أن القارة الافريقية ان صبرت أعواما واعواما فانها لا يمكن — وهى التى شهدت يوما أرقى الدنيات وأقدم الحضارات أن تقبل الذل .. والضيم .. ولو كلفها ذلك الملايين من الضحايا ..

أما أولئك الذين استبعدوا قيام أبناء افريقية بثورة تدك معاقل الاستعمار فقد كانت اتصالاتهم وكانت آراؤهم مستمدة من الطبقة التى يتعاملون معها طبقة الخونة .. والعملاء .. أعداء الشعوب

* * *

الاستعمارى القديم سيسيل ردوس يقول :

لقد بنينا امبراطورية فى أمريكا وفقدناها ، وبنينا امبراطورية فى الهند ، وسنفقدها يوما — وقد فقدت بالفعل — ولكن امبراطوريتنا الثالثة والدائمة هى افريقية ..

الفاشيستى البريطانى ، موزلى يقول : اذا ربطنا اتحاد أوروبا بتقـــدم أفريقية فى نطاق جديد يجمع القارتين معا فاننا نبنى مدينة تتفوق على كل ماعداها ونبنى قوة توازن أية قوة أخرى فى العالم .. » ثم يضيف موزلى : ان افريقية ستظل تابعة لأوربا

اللجنة التنفيذية لحزب العمال تضع فى برنامج حزب العمال أن من الامور المسلم بها تماما أن أوربا الغربية لا تستطيع أن تعيش بذاتها كوحدة اقتصادية مستقلة . ان أى محاولة لتقليل اعتمادنا عـلى الواردات الامريكيـة تتوقف قبل كل شىء على تنمية الموارد الهائلة للقارة الافريقية ولكن مثل هذه التنمية تعتمد على التعاون الوثيق بين الدول ذات المصلحة فى أفريقية . » وتضيف اللجنة : « وسيستمر هذا التعاون الى الأبد .. »

هارولد ويلسون رئيس مجلس التجارة يصرح فى مجلس العموم فى ٦ يوليو ٤٨ بأنه يتفق فى الرأى الذى أعلنه عدد كبير من الاعضاء المحترمين فى كثـير من المناسبات فى « أن تنمية المناطق المختلفة فى أفريقية وغيرها يعاون أكثر من أى شىء آخـر فى اصـلاح ميزان المدفوعات الدولى فاذا زدنا من اهتمامنا بمشروعات تنمية المستعمرات فان من الممكن أن يبدل اتمام هذه المشروعات فى خلال فترة محسوسة — خلال جيل مثلا — ميزان المدفوعات الدولى »

***

فوستر دالاس يرى — كما قالت الصنداى تيمس فى ٤ يوليو ٤٨ — : من وقت بعيد أن تقوم الولايات المتحدة بتقديم المعاونة المالية والفنية للعمال على تنمية القارة الافريقية فانه يمكن أن تغنى أوربا كلية عن الاعتماد على موارد اوربا الشرقية .. وهو هدف يجب تحقيقه .

السير تورمان انجل يقول فى الديلى هيرالد ٦ سبتمبر سنة ١٩٣٥ » ان من خطل الرأى حقا ان نعتقد ان الدول الكبرى الحديثة تحتاج الى مساحات جديدة تحصل منها على المواد الخام اللازمة لها أو تصرف فيها منتجاتها ان الأمر كله لايعدو أن يكون نوعا من الشراهة للحصول على رءوس أموال أكثر، فليست هناك دولة تقبل أن تتنازل عن مستعمراتها أو مواردها الخام دون مقابل من المال ... ان المال هو فى النهاية كل شىء وما المستعمرات والمواد الخام الا وسائل للحصول عليه »

وزير المستعمارات البريطانية يصرح فى جلسة ٣٠ فبراير سنة ١٩٣٦ أن الحكومة البريطانية لم تفكر فى الماضى ولا تفكر حاليا فى تسليم أية بقعة من بلاد الانتداب الأخرى .

***

مستر فرجل فوران رئيس ادارة المشوشمر الصناعى القومى للولايات المتحدة الامريكية يقول : مهما تكن نتيجة الحرب فان أمريكا قد وضعت برنامجا لمستقبل استعمارى فى الشئون الدولية وكذلك فى جميع مرافق حياتها الخاصة » .

لويدليوبولدمور يتحدث فى سنة ١٩٤٨ عن رفض الشعوب الافريقية لفكرة الاتحاد تحت ظل الاستعمار فيقول : ما هذا الكلام الذى يقال عن قضية الوطنيين ان رأيهم لا يساوى شيئا البتة وهم فى الحقيقة لا يفقهون المشكلة التى تنطوى عليها القضية التى قدموها ولا يعرفون عنها شيئا ، ان للجنة ترفض الاتحاد بحجة أن الافريقيين لا يوافقون عليه . حسنا ان الوطنيين ليس لهم الحق فى الموافقة أو رفض الموافقة على الاتحاد لاننا ندير الموقف بأنفسنا وسنواصل ادارتنا له مدة جيل وربما لجيلين أو ثلاثة .. »

***

وتنشر التايمز فى ٤/٢/٤٨ مقالا بقلم سير فيليب ميتشل يقول فيه : أن الشعور بالقلق موجود عند الارستقراطيين البيض فى مرتفعات كينيا ولا شك

على الرغم من شعور الاعجاب بشخصية مستر جونس وزير المستعمرات وبوأعماله لما يردده هو وغيره من المتدينين البريطانيين من أن هدف السياسة البريطانية فى المستعمرات هو الحكم الذاتى وقد يفهم بعض الأوربيين فى المستعمرات من هذه النغمة التى تتردد كثيرا أن عليهم تسليم السلطة فى أقاليم أفريقية الشرقية الى الأغلبية الأفريقية فى المستقبل القريب وهو أمر بعيد التحقيق .

وأشار فيليب الى تصريحات الحاكم التى أدلى بها بعد أن تجرأ الأفريقيون المتعلمون على التفكير فى حكومة ذاتية فقال ان فكرة حكومة ذاتية أفريقية ماهى الا فكرة خيالية ثم واصل سير فيليب كلامه قائلا : « لا يمكن فرض مثل هذه الحكومة علينا لأن كينيا تسير الآن نحو بناء دومنيون جديد فى الكومنولث حيث يكون البريطانيون وحدهم هم القوة التى فى يدها التوجيه والاشراف لاطول مدة ممكنة .. »

لقد كان هؤلاء يظنون أن كل شىء لهم .. وأن أية أحاديث عن مستقبل القارة الأفريقية لابد وأن تكون فى اطار المصالح الاستعمارية .. وبالطبع كان ظنهم خاطئا فان القرة التى سكتت طويلا رفعت رأسها عاليا وأسمعت الدنيا كلها ...

لقد ثارت ثورتها العنيفة العارمة التى شهد لها الاستعماريون أنفسهم وأصدقاؤهم ....

لقد اعترف هؤلاء من ذوى الافاق الواسعة بما للثورة الافريقية من آثار لا على الاستعمار فى أفريقية وحدها ... بل فى العالم كله ...

كتب النائب الفرنسى بيركوت مقالا عن مغزى تحرر أفريقية يقول فيه :

خلال قرن ونصف من الزمان أختيرت أراضى أفريقيا لتكون مرتعا للاستعمار وقد ذهب اليها تجار الرقيق للبحث عن « الدواب الانسانية » التى يحتاج اليها أصحاب المزارع الكبيرة فى أمريكا أما فى أفريقيا نفسها فقد رفعت الدول

الاستعمارية الكبيرة وخاصة بريطانيا وفرنسا أعلامها وأنشأت امبراطوريتها .. ثم أرسلت اليها الحملات العسكرية لغزو مراكش والجزائر وغيرها ..

« أما اليوم فقد تغير الزمن وانفتح مستقبل جديد أمام الشعوب الافريقية ومن ثم أمام الانسانية كلها .. ومن ناحية أخرى فان تحرير أفريقيا يعنى أن تعود للظهور على المسرح العالمى حضارتان كبيرتان عملت الدول الاستعمارية بوحشية على سحقها ، أولاهما الحضـــارة العربية والثانية حضارة الشعوب الأفريقية السوداء .

اللورد هايلى يقــول فى مقالة نشرها دريك هارتون فى كتابه : « أفريقية ، أفريقية » ما يلى :

ان اهتمامنا بأفريقية يرجع فى الحقيقة الى أنهـــا على حافة الدخول فى عالم الحرية والاستقلال انهم يقولون انها المعقل الاخير للامبراطوريات والكل يرى بوضوح أن هـــذه الامبراطوريات قد وصلت الى مصيرها المحتـــوم .. ان الخسائر المتعددة التى اصبنا بها فى آسيا جعلت الكل يفكر هل يمكن انتتكرر هذه الخسائر فى أى مكان آخر من هذا العالم وأى مكان آخر هنـــاك غير أفريقية ؟

ودريك هارتون يقول فى كتابه أفريقية فى العالم الحديث نقلا عن هارى روب» : ان أفريقية لم تعد مرتعا خصبا أو أساسا اقتصاديا مضمونا لحية أوربا المعاصرة وان هذا الاضعاف للاساس الاقتصادى لحياد أوربا يأتى فى وقت يجد فيه الاوربيون أنفسهم تحت ضغط حاجة أقوى عن زى قبل فى أن تظل المستعمرات الافريقية فى قبضتهم وفى هذه الظروف الدولية وفى تيار الحرب الباردة والتهديد بحرب عالمية ثالثة يجب أن يكون الاساس الاقتصادى لحياة أوربا ثابتا مضمونا وقويا .؟

وفى موضع آخر يرى هارى روبين : أن من نحس أوربا وسوء طالعها أن يطلب الافريقيون التحرر وأن يبادروا بتحقيق الفرص الاقتصادية لبنى جلدتهم

فى نفس الوقت الذى يشتد فيه احتياج أوربا لافريقية .

أما جريدة نيوستيسمان فتقول فى صراحة ورضوح :

ان على بريطانيا أن تعترف بالحقــائق وتواجهها وتعترف بأن امبراطوريتها انهارت وان تستعد محافظة على كرامتها للانسحاب بسرعة وبمحض اراداتها من البلاد التى تطالب بحقوقها لان هذا يكسبها حســنة هى فى حاجة اليها ، وهى صداقة الشعوب . ان ما يجب عليها أن تفعله الآن هو أن تصحح أخطاء الماضى وأن تتحنى أمام العاصفة الوطنية الجبارة التى ستجتاح العــالم حتى تستطيع الاحتفاظ بالبترول هو عماد حيــاتها . ومن ســوء حظنا أ نه يقع فى منطقة هذه العاصفة وحذار أن نجازف بقطع هذا المورد عنا .. ان العنف لن يجدى بل ان التفاهم هو الاجدى والاعتراف بالحق فضيلة ..

ويقول دافيدسون فى كتابه صحوة أفريقية .. فى طول أفريقية وعرضها .. من تلال برقة الى جبل النضدة،ومن ساحل الاطلسى الى المحيط الهندى وعبر المراعى الخضر بين هذا كله تدب فى الشعوب الافريقية على أيامنا هذه صحوة تشمل الطريقة التى تقوم عليها حياتهم والطريقة التى يحبون أن يقيموا عليها هذه الحياة ... انها رغبة فى تغيير متعدد الجوانب ، يستهدف اللحاق بركب العالم الحديث ووضع نهاية للذلة والخنوع وبدء عهد من الحرية والمساواة..

ويردد نفس المعنى بصراحة ، أكثر ، الكاتب جورج بادمور فى كتابه : أفريقية امبراطورية بريطانيا الثالثة .. » فيقول

لكن قيم العنف وقيم كراهية الرجل الابيض .. ليس السبب قطعا هو أن العنف والتعصب طبيعة فى نفوس الافريقيين فالشواهد كلهــا توحى بعكس ذلك بل السبب هو أن الافريقيين يقابلون فى صحوتهم أينما كانوا بعنف الرجل الابيض وروح الكراهية التى تملأ نفسه من أفريقية والافريقيين .. »

أما جريدة لوموند الفرنسية فترى فى ٥/١/٦٠ ان عام ١٩٥٠ سيكون عام أفريقية وان كانت تفتتح مقالها بغمزات ليست غريبة عليها . تقول الصحيفة

الفرنسية ان أهم حادث دولى سجله العالم الجديد هو استقلال ، الكاميرون الذى أغرقه فى الدماء ارهابيو دوالاويياندى . وجميع الشـواهد تبعث على الاعتقاد بأن القارة السوداء ستحتل المكان الرئيسى فى الانباء طوال الشهور المقبلة ففى ٢٧ من ابريل سنة ١٩٦٠ ستحصل جمهورية توجو بدورها على الإستقلال وستدخل فى الامم المتحدة وستتبعها صوماليا التى كانت تحت الوصاية الايطالية .. ويأتى فى أكتوبر القادم دور اتحاد نيجيريا الفيدرالى ..

والاتحاد الفرنسى الذى أسس عقب استفتاء ٢٨ من سبتمبر سنة ١٩٥٨قد تأثر هو أيضا بتيار الاستقلال الذى يسود حاليا القارة الافريقية بأسرها هذا وسيحصل « مالى » الذى يضم السنغال والسودان الفرنسى على استقلاله وعقب المفاوضات التى سيجريها زعماؤه مع المسئول الفرنسيين .. وهناك عدة شواهد أكدتها تصريحات رؤساء الدول الافريقية تبعث على الظن بأن هذه الأمثلة ستتكرر بسرعة

أما اتحاد أفريقية الوسطى الذى تسوده فترة من الهدوء بعد الاضطرابات الدامية التى سادت نياسالاند ، فهو مازال مهددا بالانفجار .

ومن السواحل الاثيوبية الىحدود رديسيا وموزامبيق تنتشر فى كل مكان الحركة الافريقية الوطنية . ويبدو أن تنجانيقا هى البلد الذى أصبحت فيه مطالب الوطنيين عاجلة للغاية ..

ويهتم القوميون فى أوغنـــدا بالتطور الوطنى فى الكونغو البلجيكى وفى الروااندا اورااندى حتى فى زنزبار بدأت تظهر بعض عوامل القلق .. »

وترى الديلى ميل فى ٥٩/٧/٢٢ ان القارة الافريقية بالنسبة للذين يعيشون خارجهوا مازالت القارة السوداء ... هذه الحقيقة ، تصفعنا فى وجوهنا عندما تحاول دراسة احداث تغيير دستورى واسع النطاق مثل اقامة اتحاد وسط أفريقية » ..

أما جريدة لير بلجيك فترى ان القارة الافريقية تندفع بشدة منذ بضعة سنوات نحو الاستقلال والحركة القومية تزداد نموا . وتشدد الزعماء الافريقيين واتساع مدى الامتيازات التى يطالبون بها أخذت هى الاخرى فى الازدياد .. »

جريدة فرانس أوبزرفاتور اعترفت بأن فشل الحكومة الفرنسية فى مشكلة الجزائر والسياسة الخارجية أصبح أمرا محققا لا مراء فيه .. وقد بدأت الصحف الفرنسية بل الصحف الحكومية منها تعترف بأن سياسة العظمة والافراط فى الثقة بالنفس لم تؤد الا الى الجمود والركود تجاه المشكلة الجزائرية والى عزلة فرنسا التامة عن الصعيد الدولى . ففى الوقت الذى تقاربت فيه القارات أصبحت فرنسا وحيدة .. وحيدة بصورة تدعو الى الحسرة والاشفاق ...

وقد عمد أخيرا ديجول الى الاتجاه نحو الشرق فهو يعمد الى استقبال السفير السوفيتى قبل وصول أيزنهاور الى فرنسا وتلويحه للامريكيين عن طريق رئيس وزرائه بانسحاب فرنسا من حلف الاطلنطى ..

وما من شك فى أن جميع هذه الخطوات من قبيل التهويش كما أن فرص نجاحها تبدو ضئيلة هزيلة »

وتريجفى لى السكير السابق للامم المتحدة يقول : ان عهد الرجل الابيض فى آسيا قد انتهى ولم يعد له سوى أفريقية وهذه أفريقية قد أخذت تفيق من سباتها ، وتطالب بحريتها حتى تلحق بركب الحضارة الذى يعمل الاستعمار على تعطيل سيره .. »

وجون جنثر الصحفى الامريكى يقول :

ان القارة الافريقية كلها تثور وتفور بالحركات الوطنية واذا كان لافريقية قاسم مشترك فانما هو الرغبة الكامنة أو البادية فعلا لدى غالبية الافريقيين تخليص أنفسهم من القهر ... ان أيام تحكم البيض المطلق وسيطرتهم التى لا ترحم أصبحت معدودة فى كل الاحوال فى القطاع الاكبر من القارة الافريقية .. »

وقبل أن نترك الحديث عن ثورة العصر الحديث ــ ثورة افريقية ــ ندع المجال لصحيفتين أجنبيتين تحمـلان اتجاهين متعارضين ، وأولى هاتين الصحيفتين « تايم » الامريكية فقـد نشرت فى ٥٩/٨/٣١ مقـالا بعنوان أفريقية الثائرة .. أما الأخيرة فهى لاكسبرس الفرنسية الاسبوعية التى نشرت مقالا فى الاسبوع الأول من يناير سنة ١٩٦٠ بعنوان أفريقية السوداء وكان كل من المقالتين تعبيرا صريحا عما يحس به الغرب نحو ثورتنا الكبرى

قالت مجلة تايم الامريكية ..

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وأبرز أنباء أفريقية أن تلك القارة قد بدأت تخط طريقها بنفسها • وخلال العامين الماضيين نالت دولتان فيها استقلالهما ، كما حصلت ١٢ دولة على الحكم الذاتى والمقرر أن تحصل أربع أخـرى على استقلالها قرب نهاية عام ١٩٦٠ •

ان البيض فى أفريقية يرقبون السود ، وهم يسائلون أنفسهم : من الذى يستطيع التصدى لهذه الموجة ؟ وما مصير الرجل الابيض هناك ؟

أن مشكلة البيض تزداد حدة كلما توغلنا فى جنوبى أفريقية :

ففى كينيا بعد خمس سنوات من أعمال جماعة ماو ماو الارهابية أصبح البيض الآن يتناولون طعامهم فى بعض فنادق ومطاعم نيروبى مع السود جنبا الى جنب •

وفى جنوبى روديسيا حيث يسمى البيض بالاسياد نجد حكومة رسمية بهـا سكرتير من السود •

والرجل الابيض يناضل للتأجيل خروجه من القارة ، وهو يدعى أنه لا يريد تفرقة عنصرية انما يريد مشاركة البيض فى السلطة على أساس الكفاية الشخصية

ولكن البيض يدركون تماما أن عهد سيطرتهم المطلق سيولى سريعا . فما كان يرضى به الافريقيون منذ سنوات قلائل لم يعودوا يرضون به الآن : فالكونغو بعد ١٩ شهرا من اجراء انتخابات أول مجلس بلدى لها عادت تطالب اجراء انتخابات اقليميـة فى ديسمبر عام ١٩٥٩ ثم انتخابات عامة فى ١٩٦٠ وحكومة برلمانية فى يونيو القادم .

ويتمتع الافريقيين الجدد بذكاء شـديد .. والحركات الوطنية هنـاك تدفعهـا القوة ، ويشعر السـاسة الافريقيون ذوو التفكير الغربى بانهم يعملون فى ظروف قاسية وان الحرية فى افريقية لن يحقق الديمقراطية فى جميع الاحوال .

وبالرغم عن أن زعماء أفريقية بصفة غالبة قد تعلموا تعليما غربيا فانهم محايدون فى اتخاذ موقف من الصراع بين الشرق والغرب .

ويبدو أنهم مهتمون جدا بموقفهم الجديد من محاولة الاتحاد معا ..

وهم يرون أنه : « سواء أكانت بلادنا متمدينة أم متأخرة . جاهلة أم لا .. غنية أم فقيرة ، فان الدول الافريقية لها الحق فى اختيار حكوماتها » .

وتقول لاكسبريس الفرنسية الاسبوعية :

تنتظر جميع بلاد افريقية عام ١٩٦٠ بكل شغف وحماس .. فلقد كافح رجال السياسة ورجال الفكر ورؤساء النقابات كما يكافح الفلاح المتوحش عن طقوس أجداده الدينية

ويقول أحد الافريقيين فى هذا المعنى : ان عام ١٩٦٠ بالنسبة للافريقيين لن يمثل مركز اتجاه نصف العصر ولكنه سيمثل اتجاه العصر كله . ويعلن نيكسون نائب رئيس جمهورية الولايات المتحدة بعد ان زار افريقية ، ما يأتى :

« ان افريقية تعتبر فى الوقت الحاضر وطنا للعالم الذى يتطور بسرعة فائقة وتطورها قد يكون بمثابة العامل الحاسم بين قوى الحرية والشيوعية الدوليـــة » .

وقد ازدادت حركة المطالبة بالاستقلال فى عام ١٩٥٩ وستبلغ أوجها عام ١٩٦٠ وهناك أقاليم يبلغ تعدادها ٤٥ مليونا من الرجال أى ربع قارة افريقية فى مجموعها تعمل جاهدة على ان تنال استقلالها هذا العام .

والاتجاه نحو الاستقلال أخفى فى طياته عدة مشكلات عويصة الحل حتى على سكان القـارة أنفســهم . واليــوم يعرف القادة أنه بعام ١٩٦٠ تختفى المشاحنات .

ولكن كيف السبيل الى ذلك وعلى حسب أى المبادىء من الاصلاحات أو الثورات ؟ وفى أى اطار ستكون عليه الرأسمالية الجديدة والاشتراكية والماركسية ؟

ذلك أن كل الطرق معبدة الى جميع أجزائها لكن اختيار هذا أو ذاك مرتبط كل الارتباط بالطريقة التى ستتبعها هذه الحكومات لكى تستطيع أن تظهر على المسرح الدولى :

وليس من قبيل المصادفة ان يذهب مستر داج همرشولد فى رحلة الى أفريقيــة قبل ذهاب ماكميــلان وخروشــوف . ذلك لأن مجموعة الدول الافريقية المستقلة ستكون كتلة ثالثة فى هيئة الامم المتحدة والاعتماد عليها فى التصويت سترجح الكفة التى هى فى جانبها كما حــدث عنــد عرض قضية الجزائر . أى العدد اللازم لكسب قضيتها عما قريب وهى : الكمرون وتوجو ونيجيريا البريطانية والصومال الايطالى وقد أعلن مسيو موديبوكيتا

رئيس حكومة مالى الفيدرالية منذ بضعة أيام فى داكار : « ان مالى ستكون على موعد مع حكومات افريقية المستقلة عام ١٩٦٠ » . وستحذو حذو « مالى » كل من مدغشقر والكنغو البلچيكى .

ونلاحظ أنه قبل الخمسة عشر سنة الاخيرة كان معظم افريقية محتلا بجيوش الاستعمار ولم تشذ عن هذه القاعدة غير ليبيريا و « اتحاد جنوب افريقية » وقد حصلت بعد ذلك مصر وأثيوبيا والسودان وتونس والمغرب وغانا وغينيا على استقلالها وانضمت كل هذه البلاد الى هيئة الامم المتحدة .

وكان من الطبيعى أن رجال السياسة الذين سبق أن وجهوا بلادهم الى التحرر الكلى يطالبون بقيادة افريقية فعالة ومعنوية . وكان أول هؤلاء القادة « ناصر » الذى جعل من اسم مصر نورا يشع على كل بلاد الفريقية وتلاه من بعده نكروما وسيكوتورى .

وستظهر فى عام ١٩٦٠ أصوات كثيرة ستنضم الى العملاق الهادىء ألا وهو نيجيريا » .

وبعد

لقد نجحت افريقية فى ثورتها العارمة نجاحا لم يعرفه التاريخ .. نجحت لانها عالجت مشاكلها بصراحة وقوة .

نجحت لانها سارت فى الاتجاه السليم : اتجاه الوحدة والحرية والحياد نجحت لأنها آمنت — بحق — بوحدة الكفاح ووحدة العدو .. ووحدة المعركة واندكت صروح الاستعمار وانهدمت معاقله ..

وانكشف عملاء الاستعمار ، وأذنابه كما انكشفت — بسرعة وسهولة — خططهم وأساليبهم ..

لقد أستيقظ المارد الاسود ولن ينام بعد اليوم ..

لقد تحقق الأمل الأكبر .. والحلم الأكبر ..

قامت ثورة العصر الحـديث .

ونجحت ـــ بقوة وسرعة ـــ ثورة العصر الحديث ..

دولة تحمى ولا تهدد..

« لقد بزغ أمل جديد على أفق هذا الشرق

ان دولة جديدة تنبعث فى قلبه ..

لقد قامت دولة كبرى ، فى الشرق ليست دخيلة ، ولا غاصبة ، ليست عادية عليه ، ولا مستعدية ، دولة تحمى ولا تهدد ، تصون ولا تبدد ، تقوى ولا تضعف ، توحد ولا تفرق ، تسلم ولا تفرط ، تشد أزر الصديق ، ترد كيد العدو ، لا تتحزب ولا تتعصب ، لا تنحرف ولا تنحاز ، تؤكد العدل ، تدعم السلام ، توفر الرخاء لها ولمن حولها وللبشر جميعا بقدر ما تتحمل وتطيق »

« جمال عبد لناصر »

فى هـذا الفصل ، سأتحدث عن ثورتنا الشـعبية وسأتعمد الاطالة فى الحديث عنها ، لا لأننى مصرى ، ولا لأننى عربى ، بل رغبة فى الاسـتفادة من التجارب التى مرت بنا خلال الثمانين عاما الأخيرة .. ولكى يستفيد منها أيضا غيرنا من أبناء القارة الافريقية ، ليوفروا على أنفسـهم ما بذلناه من جهد ، وما ضيعناه من وقت .. فالتاريخ ــ تاريخ الاستعمار ــ يعيد دائما نفسه . يستخدم نفس الأشخاص ، ونفس الوسائل للسيطرة على ضحاياه من الأمم والشـعوب ..

وقد ابتليت مصر فى عام ١٨٨١ ، عنـدما قامت بثورتها المعروفة بالثورة العرابية ، بالاسـتعمار البريطانى ، والاسـتعمار الفرنسى ... يحاول كل منهما أن يسيطر عليها .. ويسـتولى على كل امكانياتها ومقـدراتها وكانت الشهور الثلاثة الأولى من ثورة سنة ١٨٨١ والتى أعقبت احتشاد الجيش فى ميدان عابدين مطالبا بتشكيل مجلس نواب وعـزل ناظر النظار رياض وابلاغ عدد الجيش الى ١٨ ألفـا .. كانت كما يقـول الانجليزى بلنت من الوجهة السياسية أسعد الأيام التى شـهدتها مصر . اننى لم أر فى حيـاتى مثل هـذه الأيام وأخشى ألا أرى مثلها فى المسـتقبل ، ان كل الاحـزاب الوطنية وكل أهالى القـاهرة قد اتفقت كلمتهم هنيهة من الزمن على تحقيق هذه الغاية الوطنية الكبرى وسرت فى مصر رنة فرح لم يسمع بمثلها عـلى ضفاف النيل منذ قرون فكان الناس فى شوارع القاهرة حتى الغرباء منهـم يستوقف بعضهم البعض ، يتعانقون وهم جذلون مستبشرون بعهد الحرية العظيم الـذى طلع عليهم على حين غفلة طلـوع الفجـر اثر ليلة مخيفـة حالكة الظـلام » ..

وأصبح كل مصرى يؤمن بأن الثورة ثورته وأن القضـية قضيته وأن العـدو الدخيل لابد وأن يلقى مصرعه .. وكانت جماهير الشعب تتقدم الى

عرابى زرافات ووحدانا يحملون معهم أسلحتهم وملابســهم ومؤنتهم حتى لا تتكلف الخزانة هذا العدد من المتطوعين » ..

وتم ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وخسرت المدينة ٢٠٠٠ من أبنائها الشجعان ويسأل أحد الضباط الخديوى ، ما مصير الاسكندرية فيقول خديو مصر : لتحرق المدينــة كلها ، ولا يبقى فيها طوبة على طوبة .. حرب بحرب كل ذلك يقع على رأس عرابى •• وعلى رءوس أولاد الكلب الفــلاحين »

وأسرجت انجلترا خيول سان جورج • الجنيهات الذهبية الانجليزية • وأطلقها فيما يقول جون نينيه فى ميدان السبق لتحرز نصرا قائما على الغدر والخيانة ومستندا الى الدسيسة والرشوة ..

وأخذ محمد سلطان ــ رئيس مجلس النواب ــ كما يقول الشيخ محمد عبده ــ يوزع النقود باسم الانجليز •• واختــار لبث افكاره الطحاوى أحد تقــاة عرابى ويأبى الخائن على خنفس الا أن يفشى الخطة الحــربية المصرية المعدة للقضاء على الانجليز ليلة ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ليــلة المعركة الحاسمة ــ وانهزم المصريون فى التل الكبــير •• وسقطت القاهرة فى ١٤ سبتمبر واحتلها الانجليز وطلب رءوس الخونة من رئيس الوزراء رياض أن يسمح لهم بتقديم هــدايا للقــواد البريطانيين : الاميرال ســيمور قائد الاسطول الانجليزى ، والجنرال ولسن القائد العام للجيش البريطانى •• والجنرال درورى الذى كان أول من دخل العاصمة بعد سقوط التل الكبير « شكرا لهم على نقاذ البلاد من غوائل الفتنة العاصية » فأذن لهم بذلك •

واخفقت ثورة سنة ١٨٨١ بسبب الانقسام الذى حدث بين معســكر

الشعب ، ومعسكر الخديوى ، وما أدى اليه هذا الانقسام من ضعف وتخاذل ..

أخفقت ثورة سنة ١٨٨١ لعدم وجود كفاءة حربية تقود الثورة ، وتقف فى مواجهة الخصم القوى .. العنيد .

أخفقت ثورة سنة ١٨٨١ ، لانتشار روح الخيانة والرشوة بين عدد من قادة الثورة .. والضباط ورجال البدو .. وكان هذا الاخفاق سببا فى اضعاف المقاومة الشعبية وفى تمكين بريطانيا من السيطرة على البلاد ..

ويرى مؤرخ ثورتنا الأستاذ عبد الرحمن الرافعى أن من أسباب اخفاق الثورة « قلة الكفاءة الحربية مما بدا أثره فى المعارك التى نشبت بين الانجليز والمصريين ولو كان على رأس لثورة قائد كفء لتغير مصير الوقائع الحربية فيها ولكنها مع الاسف لم توفق الى قواد أكفاء فزعماؤها معظمهم ضباط ، لم يتلقوا الفنون الحربية ولا التعليم العسكرى بل تخرجوا فى صفوف الجند وبعضهم كانت نشأتهم مدنية ثم انتظموا فى صفوف الجيش دون أن يكون لهم دراية حربية ولا مران على القتال فأمثال هؤلاء وأولئك لا يمكن ان يركن اليهم فى تدبير الخطط الحربية وقيادة الجيش نحو النصر وقد تجلى عدم الكفاءة الحربية فى احجام عرابى وصحبه عن سد « قناة السويس » عند ابتداء القتال وهذا المثال وحده يدلل على جهل تام بفنون الحرب ، لأن سد القنال كان أول ما يجب عمله بلا تردد لكى يضمن الدفاع عن مصر ولو سدت القناة فى الوقت المناسب لطال أجل الحرب ووجدت مصر الوقت الكافى لتنظيم وسائل الدفاع لان الامة كانت مستعدة لبذل كل تضحية للدفاع عن كيانها ولكن الخطأ يرجع الى زعمائها السياسيين والحربيين .

وثمة عامل آخر كان له أثره الكبير فى اخفاق الثورة وهو قلة البطولة والتضحية فى معظم زعمائها فعرابى ذاته لم يشترك فى واقعة واحدة من وقائع الحرب وقد رأيت كيف كان موقفه فى واقعة التل الكبير وكيف لاذ

بالفرار دون جهاد أو نضال ثم رأيت كيف سلم نفسه للانجليز وكيف كان موقفه معيبا أثناء المحاكمة وبعدها .

هذا التسليم والخضوع من أكبر العوامل فى اخفاق الثورة وانحلالها لأن الامم تتأثر حتما بنفسية زعمائها ومواقفهم فمواقف التضحية والبطولة تبعث فى الامة روح التضحية والبطولة ومواقف التسليم والخضوع تقضى على هذه الروح حتى فى النفوس التى كانت مشربة بها أو مستعدة لها فالزعامة تطبع الامة بطابعها ان خيرا فخير وان شرا فشر ولذلك لا تعجب من ضعف المقاومة التى لقيها الانجليز حين احتلالهم مصر فان زعماء الثورة كانوا أول من استسلم فى ساعة الخطر وكانوا القدوة السيئة للامة فى الخضوع والاستسلام وقد ظهر ضعفهم النفسى فى المحاكمة اذ أخذ كل منهم يتنصل من تبعة الثورة وتبين من موقفهم أنه كان ينقصهم العقيدة والايمان وهما أساس النجاح ، ولو أنهم ضربوا للامة المثل العليا فى التضحية والشجاعة والاقدام لكانت الثورة العرابية فى دورها الثانى صفحة مشرفة من تاريخ مصر القومى ولكن أية مقاومة تنتظر بعد أن ترى الامة زعماءها يفرون من ميدان القتال ويلقون أسلحتهم خاضعين مستسلمين ؟ لا شك أن هذا الموقف وحده من أهم الاسباب فى اخفاق الثورة العرابية ولو أن « عرابى » وصحبه قاوموا وقاتلوا فى التل الكبير لكان لهذه الواقعة ولو انتهت بالهزيمة صفة أخرى غير الصفة المخجلة التى طبعت بها ولو أنهم أدوا الواجب لاستمرت المقاومة عهدا طويلا ولبعثوا فى البلاد روح البذل والتضحية » .

وانحلت المقاومة الشعبية ..

وأخذ بعض الحكام المصريين يتلهفون على أن يلعقوا أقدام المحتلين ليعيشوا على بقايا موائده ..

وباع المصرون — المصريون اسما — كرامة مصر ، وكرامتهم . وعمل

هؤلاء الخونة على استمرار بقـاء الاحتـلال فى مصر وعلى الحاق مصر بالامبراطورية البريطانية .. لولا أن الله قيض لمصر شابا من خيرة أبنائها ثار ضد الاحتلال البريطانى ، وهزه فى مهده ، واسـتطاع مصطفى كامل ان يجمع الامة حوله لمقـاومة الاحتلال البريطانى وكاد ينجح فى القضـاء على هذا الاحتلال .. ولولا أن المستعمر المحتل قد اصطفى نفرا من المصريين .. ـ المصريين اسـمـا ـ خانوا الوطن الذى أحسن اليهم وملأوا السـجون والمعتقلات بالوطنيين من المصريين ..

واستطاع محمد ـ قديس الوطنية ـ أن يرفع صوت الجلاء وأن يثبت للدنيا بأسرها أنه مثال الزعيم الفدائى المتفانى فى خدمة بلده . وان الاعتقال والسجن والنفى والمـوت من الجـوع .. ، لا يمكن أن يغير له مبـدأ .. ولا عقيـدة .

وثارت مصر مرة أخرى ثورتها الدامية فى سنة ١٩١٩ واشترك الشعب كله : رجاله ونساؤه ، مسـلموه وأقباطه فى الثـورة وكان من الممكن أن تنتهى ثورة سـنة ١٩١٩ بجلاء الانجليز شأن كل الثـورات الناضـجة الواعية .. لو لم يحدث الانقسام فى صفوف حزب الوفد ـ حزب الغالبية ـ ولو لم يقلب بعض الزعماء المجن للثورة التى أظهرتهم .. ورفعتهم .

وضاعت ـ كما قال جمال عبد الناصر فى فلسفة الثورة ـ ثورة سنة ١٩١٩ ولم تستطع أن تحقق النتائج التى كان يجب أن تحققها ... الصفوف التى تراصت فى سنة ١٩١٩ تواجه الطغيان .. لم تلبث الا قليـلا ، حتى شغلها الصراع فيما بينها أفرادا وطبقات وكانت النتيجة فشلا كبيرا فقـد زاد الطغيان بعدها تحكما فينا سواء بواسطة قوات الاحتـلال السافرة ، أو بصنائع الاحتلال المقنعة التى كان يتزعمها فى ذلك الوقت السلطان فؤاد وبعد ابنه فاروق .. ولم يجد الشعب الا الشـكوك فى نفسه والكراهيـة والبغضاء والاحقاد فيما بين أفراده وطبقاته ..

وشحب الامل الذى كان ينتظر أن تحققه ثورة سنة ١٩١٩ ، وكما قلت فى كتابى ـ المعركة مستمرة ـ قامت ثورة سنة ١٩١٩ وانتهت ثورة سنة ١٩١٩ .

وراح العهد الذى كان يحكم المصريون مصر باسم بريطانيا ، وجاء العهد الذى يحكم فيه المصريون مصر باسم مصالح بريطانيا .

وراح العهد الذى تحكم بريطانيا فيه مصر علانية ، وجاء العهد الذى تحكمها فيه من وراء ستار ..

راحت الطبقة الحاكمة التى كانت تجاهر بولائها لانجلترا ..

وجاءت طبقة أخرى تبذل كل جهودها لتنفيذ السياسة البريطانية ..

راح الحكام المصريون الذين يتشيعون لانجلترا ١٠٠ ٪

جاء حكام مصريون يتشيعون لمصر صفر فى المائة ..

راح حكم كرومر الذى يستند على الجيش المصرى ..

وجاء حكم اللنبى الذى يعمد على بعض الاحزاب المصرية ..

ولم يتغير الا المظهر ..

وبقى الجو كما هو .. لم يتبدل ولم يتغير » .

أما الذى أعقب ثورة سنة ١٩١٩ من أحداث فيكفينى هنا أن أدع اللورد ويفيل ليتكلم عنه باستفاضة واطالة :

ان تاريخ مصر السياسى خلال السنوات الثلاث من سنة ١٩٢٢ الى ١٩٢٤ هو تاريخ صراع ثلاثى أطرافه الملك ، والجماعة التى تضم معظم المثقفين المعتدلين من المصريين والتى يصح تسميتها بحزب الاحرار ، ثم الحزب الشعبى الذى ينادى بزغلول رئيسا له ..

لقد اتخذ اللنبى لنفسه موقف الحكم الذى يتدخل فى حالات قليلة .. لكنه ينفخ فى صفارته بحزم عندما تقع أسوأ الاخطاء متجاهلا ، صياح الجماهير .. ونقدها لكل قرار لا يحبونه .

لقد كان فؤاد يحاول دائما أن يرفع الى منصب الوزارة واحدا أو اثنين من أنصاره عند تشكيل كل وزارة فاذا لم يظفر حينئذ بما يشتهيه واعتراض أحد رؤساء الوزراء وضع العراقيل أمامه الى أن يستقيل

أما الحزب المعتدل والذى يمكن تسمية أعضائه بالاحرار فقد كان يضم غالبية الاكفاء الاذكياء من المصريين ومنهم الكثيرون من طبقة الحكام السابقين من الاتراك وممثلهم الاول عدلى باشا وكان نموذج السيد العظيم من أرومة عريقة له مظهر قوى وأخلاق مهذبة .. وطنى كامل النزاهة يتمتع باحترام عظيم وحظه من الشجاعة السياسية قليل لانه لا يستطيع أن يواجه صعوبات أو مواقف كريهة ما دام فى استطاعته أن يتفادى ذلك . وقد أطلق عليه اللنبى اسم « لقصبة المرضوضة » ولم يعد يثق به الا قليلا . أما ثروت باشا زميل عدلى وهو أول رئيس للوزراء بعد تصريح ٢ فبراير فهو أشجع من عدلى وذو كفاءة ممتازة ولو استطاع أن يحظى بمثل الاحترام الذى يتمتع به عدلى باشا من اتباعه العديدين لكان زعيم مصر فى هذا المعترك ، ولكنه حتى الان يبذل الكثير فى سبيل وضع أسس المستقبل لمصر رغم كراهية الملك له ورغم الدسائس التى حيكت ضده ! !

أما زغلول وحزبه فهم بلا شك يمثلون الرأى العام المصرى ، لولا أنهم كانوا عامل هدم لا عامل بناء .. وعلى الرغم من اتصافه بالذكاء والاعتدال فقد أرغمته الظروف على أن يصبح زعيما للجهلة والغوغاء من غير أن تكون له القوة والحكمة الكافيتان لقيادتها »

ويصف ويفيل الظروف التى وضع فيها دستور سنة ١٩٢٣ فيقول :

« لقد بدأت الجمعية التى اجتمعت لاصدار الدستور برئاسة رشدى باشا ، — وهو رئيس الوزراء مدة الحرب — عملها فى ابريل واستمرت فيه حتى نهاية الخريف « وأثارت مسألة السودان فى المرحلة الأولى جدالا حادا مع الحكومة البريطانية ! فقد عرف السودان فى المادة الاولى بأنه جزء

متمم لمصر !! ومن الصعب أن ينتظر من الحكومة البريطانية ، أن تسمح بهذه المحاولة وبذلك أصر اللنبى على أن تستبعد هذه المواد فراح الوطنيون المصريون يصبون طوفانا من غضبهم بالخطب والمقالات ولكن ظل اللنبى والحكومة البريطانية ثابتين

ولقد اتخذت الجمعية من النظام البلجيكى أنموذجا لها فصاغت الدستور على أسس حرة !

واستقال ثروت فى نهاية نوفمبر بسبب مشكلة السودان

وفى نفس هذه اللحظة العصيبة أيضا سحب عدلى — الجبان — الذى لم يرد أن يحمل نصيبه من المقت بالموافقة على تعريف السودان ذلك التعريف الذى أصر البريطانيون عليه وربما قد روعه قتل اثنين من زعماء الاحرار ، سحب تأييد حزبه لثروت ثم استدعى الملك توفيق نسيم ليحل محله فى الوزارة ولم يكن رئيس الوزراء الجديد على كفاءة ممتازة لكنه كان أمينا مجدا يخضع لتأثير القصر ويميل الى الاستجابة للرغبات الملكية » .

ويمضى ويفيل فى روايته فيقول معبرا عن وجهة نظر بريطانيا :

كان عام ١٩٢٤ فى مصر عام زغلول ، فلقد طلعت عليه وهو سيد مصر الاعلى لو استثنينا القوة الساهرة أى بريطانيا وكان فى اعتقاده أنه يستطيع شل هذه القوة بمفاوضاته مع حكومة العمال التى تألفت فى انجلترا منذ عهد قريب ..

ولكنه أظهر فى تصريف الأمور من عدم القدرة عكس ما أظهر من القوة فى الهاب الجماهير ، دون الشجاعة أو الحكمة فى قيادتها ! لقد كان سعد حاكما غيورا .. ومفاوضا ظنانا ضيق الأفق لا كفاءة عنده فى التفاهم ، عجلت بسقوطه آخر العام جريمة يعتبر فشله فى قيادة أنصاره مسئولا عنها الى حد كبير وانتهى العام بالتخلص منه كشخصية رئيسية فى محيط السياسة المصرية وان كان اسمه قد بقى يحتفظ بتأثيره الشعبى .. لقد وضعت أول محاولة

للحكم الوطنى فى مصر منذ آلاف السنين فى الكفة فشالت »

ويستمر ويفيل قائلا :

« ابتدأ العام ولا تزال وزارة — يحيى ابراهيم — فى الحكم ولو أنها خضعت تماما لمشيئة الملك فؤاد ! ولما أدرك بفطنته أن انتصار الزغلوليين فى الانتخابات أمر لا مفر منه راح يعلن عن مجاملته للوفد ومع ذلك فقد كان يؤمل فى خلق معارضة قوية من أصحاب الاملاك ربما تتألف منها نواة حزب ملكى فى يوم ما ..

ولو أنه لم يكن هناك شك أبدا فى نتيجة الانتخابات الا أن نجاح الزغلوليين التام قد أدهش الجميع ، الملك ودار المعتمد البريطانى ، والمعتدلين من المصريين بل والزغلوليين أنفسهم اذ أعلن فى مجلس النواب ١٩٠ من أعضائه البالغ عددهم ٢١٤ عن تأييدهم لزغلول حتى أن رئيس الوزراء نفسه سقط فى الانتخابات ثم قدم استقالته بعد قليل .. وقد قلبت استقالة يحيى باشا مشروعات الملك رأسا على عقب ..

ودار المندوب السامى التى لم يكن لسعد زغلول بها صلة رسمية منذ ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ راحت تخطب وده فلما رأى كيو — نائب اللنبى — من المستحسن أن يتصل بزغلول قبل أن يصبح رئيسا للوزارة زاره زيارتين خاصتين غير رسميتين ونجح خلالهما فى ازالة الشك من نفسه وفى جعله يتأكد من حقيقة الدور الذى لعبه اللنبى فى سبيل الحصول على مثل ذلك الدستور الحر .. بل ان اللنبى نفسه توجه لزيارة زغلول بعد عودته مباشرة من السودان رغم أن العادة قد جرت بضرورة زيارة رئيس الوزراء أولا وقد تأثر زغلول بهذا التكريم وتربى لديه شعور بالاعجاب والحب لمستر اللنبى .

وفى نفس الوقت قوبل أول طلب لزغلول من البريطانيين بالعفو عمن كانوا لا يزالون فى السجون ممن صدرت ضدهم أحكام المجالس الحربية البريطانية

بترحيب عده الكثيرون فى مصر ترحيبا زائدا ..

بل لقد وافقت الحكومة البريطانية على عفو أبلغ فى كرمه مما طلبه زغلول أو توقعه ..

ويعتبر يوم ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ الذى حدد لافتتاح أول برلمان دستورى لمصر يوم فرح عظيم فى القاهرة فلقد ثابرت فيه الجماهير على زئير مستمر من الهتافات حتى بلغ بها الحماس درجة الجنون عندما بدت لاعينهم العربة الملكية وفيها الى جوار مليكهم ، زغلول معبودهم الذى تحدى الاستعمار البريطانى والذى قاد الجماهير وشجعها على طلب الاستقلال والذى نفى مرتين ، وقد أصبح رئيسا للوزراء .. »

ويتحدث ويفيل عن سعد زغلول مرة أخرى عندما تحدث عن نظام الحكم السعدى فيقول :

قبض زغلول على البلاد بيد من حديد فعين بعضا من أشد أنصاره فى المناصب الهامة دون النظر الى مقدرتهم الادارية وفصل من يشك فى ولائهم له من مديرى الاقاليم .. واتخذ اجراءات صارمة لقمع خصومه السياسيين ، وصمم بعد ذلك على خلق أزمة كما صمم على حرمان القصر من القدرة على مقاومة أوامره الدكتاتورية .. ونفذ ذلك فى ١٦ نوفمبر باستقالة مفاجئة وبتعبئة جيشه من الطلبة والرعاع ليمروا فى الشوارع ويتظاهروا مطالبين بعودته وبلغت مناورته غايتها بعد اجتماع دام ساعتين مع الملك اذ سحب استقالته بعد أن أخذ التعهدات التى أرادها... بينما كان الطلبة جنوده المدربون يواصلون الهتافات خارج القصر .. « سعد أو الثورة » فلما غادر زغلول القصر شكرهم علانية وصرفهم ..

بلغ حينئذ زغلول القمة فى قوته وربما كان يحلم بدكتاتورية كدكتاتورية مصطفى كمال بتركيا .. فلقد بلغ من اعتقاده بقوته أنه عامل رئيس موظفى اللنبى — وكان قد ذهب اليه لمناقشته فى بعض المسائل القضائية — بخشونة

وتهور مما أوجب تذكيره بأنه انما يخاطب ممثل الحكومة البريطانية ولكن ندر أن وقع العقاب على سوء استعمال القوة بمثل السرعة التى وقع فيها هذه المرة .. اذ حدثت بعد ثلاثة أيام من انتصاره على القصر ، جريمة سببها فشله فى كبح جماح المتطرفين الذين لا يبالون من أنصاره فأدى ذلك الى سقوطه من الحكم ..

لقد أصيب السير الى ستاك بينما كان عائدا الى منزله من وزارة الحربية وجرح فى مواضع ثلاث .. ثم نقل الى المستشفى .

وبينما كانت لادى ستاك فى حجرة الزائرين بجانب السردار وكان اللنبى وبعض الموظفين والضيوف يتناقشون فى هذه الجريمة بالبهو اذ أعلن وصول زغلول فى الساعة الثامنة والنصف ... لقد علم بالجريمة وجاء ليقوم ببعض التحقيقات فما رآه اللنبى حتى أشار بشدة الى الياور الجريح، والى السائق وهو يقول « هذه فعلتك » وكاد اللنبى يقوده الى السردار نفسه لولا أن أفهمه رجاله بعدم مناسبة ذلك لوجود لادى ستاك معه .
وما كان من زغلول الا أن استدار دون أن ينطق بكلمة وأسرع بالخروج

وكان يوم ٢٢ نوفمبر — موعد جنازة السيرلى ستاك — يوم دراسة مثيرة — فلقد استشاط بعض أعضاء الجالية البريطانية غضبا عندما علموا بأن زغلول والوزراء المصريين هم المسئولون عن الجريمة الى حد كبير سيحضرون صلاة الجنازة بالكنيسة الانجليزية وقامت بينهم محاولة لارغام اللنبى على تغيير الترتيبات التى ستتخذ الا ان هذه المحاولة فشلت حين قيل لهم ان السردار رئيس للجيش المصرى ومسئول أمام الحكومة المصرية فمن الصواب أن يشترك أعضاؤها فى جنازته ..

ولكن لم تنته دراسة ذلك اليوم بالجنازة .. فقد كان مقررا أن يجتمع البرلمان فى الخامسة من بعد ظهر ذلك اليوم لاتخاذ قرارات خطيرة وراح اللنبى بدوره ينتظر بفارغ الصبر بداره برقية من وزارة الخارجية

وكان مصمما على تقديم الانذار النهائى للحكومة المصرية بعد ظهر ذلك اليوم .. ولما انقضى الظهر ولم يأت الرد بلغ نفاد الصبر بالنبى مداه فقد كان مصرا على تقديم المذكرة لرئيس الوزراء قبل أن يجتمع البرلمان فى الخامسة .. كان يخشى أن يقدم زغلول استقالته قبل أن يتم ذلك فلما بلغت الرابعة والربع رأى أنه لا يستطيع انتظار موافقة وزارة الخارجية أكثر من ذلك .. وكان قد أمر فرقة فرسان لانسرز بأن تقف بجانب ثكنات قصر النيل بعد انتهاء الجنازة ثم أمرها بالقيام باستعراض أمام دار المعتمد البريطانى لتحرسه فى ذهابه الى مكتب رئيس الوزراء . لعلها المرة الوحيدة التى تعمد فيها استخدام الاساليب المسرحية ..

وبينما كان يغادر دار المعتمد ليركب عربته اذ بأحد موظفيه يهرع اليه.. لقد وصلت البرقية التى طال انتظارها من وزارة الخارجية وراحوا يحلون شفرتها . وكانت برقية طويلة وضح أنها ليست موافقة تامة من وزارة الخارجية على مقترحات اللنبى ..

وقرر أن يمضى فى تنفيذ أنذاره بغير تردد فسار ببدلته الرمادية العادية بين حرسه يقصد رئيس الوزراء .. وبعد أن تلقى من الفرسان تحيتهم وصدحت الموسيقى دخل اللنبى واتجه رأسا الى غرفة رئيس الوزراء. ثم قرأ عليه بالانجليزية نص مطالبه ، وترك له ترجمتها الفرنسية ثم عاد لعربته وتلقى من الفرسان تحية أخرى أمام الجماهير المتجمعة ورجع وسط حرسه فى بطء الى دار المعتمد » .

..وكانت طلبات اللنبى ممثل انجلترا فى مصر ، من سعد زغلول رئيس حكومة مصر :

* الاعتذار الكافى عن الجريمة

* القيام بالتحقيق لمعرفة مرتكبى الجريمة وتقديم المجرمين — أيا كانوا وأيا كانت مناصبهم للعقاب الذى يستحقون

* منع المظاهرات السياسية الشعبية

* تدفع الحكومة المصرية لحكومة جلالة ملك بريطانيا غرامة قدرها نصف مليون جنيه .

* الامر فى مدى ٢٤ ساعة بسحب الضباط المصريين من السودان واستقالت على الفور وزارة سعد زغلول بعد أن دفعت نصف مليون جنيه ثمنا لرأس سير لى ستاك ..

وتجىء وزارة زيور ..

وتتوالى الوزارات ..

بعضها يحاول الخير ، أو بعض الخير ..

وبعضها يحاول الشر ، كل الشر ..

كانت الوزارات وكان الوزراء بكل أسف أشبه مايكونون بالسواقى .. والثيران ..

كل ساقية تسير فى نفس الاتجاه .. وتخرج نفس الماء .. وتروى اذا استطاعت الارض ..

وكل ثور توضع على عينه نفس المظلة ، ليسير فى نفس « المدار » وليحقق نفس الاغراض ..

ولم يكن هناك من خلاف يظهر بين الثيران وبعضها ، الا السرعة .. سرعة جر الساقية ...

ولم تكن الانقلابات الوزارية الا دورات سياسية زراعية ..

القطن يتلوه البرسيم ، والبرسيم يتبعه القمح ، والقمح يسبق الاذرة .. وهكذا ..

لا بد من أن تمر الأحزاب كلها على الساقية ..

ولا بد من أن يعطى لكل حزب ما يتلاءم له من احتياجات ...

والانصاف يقتضينا أن نصرح أن بعض هذه الثيران كانت « تحرن »

وترفض جر الساقية ...

وبعض هذه الدورات السياسية .. كانت تنتج البعض من الخير ..

كما كان الاكتفاء من الغنيمة بالاياب ، هدف بعض هذه الثيران الطيبة ...

وثار شعبنا مرة أخرى فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٣٥ عندما ألقى صمويل هور ، وزير الخارجية البريطانية خطبة قال فيها : عندما استشيرت الحكومة البريطانية فى شأن الدسور المصرى نصحت بألا يعاد دستور سنة ١٩٢٣ لأنه غير صالح للعمل ولا دستور سنة ١٩٣٠ لأنه قد ظهر أنه لاينطبق على رغبات الأمة ...

وكان صدور هذا التصريح من هور سببا فى قيام مظاهرات دامية قوامها الطلاب والعمال ، وسقط من الشهداء اسماعيل الخالع ومحمد عبد المجيد مرسى ، ومحمد عبد الحكم الجراحى ، وطه عفيفى ، وعبد الحليم شيكة ، وآخرون .. وآخرون .

وكان من الممكن ــ بل كان من الواجب . أن تنجح هذه الانتفاضة وتحقق الجلاء والحرية ، لولا أن الانجليز قد لعبوا بنا ، وضحكوا علينا وحولوا معركة الحرية والجلاء ، الى معركة الدستور والبرلمان .

وضاع الجلاء .. والحرية ..

وجاء الدستور ، وجاء البرلمان .

ثم ضاع الدستور ، وضاع البرلمان ..

وذهبت ، أو كادت تذهب أرواح الشهداء عبثا ..

وانتفض شعبنا مرة أخرى فى فبراير سنة ١٩٤٦ وحدثت مجزرة كوبرى عباس التى حمل عبئها شباب الجامعات والمدارس الثانوية .. ونجح الطلاب والعمال فى تنظيم يوم الجلاء فى يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ .. وحدث فى هذا اليوم ــ يوم الجلاء ــ التحام بين المصريين والقوات الانجليزية المحتلة وأمر

الحكام الجيش بالنزول الى المدينة لتفريق المظاهرات وللقضاء على الحركة الثورية بالحديد والنار .. ولم يأبه الجيش بالأوامر وانضم الى الشعب.. وكان يوما خالدا من تاريخ الشعب والجيش ..

وكان من الممكن أن نستفيد من هذه الانتفاضة الشعبية وأن نحقق مطالبنا الوطنية ، لو لم يرسل « الشيطان » لنا اسماعيل صدقى ليقضى على الانتفاضة الشعبية ولم يكن اسماعيل صدقى الذى جربه الشعب فى سنة ١٩٣٠ بمستطيع القضاء على هذه الثورة مهما اعتمد على القوات الحكومية لو لم تقف بعض الهيئات فى صفه ، وتعمل على تدعيم مركزه ، وتدعو — ما وسعها الجهد — له — ولعبقريته وشعبيته ..

ولست أنسى ماحييت أحد هؤلاء الدعاة ممن كانوا ينتمون الى بعض هذه الهيئات يؤكد سلامة نية اسماعيل صدقى ، وعبقريته ويؤكد هذه العبقرية وسلامة النية بالاستشهاد بقوله تعالى : واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد ..

ونامت حركة ١٩٤٦ ، سنة ١٩٤٧ .

وانبعثت حركة ١٩٥١ ، وألغيت مصر معاهدة سنة ١٩٣٦ واتجه الشعب الى القنال ، يقاتل ويحارب فى ظروف لم تكن فى صالحه وبأسلحة بدائية لاتتفق وقوة العدو .. ومع ذلك استطاع الشعب أن ينتصر وأن يحقق بعض أهدافه ..

وكان من الممكن أن يحقق كل هذه الأهداف ، لو لم يتآمر الاستعمار مع أذنابه على حريق القاهرة ...

ولست أيضا بناس ما حييت يوم وقفنا نتجادل مع أحد الزعماء اللامعين عن الموقف قبل حريق القاهرة ، وكان الشباب فى ثورة عنيفة من أجل سكوت الزعماء عن الاشتراك فى معركة القنال ، لقد سأل هذا الزعيم اللامع : ماذا تفعلون لو أن مؤامرة قد حدثت واضطربت الأمور فى البلاد ، وخيف على مصالح الأجانب فى البلاد ثم رأى من بيده الأمر أن يستعين

بأحد السياسيين اللامعين لتهدئة الأمور ، وقد أجبته يومهـا اجابة ثائرة ، عنيفة خرج الزعيم اللامع فى أعقابها ، غاضبا يهتز من الخوف عـلى نفسـه وعلى آماله فى الحكم .

* * *

وكانت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ :

وثورة ٢٣ يوليو ــ كما قال جمال عبـد النـاصر : كانت تحقيقـا لأمل كبير راود شعب مصر منذ بدأ فى العصر الحديث يفكر فى أن يكون حـكمه فى أيدى أبنائه ، وفى أن تكون له نفسه الكلمة العليا فى مصيره

واذا كان الأمر كذلك .. ولم يكن الذى حدث يوم ٢٣ يوليو تمردا عســكريا وليس ثورة شعبية فلماذا قدر للجيش دون غيره من القوى أن يحقق هذه الثورة ؟

ويرد جمال عبد الناصر على هذا السؤال فى فلسفة الثورة فيقول :

لقد آمنت بالجندية طول عمرى .. والجندية تجعـل للجيش واجبـا واحدا هو أن يموت على حدود وطنه فلماذا وجد جيشنا نفسه مضـطرا للعمل فى عاصمة الوطن وليس على حدوده ..

ومرة أخرى دعونى أنبه أن الهزيمة فى فلسـطين والأسلحة الفاسـدة وأزمة نادى الضباط لم تكن المنابع الحقيقية التى تدفق منها السـيل ، لقـد كانت هذه كلها عوامل مساعدة على سرعة التدفق ... .

ولكنها كما سـبق أن قلت ــ لا يمـكن أبدا أن تكون هى الأصـل والأساس ..

واذن لماذا وقع على الجيش هذا الواجب ؟

قلت ان هذا السؤال طالما ألح على خواطرى .

ألح عليها ونحن فى دور الأمل والتفكير والتـدبير بعـد ٢٣ يوليـو وألح عليها فى مراحل كثيرة من التجربة بعد ٢٣ يوليو ..

ولقد كانت أمامنا مبررات مختلفة قبل ٢٣ يوليو تشرح لنا لماذا يجب أن تقوم بالذى قمنا به ..

كنا نقول : اذا لم يقم الجيش بهذا العمل فمن يقوم به ؟

وكنا نقول : كنا نحن الشبح الذى يؤرق به الطاغية أحلام الشعب ، وقد آن لهذا الشبح أن يتحول الى الطاغية فيبدد أحلامه هو ..

وكنا نقول غير هذا كثيرا ، ولكن الأهم من كل ماكنا نقوله ، أننا كنا نشعر شعورا يمتد الى أعماق وجودنا بأن هذا الواجب واجبنا ، وأننا اذا لم نقم به فاننا نكون كأننا قد تخلينا عن أمانة مقدسة نيط بنا حملها ...

ولكنى أعترف أن الصورة الكاملة لم تنضج فى خيالى الا بعد فترة طويلة من التجربة عقب ٢٣ يوليو ...

وكانت تفاصيل هذه التجربة ، هى بعينها تفاصيل الصورة .

وأنا أشهد أنه مرت على بعد يوم ٢٣ يوليو نوبات اتهمت فيها نفسى وزملائى وباقى الجيش بالحماقة والجنون الذى صنعناه فى ٢٣ يوليو ..

لقد كنت أتصور قبل ٢٣ يوليو أن الأمة كلها متحفزة متأهبة ، وأنها لا تنتظر الا طليعة تقتحم السور ، فتندفع الأمة وراءها صفوفا متراصة منتظمة تزحف زحفا مقدسا الى الهدف الكبير ...

وكنت أتصور دورنا على أنه دور طليعة الفدائيين ، وكنت أظن أن دورنا هذا لا يستغرق أكثر من بضع ساعات ، ويأتى بعدها الزحف المقدس للصفوف المتراصة المنتظمة الى الهدف الكبير ، بل قد كان الخيال يشط بى أحيانا فيخيل الى أنى أسمع صليل الصفوف المتراصة وأسمع هدير الوقع الرهيب لزحفها المنظم الى الهدف الكبير ، أسمع هذا كله ويبدو فى سمعى من فرط ايمانى به حقيقة مادية ، وليس مجرد تصورات خيال ...

ثم فاجأنى الواقع بعد ٢٣ يوليو ....

قامت الطليعة بمهمتها ، واقتحمت سور الطغيان ، وخلعت الطاغيــة . ووقفت تنتظر وصول الزحف المقدس للصــفوف المتراصــة المنتظمة الى الهدف لكبير ...

وطال انتظارها ...

لقد جاءتها جموع ليس لها آخر .... ولكن ما أبعــد الحقيقة عن الخيــــال

كانت الجموع التى جاءت أشياعا متفرقة ، وفلولا متناثرة ، وتعطل الزحف المقدس الى الهدف الكبير ، وبدأت الصورة يومها قاتمة مخيفة تنذر بالخطر ...

وساعتها أحسست وقلبى يملؤه الحزن وتقطر منه المرارة ، أن مهمة الطليعة لم تنته فى هذه الساعة ، وانما من هذه الساعة بدأت ...

كنا فى حاجة الى النظام ، فلم نجد وراءنا الا الفوضى ...

وكنا فى حاجة الى الاتحاد ، فلم نجد وراءنا الا الخلاف ...

وكنا فى حاجة الى الاتحاد ، فلم نجد وراءنا الا الخلاف ..

ومن هنا وليس من أى شىء آخر ، أخذت الثورة شعارها ...

* * *

ولم نكن على استعداد ...

وذهبنا نلتمس الرأى من ذوى الرأى ، والخبرة من أصحابها .. ومن سوء حظنا لم نعثر على شىء كثير ..

كل رجل قابلناه لم يكن يهدف الا الى قتل رجل آخر !

وكل فكرة سمعناها لم تكن تهدف الا الى هدم فكرة أخرى !

ولو أطعنا كل ما سمعناه ، لقتلنا جميع الرجال وهدمنا جميع الأفكار ، ولما كان لنا بعدها ما نعمله الا أن نجلس بين الأشلاء والأنقاض نندب الحظ البائس ونلوم القدر التعس !

وانهالت علينا الشكاوى والعرائض بالألوف ومئات الألوف ، ولو ان هذه الشكاوى العرائض كانت تروى لنا حالات تستحق الانصاف ، أو مظالم يجب أن يعود اليها العدل ، لكان الأمر منطقيا ومفهوما ، ولكن معظم ما كان يرد الينا لم يزد أو ينقص عن أن يكون طلبات انتقام ... كأن الثورة قامت لتكون سلاحا فى يد الأحقاد والبغضاء !

***

ولو أن أحدا سألنى فى تلك الايام : ما هو أعز أمانيك لقلت له على الفور :

— أن أسمع مصريا يقول كلمة انصاف فى حق مصرى آخر ..

وأن أحس أن مصريا قد فتح قلبه للصفح والغفران والحب لاخوانه المصريين ..

وأن أرى مصريا لا يكرس وقته لتسفيه آراء مصرى آخر ...

وكانت هناك بعد ذلك أنانية فردية مستحكمة ...

كانت كلمة « أنا » على كل لسان ....

كانت هى الحل لكل مشكلة ، وهى الدواء لكل داء ...

وكثيرا ما كنت أقابل كبراء — أو هكذا تسميهم الصحف — من كل الاتجاهات والالوان ، وكنت أسأل الواحد منهم فى مشكلة التمس عنده حلا لها ، فلم أكن أسمع الا « أنا » ...

مشاكل الاقتصاد « هو » وحده يفهمها ، أما الباقون جميعا فما زالوا فى « ألف باء » لم يتقدموا بعدها حرفا واحدا ..

وكنت أقابل الواحد من هؤلاء ، ثم أعود الى زملائى فأقول لهم فى حسرة :

— لا فائدة .. هذا الرجل سألناه عن مشكلة صيد السمك فى جزائر هاواى لما وجدنا عنده جوابا الا كلمة « أنا » ..!

أذكر مرة كنت أزور فيها احدى الجامعات ... ودعوت أساتذتها وجلست معهم أحاول أن أسمع منهم خبرة العلماء .

وتكلم أمامى منهم كثيرون ... وتكلموا طويلا ...

ومن سوء الحظ أن أحدا منهم لم يقدم لى أفكارا ، وانما كل واحدمنهم لم يزد على أن قدم لى نفسه ، وكفاياته الخلقية وحدها لعمل المعجزات ، ورمقنى كل واحد منهم بنظرة الذى يؤثرنى على نفسه بكنوز الأرض وذخائر الخلود .

وأذكر أنى لم أتمالك نفسى فقمت بعدها أقول لهم :

« ان كل فرد منا يستطيع فى مكانه أن يصنع معجزة ، ان واجبه الاول أن يعطى كل جهده لعمله ، ولو أنكم كأساتذة جامعات ، فكرتم فى طلبتكم ، وجعلتموهم — كما يجب — عملكم الأساسى ، لاستطعتم أن أن تعطونا قوة هائلة لبناء الوطن .

ان كل واحد يجب أن يبقى فى مكانه ويبذل فيه كل جهده .

لا تنظروا الينا ، لقد اضطرتنا الظروف أن نخرج من أماكننا لنقوم بواجب مقدس ، ولقد كنا نتمنى لو لم تكن للوطن حاجة بنا الا فى صفوف الجيش كجنود محترفين ، واذن لبقينا فيه » .

ولم أشأ ساعتها أن أضرب لهم المثل من أعضاء مجلس قيادة الثورة ولم أشأ أن أقول لهم انهم قبل ان يدعوهم الطارىء الذى دعاهم الى الواجب الأكبر كانو يبذلون فى عملهم كل جهدهم .

ولم أشأ أن أقول لهم ان معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا أساتذة فى كلية أركان الحرب ، وهذا دليل امتيازهم فى ناحيتهم كجنود محترفين ...

وكذلك لم أشأ أن أقول لهم ان ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، هم عبد الحكيم عامر ، وصلاح سالم ، وكمال الدين حسين ، رقوا ترقيات استثنائية فى ميدان القتال فى فلسطين ..

لم أشأ أن أقول لهم شيئا من هذا ، لأنى لا أريد أن أفاخر التى بأعضاء مجلس قيادة الثورة وهم اخوتى وزملائى ...

وأعترف أن هذا الحال كله سبب لى أزمة نفسية كئيبة ..

ولكن التجارب فيما بعد ، وتأمل هذه التجارب واستخلاص معانيها الحقيقية ، خففت من وقع الازمة فى نفسى ، وجعلتنى ألتمس لهذا كله أعذارا من الواقع عثرت عليها حين اتضحت أمامى — الى حد ما — الصورة الكاملة لحالة الوطن ، وأكثر من هذا أعطتنى الجواب على السؤال الذى قلت أنه طالما راودنى ، وهو :

« هل كان يجب أن نقوم ، نحن الجيش ، بالذى قمنا به فى ٢٣ يوليو؟»

والجواب : نعم ، ولم يكن هناك مهرب أو مفر !

وأنا الآن أستطيع أن أقول اننا نعيش فى ثورتين وليس فى ثورة واحدة ...

ولكل شعب من شعوب الأرض ثورتان :

ثورة سياسية يسترد بها حقه فى حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه ، أو من جيش معتد أقام فى أرضه دون رضاه ..

وثورة اجتماعية ، تتصارع فيها طبقاته ثم يستقر الامر فيها على ما يحقق العدالة لابناء الوطن الواحد .

لقد سبقتنا على طريق التقدم البشرى شعوب مرت بالثورتين ولكنها لم تعشها معا ، ولكن فصل بين الواحدة والثانية مئات السنين ، أما نحن فان التجربة الهائلة التى امتحن بها شعبنا هى أن تعيش الثورتان معا فى وقت واحد ..

وهذه التجربة الهائلة مبعثها أن لكل من الثورتين ظروفا مختلفة تتنافر تنافرا عجيبا ، وتتصادم تصادما مروعا ..

ان الثورة السياسية تتطلب لنجاحها وحدة جميع عناصر الامة وترابطها وتساندها ونكرانها لذاتها فى سبيل الوطن كله ..

والثورة الاجتماعية ، من أول مظاهرها ، تزلزل القيم وتخلخل العقائد، وتصارع المواطنين مع أنفسهم أفراد وطبقات ، وتحكم الفساد والشك والكراهية .. والأنانية ...

وبين شقى الرحى هذين ، قدر لنا أن نعيش اليوم فى ثورتين : ثورة تحتم علينا أن نتحد ، ونتحاب ، ونتفانى فى الهدف . وثورة تفرض علينا برغم رادتنا — أن نتفرق ، وتسودنا لبغضاء ، ولا يفكر كل منا الافى نفسه ...

وبين شقى الرحى هذين — مثلا — ضاعت ثورة ١٩١٩ ولم تستطع أن تحقق النتائج التى كان يجب أن تحققها .

الصفوف التى تراصت فى سنة ١٩١٩ تواجه الطغيان ، لم تلبث الا قليلا حتى شغلها الصراع فيما بينها أفرادا وطبقات ..

وكانت لنتيجة فشلا كبيرا فقد زاد الطغيان تعدها تحكما فينا ، سوء بواسطة قوات الاحتلال السافرة ، أو بصنائع الاحتلال المقنعة التى كان يتزعمها فى ذلك الوقت السلطان أحمد فؤاد وبعده ابنه فاروق ، ولم يحصد الشعب الا الشكوك فى نفسه ، والكراهية والبغضاء والاحقاد فيما بين أفراده وطبقاته ..

وشحب الأمل الذى كان ينتظر أن تحققه ثورة ١٩١٩ ..

ولقد قلت شحب الأمل ، ولم أقل تلاشى ، ذلك لأن قوى المقاومة الطبيعية التى تدفعها الآمال الكبيرة التى تراود شعبنا ، كانت لا تزال تعمل عملها وتستعد لمحاولة جديدة .

وكان ذلك هو لحال الذى ساد بعد ثورة سنة ١٩١٩ والذى فرض على الجيش أن يكون وحدة القوة القادرة على العمل .

كان الموقف يتطلب أن تقوم قوة يقرب مابين أفرادها اطار واحد ، يبعد عنهم الى حد ما صراع الأفراد والطبقات ، وأن تكون هذه القوة من صميم الشعب ، وان يكون ف استطاعة افرادها ان يثق بعضهم ببعض ، وأن يكون فى يدهم من عناصر القوة المادية مايكفل لهم عملا سريعا حاسما ، ولم تكن هذه الشروط تنطبق الا على الجيش ...

وهكذا لم يكن الجيش — كما قلت — هو الذى حدد دوره فى الحوادث وانما العكس كان أقرب الى الصحة ؛ وكانت الحوادث وتطوراتها هى التى حددت للجيش دوره فى الصراع لكبير لتحرير الوطن .

ولقد أدركت منذ البداية أن نجاحنا يتوقف على ادراكنا الكامل لطبيعة الظروف التى نعيش فيها من تاريخ وطننا ، فاننا لم نكن نستطيع آن نغير هذه الظروف بجرة قلم ، وكذلك لم نكن نستطيع أن نؤخر عقارب الساعة أو نقدمها ونتحكم فى الزمن ... وكذلك لم يكن فى استطاعتنا أن نقوم على طريق التاريخ بمهمة جندى المرور فنوقف مرور ثورة حتى تمر ثورة أخرى ، ونحول بذلك دون وقوع حادث اصطدام ، وانما كان الشىء الوحيد الذى نستطيعه هو أن نتصرف بقدر الامكان وننجو من سقا الرحى

وكان لا بد أن نسير فى طريق الثورتين معا .

ويوم سرنا فى طريق الثورة السياسية فخلعنا فاروق عن عرشه ، سرنا خطوة مماثلة فى طريق الثورة الاجتماعية فقررنا تحديد الملكية .

ومازلت حتى اليوم أعتقد أنه ينبغى أن تظل ثورة ٢٤ يوليو محتفظة بقدرتها على الحركة السريعة والمبادأة ، لكى تستطيع أن تحقق معجزة السير فى ثورتين فى وقت واحد ، مهما بدا فى بعض الأحيان من التناقض فى تصرفاتنا .

وحين جاءنى واحد من أصدقائى يقول لى :

« أنت تطالب بالاتحاد لمواجهة الانجليز ، وأنت فى نفس الوقت تسمح لمحاكم الغدر أن تستمر فى عملها .. »

استمعت اليه ، وكانت فى خيالى أزمتنا الكبيرة ، أزمة شقى الرحى :
ثورة تقتضينا أن نتحد صفا واحدا وننسى الماضى .
وثورة تفرض علينا أن نعيد الهيبة الضائعة لقيم الأخلاق ولا ننسى الماضى !

ولم أقل لهذا الصديق : أن منفذنا الوحيد الى النجاة ، أن نحتفظ — كما قلت — بسرعة الحركة والمبادأة ، وبالقدرة على أن نسير فى طريقين فى وقت واحد ...

ولم أشأ أنا ذلك ، ولا شاءه كل الذين شاركوا فى ٢٣ يوليو .

ولكن القدر شاء ، وتاريخ شعبنا ، والمرحلة التى يمر بها اليوم »

* * *

وقد نجحت ثورتنا ، نجاحا منقطع النظير ، نجحت لأنها — كما يقول مؤرخنا الكبير الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : « مؤلفة من رجال ذوى عقيدة وايمان وعلى جانب كبـــير من الاقدام والشـــجاعة ورباطة الجأش ولذلك اضطلعوا بمهمة الثورة على خيروجه ، وليست هذه المهمة سهلة ولاميسرة ، بل هى مهمة خطيرة ، تكتنفها الأهوال والمفاجآت وكان ممكنا أن تفشـــل الثورة أو يكتشف سرها قبل شبوبها فيكون قادتها ولا ريب هدفا لأوخم العواقب بل للهلاك المحقق فهى فى حاجة الى مواهب وشخصـيات جبـــارة تعلو على الظروف والاحداث وكانوا فوق ذلك أصدقاء ، مخلصين أوفيـــاء وشركاء فى الجهاد ، والنضال متقاربين متفاهمين ، وجميعهم من بيئـــة واحدة وأفكار مشتركة ، يدينون بمبادىء واحدة وأعمارهم تكاد تكون واحدة، وقد استمروا فى اتحادهم ، وتضامنهم ، لم تفرق بينهم الأحداث أو النزعات الشخصية ولم يقع بينهم انقسام أو انشقاق مثل الذى أصاب الوفد سنة

١٩٢١ بل بقيت كتلتهم سليمة ، وتغلبت على العقبات التى اعترضت طريقهم الشاق الطويل ، حتى الذين انفصلوا منهم لم يسـعوا فى تأسيس هيئـة أخرى مناوئة لهيئتهم الأولى بل ظلوا رغم انفصالهم موالين ومؤيدين لزملائهم السابقين . العاملين أو ساكنين لا يفكرون فى خروج أو انشـقاق .. وكان هذا ولا ريب من أسباب نجاح الثورة .

وثمة ميزة أخرى لهؤلاء القادة وهى أنهم لم يكونوا من قبل أعضـاء فى حزب سياسى ، فساروا فى ثورتهم سيرة قومية ، ولم يتأثروا بالأهواء الحزبية ، والعصبية ، وكان ذلك من سداد الرأى وعلامات التوفيق ... وتغلبت الثورة على كل مادبر ضدها من مؤامرات واسـتطاعت أن تحقق أهدافها الكبرى ، بل لقد استطاعت أن تحقق من الأهداف ما لم يكن أحـد حتى أولئك الذين أشعلوا الثورة يتوقعون تحقيقها ..

واستطاعت الثورة أن تصدر فى سبتمبر سنة ١٩٥٢ رغم المعارضـات والعقبات قانون الاصلاح الزراعى الذى حدد نصاب الملكية الزراعية بمائتى فدان ، مع جواز التصرف فى مساحة أخرى لاتزيد على مائة فدان لأولاد المـالك ..

وبموجب قانون الاصلاح الزراعى ، استولت الدولة على ٤٢٠٫٠٠٠ فدان ، بخلاف ١٤٥٫٠٠٠ فدانا تصرف فيها ملاكها السـابقون لصـغار الزراع وبخلاف ٢٠٠٫٠٠٠ فدان من أراضى الأوقاف أى أن مجموع ماوزع من الأراضى الزراعية على صغار الملاك يقرب من ٨٠٠٫٠٠٠ فـدان انتفع بها ١٫٥٠٠٫٠٠٠ من المواطنين ...

ولما لم ينجح الاستعمار فى مؤامراته الداخلية ، رأى أن يجرب مؤامراته الخارجية ، فبدأ ضغطه الاقتصادى على بلدنا .. فأحجمت بريطانيـا عن شراء القطن المصرى وفقدت مصر ـ كما تقول النشرة الاقتصـادية للبنـك الأهلى يوليو سنة ١٩٥٣ ـ فى ثمانية شهور فقط عشرين مليون جنيـه ،

من حصيلة ايراداتها بالاسترلينى من مصدر واحد ، نتيجة لذلك التغيير المفاجىء فى سير تجارتها مع المملكة المتحدة ، وكان هدف بريطانيا من مؤامرتها هذه ازدياد الضيق الاقتصادى حتى تتحول النفوس عن الثورة .. ولم تتحول النفوس عن الثورة ، وانما ازدادت بها تمسكا ، وازدادت عليها حرصا .. ففشلت مؤمرات الاستعمار الداخلية والخارجية .

ورأت الثورة أن تقضى على أسس الفساد وعلى حماته المدافعين عنه ؛ أعنى أسرة محمد على التى ظل الممثل الأجنبى يتحكم فى البلاد عن طريقها منذ مايو ١٨٠٥ ، والتى كان تاريخها — كما جاء فى قرار مجلس قيادة الثورة سلسلة من الخيانات التى ارتكبت فى حقوق الشعب وكان من أولى هذه الخيانات اغراق اسماعيل فى ملذاته واغراق البلاد بالتالى فى ديون عرضت سمعتها وماليتها للخراب »...

وألغت الثورة النظام الملكى .

وأقامت الثورة النظام الجمهورى ..

وأخذت مصر ، تحكم لأول مرة فى تاريخها الحديث بأيد مصرية ، صميمة ...

وأراد الاستعمار أن يربط — بعد أن فشل فى مؤامراته الداخلية ، والخارجية . الدول العربية بعجلة الاستعمار ؛ عن طريق حلف بغداد ..

ورفضت مصر هذا الحلف ، كما رفضت أية محاولات أخرى لربطها بعجلة الاستعمار ...

قادت أعنف معركة سياسية شهدها الشرق الأوسط ضد الأحلاف الاستعمارية ، الى أن تم لها التوفيق فى هذه المعركة ....

وأخذت الثورة تعالج مشاكلها الداخلية معالجة صريحة وواضحة ، وكان النصر حليف الثورة فى حل هذه المشكلة مما حدا بالاستعمار الى العمل على تعطيل عجلة الاصلاح الداخلى ..

وحاولت مصر مرات متعددة أن تحصل على أسلحة ثقيلة من بريطانيا وفرنسا ، وأمريكا ، غير أن هذه الدول امعانا منهــا فى التآمر ضــدنا ، راوغت فى بداية الأمر ، ثم اشــترطت شروطــا ثقيــلة لا يمكن أن تتفق مع كرامة البلاد واستقلالها •••

وتحررت مصر من القيود التى وضعها الاستعمار حول رقبتها فعقــدت فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ ، اتفاقا تجاريا مع تشيكوسلوفاكيا يتضمن توريد ما طلبته مصر من أسلحة بلا قيد ولاشرط وانزعجت بريطانيا وفرنسا •• وأمريكا •• وقابل سفير بريطانيا جمال عبد الناصر ليحمل اليه قلق بريطانيا البالغ •• ووصل جورج آلن وكيل وزارة الخارجية البريطانية المساعد لشئون الشرق الأوســط الى مصر بغية تحويل مصر عن سياستها التحررية ••

وفوجىء دعاة الاستعمار بأن سياسة مصر الخارجيــة قد تحــررت تماما من كل أثر للاستعمار •• وأن شخصية مصر السياسية قــد اكتملت ونضجت ولم تعد تقبل أى توجيه أو أى ضغط من آية جهة كانت •••

ثم كان مؤتمر باندونج الذى عقد فى ابريل سنة ١٩٥٥ وفيــه برزت شخصية مصر السياسية ، بروزا دوليا خطيرا ..

ثم تم الجلاء فى ١٣ يونية ســنة ١٩٥٦ عن مصر بعد أن ظل الاحتــلال الانجليــزى جاثما فوق صــدور أبنائها أكثر من ســبعين عاما — وأعلن جمال عبد الناصر هذه البشرى الى المواطنين فى بيان له قال فيه :

اننى اسرح بخواطرى فى هذه اللحظة المجيدة عبر أســوار الحيــاة •• الى الذين جاهدو من أجل هذا اليوم ولم يمتد العمر بهم ليعيشوه ، أسرح بخواطرى الى الرحبــات المقدسة التى تعيش فيها أرواحهم الخالدة ، ونشعر أنهم يتابعون كل مافعلنا كما تابعنا نحن مافعلوا ، حملنا الأمانة بعدهم ••• ورفعنا المشاعل على الطريق ••

اننى أتجه اليهم بقلب شعب وأتجه اليهم بوفاء جيل •• اليهم جميعا ••

الزعماء الذين كافحوا ، أحمد عرابى ، ومصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول ، والشباب الذين باعوا أرواحهم للفـــداء .. على كل بقعة من ثرى الوطن ..

أتجه اليهم بقلب شعب وبوفاء جيل وأقول لهم سوف نمضى على الطريق لن نضعف ولن نتخاذل ولن ننسى الأمانة التى حملنـاها ولا الواجب الوطنى الذى عاهدنا الله أن نقوم به » ..

ومضينا فى الطريق بغير ضعف ولا تخاذل ..

نعادى من يعادينا ، ونسالم من يسالمنا ..

نواجه مشاكلنا ، وأعداءنا بل وأصدقاءنا بصراحة وحزم ، وايمان ..

نرفض الاحلاف ، كما نرفض المشروعات الاستعمارية ، بكافة أنواعها .. وألوانها وصورها ..

ورأى العالم فينا دولة ترفض أن تكون تابعة لأية دولة من دول العـالم ، شرقية ، أوغربية .

ورأى العـالم فينا دولة تواجــه كل ما يدبر ضـدها من مؤامرات ، بصراحة ، وقوة !. وعـزم ..

وبدأت الدول الاسـتعمارية الكبرى تتلقى منـا الصفعة تلو الصفعة .. ولم تكن قد تعودت ذلك من قبل ، وكانت آخر الصفعات تلك التى تلقتهـا فى يوليو سنة ١٩٥٦ .

لقد أعلنت الحكومة الأمريكية فى ١٩ يوليو سنة ١٩٥٦ أنها قد انتهت الى أنه من غير العملى فى الظروف الحاضرة أن تشترك فى مشروع السـد العالى اذا لم يتم الاتفاق بين الدول المشتركة فى موارد مياه النيل .. كمـا أن مقدرة مصر على تخصيص موارد كافية تتضمن نجاح المشروع ، صـارت أكثر افتقارا الى التوكيد مما كانت عليه عند تقديم العرض ..

ووقف جمال عبد الناصر فى ٢٦ يوليو بالاسكندرية يعلن تاميم قنـاة

السويس .. وكان تاميم القناة من اكبر الضربات التى وجهت للاستعمار فى منطقة الشرق الأوسط .. بل كان تاميم القناة من أهم الأحداث السياسية التى عجلت بنهاية النظام الاستعمارى فى هذه المنطقة .

وتوالت المؤامرات الاستعمارية ، ثم تجميد ما لمصر من الأرصدة فى بريطانيا وفرنسا وأمريكا .. ثم كان العدوان البريطانى الاسرائيلى الفرنسى آخر اكتوبر سنة ١٩٥٦ حيث اتحدت القوى الاستعمارية كلها ضد مصر وبذل الاستعمار البريطانى ، ولفرنسى ، بل والامريكى كل ما يملك من جهود للانتصار فى هذه المعركة .. ووقف الشعب كله وراء قائده جمال عبد الناصر .

وقف يدافع عن سيادته ، وحريته وكرامته . وقف يقاتل كما قال جمال : قوى الظلم التى تريد انتهاك حريته .. وكتبنا كما قال جمال صفحة جديدة فى تاريخ مصر بعد أن عاهدنا جمال على أن يقاتل معنا من أجل حريتنا لآخر قطرة من دمه .

وقد هبت — كما قال السيد أنور السادات فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة فى افتتاح مؤتمر تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية فى عام ١٩٥٧ — شعوب آسيا والافريقية فى تلك اللحظة الفاصلة لنجدة مصر ، وعبرت عن مؤازتها لها بكل ما تملك من وسائل . وهنا شعر الذين كانوا يضربون بور سعيد انهم لا يضربون بيوت الآمنين الوادعين فحسب ، ولكنهم شعر المعتدون أنهم لا يضربون بيوت الآمنين الوادعين فحسب ، ولكنهم يضربون معنى ساميا للعدل والحرية .. صمم ألف مليون من البشر على حمايته فارتجت أيدى المعتدين وخارت قلوبهم .. فلما انحسر العدوان وجاء التى كانت تقف فى خط النار الى قمتها .. فلما انحسر العدوان وجاء النصر النصر لم يكن نصر لمصر وحدها بل كان نصرا باسمكم — يا أبناء افريقية وآسيا — أجمعين .. »

وتوالت الانتصارات بعد العدوان الثلاثى كما توالت الانتصارات قبل العدوان ..

كسبنا بصمودنا ، وثباتنا ، وبسالة جيشنا وشعبنا تقدير العالم كله ، واعجابه ..

وكسب العالم العربى كله ، انبعاث القومية العربية على تلك الصورة القوية العنيفة التى زلزلت أركان الاستعمار الأجنبى فى الشرق الأوسط وأصابته فى صميم وجوده ..

وكسبت الحركات التحررية فى الجزائر ، وفى غانا ، وغينيا وكينيا ، وتنجانيقا ، ونياسالاند ، والصومال وغيرها ، من الحركات الافريقية الوطنية انطلاق قوة تحررية ، ليست — كمال قال جمال عبد الناصر — دخيلة فى الشرق ، ولا غاصبة ، ليست عادية عليه ولا مستعدية ، تحمى ولا تهدد ، تصون ولا تبدد ، تقوى ولا تضعف ، تسالم ، ولا تفرط ، تشد أزر الصديق ، ترد كيد العدو ، لا تتحزب ولا تتعصب ، لا تنحرف ولا تنحاز ، تؤكد العدل .. تدعم السلام ، توفر الرخاء لها ولمن حولها وللبشر جميعا بقدر ما تتحمل وتطيق » .

وخسر العدو ، سمعته ، وقوته ، ونفوذه ، وماله ، وعتاده ، وأصيب بالتفكك والانحلال ، ولسنا هنا فى مجال تعداد الخسائر التى حاقت بالعدو غير أننا نشير الى ناحية من نواحى الخسران الذى لحق بالعدو ، كما سجلها كاتب محايد هو الشاعر الشيلى بابلونيردوا : لقد أدى العدوان الثلاثى الى تاخر خطير فى الاقتصاد الانجليزى والفرنسى ، والى هبوط فى الانتاج وفى التجارة ، وفى مستويات المعيشة ، وكانت أشد لطمة هى تلك التى أصابت صناعة النقل .. وخاصة فى أوروبا الغربية . حيث أدى وقف امدادات زيت الشرق الأوسط وغلق قناة السويس الى تدهور الحياة الاقتصادية فى أوروبا لغربية ..

وقد حاولت دول غـرب أوربا أن تخفف من حدة الآثار الخطيرة التى ترتبت على توقف سـيل زيت الشرق الأوسـط وذلك بزيادة وارداتها من الزيت الأمريكى بالدولار وباسعار عالية مماأدى الى نقص الاحتياطى من الدولار لدى بريطانيا وفرنسا وكثير من الدول الأخرى . وفى نهاية العـام كان احتيـاطى بريطانيا من الذهب والدولار قـد هبط الى أدنى مستوى منذ أزمة الصرف الحادة فى عام ١٩٥٢ .

وقد اضطرت الحكومة البريطانية أن تلجا الى الولايات المتحـدة لكى تجد لنفسها مخرجا من أزمة النقد الأجنبى الخطيرة فطلبت قرضا قـدره ٧٥٠ مليون دولار بفائدة سنوية قدرها ٣ر٥ ٪ ولكن الولايات المتحـدة رأت أن تسـتغل مشاكل بريطانيا فى أن تجعلهـا أكثر تبعة للاحتـكارات الأمريكية .. فانقص بنك التصدير والاسـتيراد الأمريكى القرض الى ٥٠٠ مليون دولار ورفع سعر الفائدة الى ٤ر٥ ٪ على ألا يستخدم القرض الا فى الشراء من الولايات المتحدة وأن يتم سداده فى مدى سبع سنوات ونصف . وتظهر طبيعة القرض المجحفة أيضا من أن الحكومة البريطانية اضطرت أن تقدم سهما صناعية مما تملك كضمان للدين .

ولقد أدى العدوان على مصر الى جانب السياسة الاقتصادية التى اتبعها كثير من الدول الرأسمالية الى نقص فى القوة الشرائية للعمال وجعل اقتصاد العالم الرأسمالى يواجه أزمات خطيرة . وقد جاء فى مجلة « وول ستريت » انه ليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد ان دوائر الأعمال لن تصادف مشـاكل كثيرة عام ١٩٥٧ .. ويكشف الورق ـ كما تقول المجلة ـ عن وجود عـدد كثير منها . وقالت مجلة « فايناتشيال تايمز » معلقة على الظروف فى بريطانيا: اننا نواجه شتاء قاسيا ونقصا فى الانتاج وزيادة فى عـدد المتعطلين فى وقت واحد كل ذلك بسبب العدوان الثلاثى .

وسارت ثورتنا فى استئصال القديم الفاسد ، وفى احلال محله ما هـو

جـديد وبناء . واستطاع الشعب ــ كما قال السـيد عبد القادر حاتم أن يحقق فى سبع سنوات ما عجزت شعوب كثيرة عن تحقيقة فى اجيال بعـد ان أصبح الشـعب يعى مسلكه ، ومسلك حاكميـه ، وبعد أن أصـبح يدرك حقيقة الأسـلوب وجـودة الخطة .. وانعكس كل ذلك ، ايمانا تغلغل فى أعماقه ، وثقة شاعت فى نفسه ، واطمئنانا واتزانا بانت مظاهره جلية فى كل أقواله ، وأفعاله ، وحررنا اقتصادنا الوطنى ..

وارسينا قواعد الحكم على اسس سليمة ومتينة ، وانتقل مجتمعنـا من مرحلة التفكك والانفصال الى مرحلة التكتل والحركة ..

وقامت سياستنا الداخلية على اسس اشتراكية ديمقراطية ، تعـاونية ..

واصبحت سياستنا الخارجية مبنية على أسس استقلالية سليمة ، تعتمـد على الحيد الايجابى وعدم الانحياز ، والتعـايش السلمى ، وحق كل شعب فى تقرير مصيره وفى حكم نفسه بنفسه ..

وأصبح هدفنا ــ كما قال عبد الناصر ــ القضاء على الاسـتغلال لنقيـم بدلا منه مجتمعا تتعاون فيه الرأسمالية الوطنية مع الحكومة ومع الشعب ومع الادخار العام للشعب من أجل مصلحة الشعب لا من أجل اسـتغلال الشعب ، مجتمع تتعاون فيه الملكية أو الملكيـات المختلفة من أجل المصلحة العامة لا من أجل الاستغلال ..

لم يكن هدفنا ــ كما قال الرئيس ــ القضاء على الملكية والدسـتور ، فالملكية الخاصة ، مصونة ولم يكن هدفنا أن نقضى على الملكية الزراعيـة أو نحرمها أو نحول ملاك الأرض الى أجراء أو عمـال فى الأرض ولـكن هدفنا أن نحول أجراء الأرض الى ملاك ، وبهذا نستطيع أن نقيم عـدالة اجتماعية ونقرب من الطبقات ..

ولم تكن الدولة عندما تدخلت فى الصناعة ، ترى — كما قال جمال عبد الناصر — أن تكون الرأسمالى الوحيد ، انما لأننا نعتبر أن الرأسمالية الوطنية ضرورة لازمة لتقويم اقتصادنا والتنمية وللوصول الى تحقيق الاستقلال الاقتصادى ..

ووضعنا — كما قال جمال عبد الناصر — فى اعتبارنا مصالح العمال ، وأيضا مصالح رأس المال الوطنى وأدخلنا فى اعتبارنا التعاون بين الريف وبين المدينة والتبادل بين الدولة والخارج » .

وظللنا — كما قال قائدنا — فى معركة النصر ببور سعيد فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٨ ، نحارب معركة السلام .. نحارب معركة البناء ، من اجل السلام ومن أجل رفاهية العالم أجمع ، ومن أجل التقدم الاقتصادى .. والتقدم الاجتماعى ..

ومن أجل السلام لا نؤمن بالأحلاف ولا بالكتل العسكرية ، ولا بالانحياز .

ومن أجل السلام نؤمن بنهاية النفوذ .. وتقرير المصير ، وأن يكون كل شعب حرا فى تقرير مصيره ، وحرا فى تطوير بلاده ، حتى يحصل على حقه من ثروات هذه البلاد » ..

وبالجملة .. حكمت مصر بانبائها الذين من لحمها ودمها والذين يحسون باحساسها ..

لقد بدأنا نحس أننا لسنا مخلوقين من قولة ، بل من أرض مصر ، ومن تراب مصر ..

ولهذا كله استطاعت مصر ، أولا ، ومن بعدها الجمهورية العربية المتحدة ، أن تقوم بدورها فى حركة النضال العالمى .. لم تترك أية قضية

من قضيا الحرر دون أن تساهم فى مســاعدتها •• ولم تترك أى معركة من معارك الاستقلال دون أن تشترك فى انجاحها • وسواء كانت هذه المعــارك أو هذه القضايا فى افريقية أو فى آسيا فان موقفنا منها كان دائما واضحا ، وسليما •• موقف التأييد والتشجيع • بل والمساهمة الفعالة •

وعندما التقت شـعوبنا مرة أخرى فى ١٥ ابريل سنة ١٩٥٨ فى آكرا ، وقف الدكتور محمود فوزى وزير خارجية الجمهورية العربية المتحــدة ، يعلن باسم الجمهورية العربية المتحدة فى تواضع وحزم أنها تدرك مسئوليتها المزدوجة بوصفها دولة افريقية ، وفى الوقت نفسه دولة آسيوية .

وأعلن محمود فــوزى : أن النضــال فى ســبيل الحرية لن يتوقف ، وعندما تنتشر الحرية فى كل مكان وعندما تكون لها الكلمة الأولى سيحول سحرها العالم الى جنة ..

« انى لأؤكد لكم أن الانسانية اليوم أقــرب ما تكون الى التردى فى هاوية لا قرار لها كما أنها أقرب ما تكون الى التحليق نحو قمم لم يحلم بهــا انسان وللانسانية أن تختار واحدة منها .. انها اليوم فى مفارق الطرق .

ومضى محمود فوزى يقول : لقــد ظهرت بشائر الفجر فاســتيقظت افريقية وسينتشر فى أرضها وفيما حولها الأمل والايمان ، وسوف تحمــل مسئولياتها وتمارس حقوقها . ستمارس هــذه الحقوق فى ايجابية فعالة ، وسوف تنتزعها ولن تقف مغلولة اليدين خاضعة حتى تلقى اليهــا ، سوف تلقى عن كاهلها القبر الذى يجثم على صدرها •• سوف تنطلق لتحصـــل على مقومات القوة الاقتصادية والاجتماعية والذهنية والروحية .. لن تموت خزيا .. بل ستعيش فى كرامة وسوف تنمو فى صدور أبنائهــا معرفة أكثر بأنفسهم وبغيرهم وبشــعوب العالم كله • سوف تبسط للعالم يد افريقيــة حرة سليمة .. يدا صديقة مخلصة » .

وعندما التقت شعوبنا مرة اخرى بالقاهرة فى سنة ١٩٥٩ ، واجتمع ممثلو شباب افريقية وآسيا فى مؤتمر هو الأول من نوعه ، تحدث جمال عبد الناصر عن دور الجمهورية العربية فى خدمة التضامن الافريقى الآسيوى فقال :

باسمكم وباسم شعب الجمهورية العربية المتحدة ، أحيى شباب آسيا وافريقيا الذى يجتمع مؤتمره اليوم فى القاهرة ليعبر عن كفاح آسيا وافريقيا .. وعن آمال آسيا وافريقيا .. والذى يضع أسس التضامن بين شعوب آسيا وافريقيا فى العمل من أجل الحرية والاستقلال لجميع الشعوب

ان مؤتمر آسيا وافريقيا انما هو تاكيد لمؤتمر باندونج الذى اشتركنا فيه وتضامنا من أجل تثبيت مبادئه . هذه المبادىء التى آمنتم بها والتى آمنت بها شعوب آسيا وافريقيا والتى آمنت بها الشعوب الحرة فى جميع أرجاء العالم — هذه المبادىء التى تعبر عن تقرير المصير والتى تعبر عن الحرية والمساواة ، والتى تعبر عن التضامن للعمل من أجل الاستقلال ومن أجل تثبيت الاستقلال ، والتضامن من أجل التنمية الاقتصادية ومن أجل التطور الاجتماعى لجميع الشعوب الاسيوية الافريقية .. كل ذلك تحت أسس أعلنها مؤتمر باندونج وهى مبنية على الاحترام وعلى أن لكل دولة الحق فى أن تتخذ لنفسها المبادىء السياسية والمبادىء الاجتماعية التى تراها — هذه المبادىء التى أعلنت فى باندونج والتى تقول أن لا تستخدم الدول الكبرى الدول الصغرى لتحقق أمانيها ولتحقق سياستها .. هذه المبادىء التى أعلنت فى باندونج والتى أعلنت المساواة بين الدول كلها الكبير منها والصغير .. هذه المبادىء التى أعلنت فى باندونج وعبرت عن أمل الشعوب فى التعايش السلمى وفى العمل من أجل السلام ..

ونحن اليوم أيها الشباب .. شباب الجمهورية العربية المتحدة .. بعد أن حاربنا المعركة المريرة والمعركة الكثيرة من أجل الاستقلال ، ومن أجل الحصول على الاستقلال ، فاننا نشعر أن أمامنا مسئوليات كبار ومسئوليات عظمى نحو وطننا ونحو البلاد التى نشعر أن هناك رابطة تربطنا بها . نشعر بهذا من كل قلوبنا ومن كل أرواحنا .. واذا كنا حاربنا معركة الاستقلال واستشهد منا الكثير فاننا قد صممنا على أن نكافح بكل قطرة فى دمائنا وبكل نفوسنا من أجل تثبيت هذا الاستقلال ومن أجل حماية هذا الاستقلال ..

ان الشباب الذين قاتلوا على مر السنين وعلى مر الأيام ليحققوا لبلادهم الحرية والاستقلال .. الشباب الذى لم ييأس أبدا رغم الاستعمار ، ورغم قوات الاستعمار ، ورغم جيوش الاستعمار ، وخرج دائما وهو عارى الصدر ولا يتسلح الا بالايمان ليحارب الاستعمار ويحارب القوة الغاشمة ولم يهب الموت ولم يهب الاستشهاد .. هذا الشباب الذى يشعر اليوم بحلاوة الاستقلال والذى يشعر اليوم بحلاوة السيادة والذى يشعر اليوم بحلاوة الحرية ؛ آلى على نفسه أن يحمى هذا الاستقلال وأن يحمى هذه الحرية — هذا الشباب الذى يحمى الاستقلال والذى يحمى الحرية من أجل خلق مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى تسود فيه العدالة والحرية والمساواة ، يشعر أيضا أن عليه واجبا كبيرا من أجل التنمية الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة ومن أجل رفع مستوى المعيشة لجميع أبنائها .. لقد فاتنا الكثير فى السنين الماضية حينما كنا نرزح تحت السيطرة الاستعمارية ونرزح تحت الاحتلال .. وفاتتنا فرص كبيرة من أجل تنمية بلادنا ومن أجل تطور اقتصاد أوطاننا .. وفاتتنا فرص كثيرة من أجل العمل

على رفع مستوى المعيشة بين أبناء وطننـــا ، ومن أجل اقامة مجتمع ترفرف عليه الرفاهية والمساواة . واليوم بعد أن حققنا الحرية وبعد أن تخلصنا من الاستعمار وبعد أن تخلصنا من أعوان الاستعمار .. اننا اليوم نشعر أننـا اليوم نشعر أننا نستطيع أن نعمل بحرية وبعزم من أجل بناء هذا الوطن — بنائه اقتصاديا وبنائه اجتماعيا وبنـــائه ثقافيا .. حتى نعوض ما فات وحتى نرفع مستوى المعيشة بين ربوع هذا الوطن.

هــذه أيها الاخوة هى رسالتكم .. رسالة شـباب الجمهورية العربية المتحدة من أجل الجمهورية العربية المتحدة .. العمل من أجل الاستقلال ثم العمل من أجل حمـاية هذا الاسـتقلال ، ثم العمل بكل قوة فى سواعدنا من أجل بناء وطننا حتى نستطيع أن نحرر الاقتصاد الوطنى وحتى نستطيع أن نطور اقتصادنا وحتى نرفع بين ربوع هذا الوطن راية المجتمع السـليم الذى يشعر بالعدالة والحرية والمساواة ..

هذه أيها الاخوة هى رسالتكم ، من أجل الجمهورية العربية المتحـدة واننا اليـوم ونحن نحتفل بهــذا العيـد ، عيد الشـباب ، بعد أن قامت الجمهورية العربية المتحدة لاول مرة — ونشعر بحلاوة الوحدة وحـلاوة الانتصار الذى حققه الشعب العربى من أجل وحدته ومن أجل حريته — وقد قلت لكم أيها الاخوة دائما أن القوة هى سبيل الوحدة وأن الوحـدة هى ســبيل القـوة .. واننى أقول لكم اليــوم أيهـا الاخوة ، أيهـا الشباب : ان الوحدة لها مشاكلها وكذلك التجزئة والتفتت لها مشاكلها .. أما مشاكل التجزئة ومشاكل التفتت فهى السيطرة الاجنبية عـلى مقاديرنا وعلى أجزاء متفرقة من بلادنا — أما مشاكل التجزئة ومشاكل التفتت فهى سيطرة وتحكم واستعمار واحتلال — وقد لاقت الامة العربية الاحتـلال والاسعمار والسيطرة والتحكم بعد أن جزءوها وفرقوا بين أبنـائها وأقاموا

بينهم الدس والفتنة حتى يتصارعوا وحتى يتشابكوا وحتى تقوم الفرصة للطامعين فينا حتى يتحكموا فينا ويسيطروا على بلادنا ويتحكموا فى الامة العربية .. وبعد هذا أيها الاخوة شعرت الامة أن سلاحها ضد السيطرة وضد الاستعمار وضد التحكم وضد الغزو هو الوحدة والتضامن والاتحاد فآمن العرب فى كل مكان أن لابد للعمل من أجل الوحدة ولابد للعمل من أجل التضامن ولابد للعمل من أجل الاتحاد .. وكانت ثمرة هذا الجهاد الطويل هى جمهوريتكم الجمهورية العربية المتحدة .. هذه الجمهورية أيها الاخوة التى قامت بين أرجاء الامة العربية لترفع راية الاستقلال ، فان الاستقلال هو أول خطوة نعمل من أجل تحقيقها حتى يكون هناك اتحاد .. ان الاستقلال هو أساس التضامن الحقيقى لأنه لا تضامن اذا كانت الامة العربية تخضع أجزاء منها لادارات متفرقة وتمثل الاستعمار وتمثل السيطرة وتمثل الاستبداد وتمثل التحكم وتمثل هؤلاء الذين يريدون أن يسيطروا على بلادنا لينهبوا خيراتها من أجلهم ومن أجل السيطرة علينا ومن أجل أن تعود عليهم فائدة الخيرات ..

كانت الوحدة أيها الأخوة هى السبيل الذى رآه العرب فى كل مكان للاستقلال وللحرية ، وكان التضامن هو السبيل الذى رآه العرب فى كل بلد عربى للحفاظ على الاستقلال ولحمايته من الطامعين فينا ولحمايته من المستبدين ، وكانت معركة بورسعيد أيها الشباب هى المثل الواضح والمثل الكبير لكفاح الشعب نعربى وكفاح الأمة العربية .. كانت بورسعيد هى مثل الوحدة وهى مثل الاتحاد وهى مثل التضامن .. كانت بورسعيد هى المثل الحى الذى أثبت للعالم أجمع أن تضامن الأمة العربية لابد أن ينجح ولا بد أن يهزم الدول الكبرى ولا بد أن يهزم العدوان ..

وكانت الوحدة أيضا أيها الأخوة هى المثل الكبير الذى أعلن للعالم أجمع

أن الاتحاد والوحدة هى سبيل الأمة العربية من أجل حماية استقلالها ومن أجل صد العدوان .. واستطاعت مصر فى ذلك الوقت بفضل تضامن الأمة العربية فى كل مكان ، وبفضل اتحادها واتحاد الشعب العربى أن تصد العدوان وأن تقضى أسطورة الدول الكبرى التى تريد أن تتحكم فى الدول الصغرى بقوة السلاح .. وساعدنا فى هذا أيها الأخوة تضامن الشعوب الآسيوية الافريقية والشعوب الحرة فى جميع أنحاء العالم كله .. واليوم بعد أن مر عام على الوحدة بين سوريا ومصر .. اليوم نحقق الانتصارات ، وكما قلت لكم اننا نعلم مشاكل التجزئة وان الوحدة اذا كانت فيها مشاكل فلكنها تضمن الاستقلال وتحمى الاستقلال من الاستعمار الصهيونى ومن الاستعمار الذى آلى على نفسه أن يتحكم فينا ويسيطر على مواردنا .. ان مشاكل الوحدة تهون أيها الاخوة اذا رأينا مشاكل التجزئة ، واننا نعلم جميعا ماهى مشاكل التجزئة — سيطرة وتحكم واحتلال واستعمار — أما مشاكل الوحدة فهى تعبىء المشاكل التى تلاقيها كل الدول والتى تلاقيها كل البلاد حيثما تعمل وحيثما تعبىء نفسها من أجل بناء اقتصادها ومن أجل التطور الاقتصادى ومن أجل التنمية الاجتماعية .. اننا اليوم بعد عام من الوحدة بين مصر وسوريا وبعد عام من قيام الجمهورية العربية المتحدة نشعر اننا أقوى حزما وأشد ايمانا فى سبيلنا الى المستقبل .. ان شعب الجمهورية العربية المتحدة هنا فى مصر وهناك فى سوريا قد آلى على نفسه أن يعلن هذه الوحدة حتى يشعر بقوته وحتى يحلو استقلاله وحتى يحقق للامة العربية متضامنا معها فى كل أرجائها ما تصبوا اليه من حرية واستقلال وقوة وحتى تحقق لشعب فلسطين — الذى هزم نتيجة التآمر ونتيجة الاستعمار — حقوقه المغتصبة التى أعلنوها وآلوا على أنفسهم بعد ذلك أن يتناسوها .. اننا لم نتنكر لحقوقنا ولم ننس حقوقنا ولم نتنكر لحقوق الأمة العربية جمعاء ولم ننس حقوق الأمة العربية ولم نتنكر لحقوق شعب فلسطين ولم ننس حقوق شعب فلسطين ..

هذه أيها الاخوة هى أهداف الجمهورية العربية المتحدة •• وهذه أيهـا الجمهورية التى قامت لتكون رسول الأمة العربية كلها ولا تهددها •• والتى قامت لتوحد الأمة العربية كلها ولا تفرقها •• والتى قامت لتعمل من أجـل الحرية والسلام •• فالى الأمام دائما أيها الشباب من أجل رفع راية الوطن عزيز والله يوفقكم والسلام عليكم ورحمة الله •

وكانت كلمات الرئيس أصدق تعبير عن سياسة الجمهورية العربية المتحدة تجاه قضايا التحرر فى أفريقيا وآسيا ••

لقد أكدت هذه الكلمات بزوغ أمل جديد على أفق هذا الشرق ... دولة كبرى فى الشرق ليست دخيلة فيه ولا غاصبة ليست عادية عليه ولا مستعبدية••

كل شيء يتوقف عن الجزائر

ان اتصال الاسلام بالشعوب الافريقية يرفعها ،
ويسمو بروحها ».

أندريه جيد

عندما يفتح الدين الاسلامى بلدا ويظفر بها كليـة لم
يحدث ليومنا هذا انه خرج منها

آلن . هـ . برودريك

ان استقلال الجزائر الكامل لا بد أن يؤدى الى انهيار سريع يصيب جميع المستعمرات التى ما يزال الغرب يحافظ عليها فى العالم... وخصوصا فى القارة الافريقية كما أن كتلة الدول الاستعمارية تعرف جيدا أن انتصار الثورة الجزائرية ، سيعزز عقيدة جميع الشعوب المتطلعة الى الحرية ، وسيغذى آمالها فى التحرر وسيجسم بصبغة بينة واضحة تنفيذ مبادىء باندونج .

صحيفة « المجاهد » الجزائرية أول نوفمبر سنة ١٩٥٨

... رأى عثمان بن عفان عام ٢٧ من الهجرة وبعد أن استقر الأمر للعرب في مصر ، وبرقة ، أن يتوغل الاســلام داخل شمال القارة الافريقية ، وأمر عثمان بن عفان عام ٦٥٧ م أخاه في الرضاع وعامله على مصر عبـد الله بن سعد بن أبي سرح بالمسير الى برقة ، وطرابلس وتونس في عشرين الفـا من الصحابة والتابعين وعاد الى مصر بعد أن مهد هذه الاقطار للفتح الحقيقي :

وقدم عقبـة بن نافع القهري الى افريقية عام ٥٠ هـ وقد وضع تخطيط مدينة القيروان .. ولفظ القيروان لفظ فارسي معنـاه « محط الجيش » . ووصل عقبة الى المغرب الاقصى .. ولم يصده عن تقدمه الا المحيط الإطلنطي. فلمـا انتهى الى البحر أقحم فرسـه فيه ورفع يديه الى السماء ثم قال بأعلى صوته : اللهم أشهد اني قد بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت في البـلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك » . وتوالى الزحف العربي على افريقية في عهد عبد الملك بن مروان .. وبقيادة حسان بن النعمان الغسـاني واستطاع موسى بن نصير ، وطارق بن زياد فتح الاندلس .

وانتشر الاسلام في شـمال افريقية ، كما انتشر في الاندلس ، وشعر أبنـاء هذه البلاد أن الاسـلام ليس كغيره من الأنظمة التي حكموا بها من قبل في عهد القرطاجنيين ، أو الرومانيين . بل لقد جاء هذا الدين الجديد بمبادىء جديدة سليمة ، لا فرق بين عربي وعجمي الا بالتقوى ، ان خيركم عند الله أتقاكم » « الناس سواسية كأسـنان المشط » ...

لقد قضى الفتح العـربي على امتيازات الاشراف . وخفف عن الشعب أعباء الضرائب الفـادحة التي كانت تفرض عليهم .. وأمن السـكان على أموالهم وعقائدهم كما يقول الاستاذ عبد الله عنان . ثم اختار حكامهم من بينهم وأخذ بناصر الطبقات المستعبدة التي كانت الى ذلك العهـد في أتعس حالات الذل ، والفاقة فعـادوا الى المدائن والقرى بعد التشتت في الجبال والسهول مرحبين بالنظام الجديد . »

وكما قال الاستاذ لين بول « لقد انشأ العرب حكومة قرطبة التى كانت أعجوبة القرون الوسطى ، بينما كانت أوروبا تتخبط فى ظلمات الجهل ، فلم يكن ثمة سوى المسلمين من أقام بها منار العلم والمدنية . »

وقد ظلت افريقية منذ فتحها المسلمون ولاية اسلامية تعترف بالسلطة الزمانية والروحانية لخليفة المسلمين ، حتى انتهى حكم المهدى الخليفة العباسى الثالث وحدثت بعض الفتن التى فر على أثرها بعض أهل بيت الرسول وأبناء عشيرته مثل ادريس ويحيى وسليمان من أولاد عبد الله بن الحسن .. أما أدريس فقد اتجه الى المغرب الأقصى سنة ١٧٢ هـ وأنشأ مدينة « وليلى » وكون لنفسه امارة اسلامية انفصلت عن جسم الخلافة الاسلامية .

واضمحل ملوك الادارسة .. كما اضمحل من بعدهم دولة الاغالبة التى فتحت جزيرة صقلية عام ٢١٦ والتى نشرت الاسلام بها ثم جاءت دولة الفاطميين التى انتقلت من القيروان الى مصر ، وأنشأت القاهرة والجامع الازهر عام ٣٦١ هـ ولعبت دورا خطيرا فى تاريخ شمال افريقية كله وقد ظل شمال افريقية فى صراع مع الاطماع الاجنبية يحتل مرة ، ويستقل مرات ، يتمزق فترة ، ويتوحد فترات . الى أن تم استيلاء الفرنسيين على الجزائر عام ١٨٣١ ، وعلى تونس سنة ١٨٨١ .. وبعدئذ مراكش فى عام ١٩١١ وقد نكبت ليبيا فى نفس العام بالاستعمار الايطالى .. لقد اشتهر أبناء شمال افريقية بهيامهم ببلدهم هياما فطريا .. واشتهروا بكراهيتهم للاستعمار كراهية غريزية ..

ولم يعرف العالم كله كفاحا مريرا ، كهذا الذى يقوم به شعب شمال افريقية للقضاء على الامبراطورية الفرنسية لقد أقدم الفرنسيون المستعمرون على ارتكاب أبشع الجرائم ، وأشنعها للقضاء على حياة أبناء هذه المنطقة ، ويصبغها بالصبغة الفرنسية ، ولم تنجح فرنسا فى « فرنسة » هذا الشعب العربى الاصيل ..

وما يجرى اليوم فى الجزائر ، يدل دلالة قاطعة على ان هــذا الشعب ـ الشعب العربى فى شـمال افريقية ـ سيلقى عن قريب بالعدو فى البحر .. وستنقل المعركة ـ لو تمادى المستعمرون الفرنسيون ـ الى فرنسـا ذاتها ولعـل ما تعلنه صحيفة لوموند عن « جريدة لوموند اللبسترالدو » ما يدل على أن حـرب التحـرير فى الارض الخضراء « تصـلح لان تكون مثلا للطريقة التى تصنع بها الشعوب استقلالها . وما انين الاحرار ، فىمعسكرات الاعتقال سوى أناشـيد البطولة ترتفع عالية » .. ويمضى محرر الصحيفة فيقول لقد انطلقت فى السيارة عبر شوارع العاصمة السـاكنة الا من صوت محركات الجيب اللأى برجال البوليس وقد زودوا بأحدث الأسلحة الرشاشة وخيل لى ـ لاول وهلة ـ أننى وسط ثكنة تعج بالجنود والمصفحات فالمدينة بعد أن خيم الليل عليها بدت خالية من المدنيين الا من بعض أوربيين كانوا يجوبون الشوارع « الامنة » مسرعين وبالرغم من هــذا فالتدابير فى غاية الشدة كل ذلك خوفا من العرب ومن الحرية التى تريد اعادة فرنسا الىمكانها فى الطرف الآخر من البحر المتوسط

تعمدت زيارة القصبة ليلا وعلى مقربة من هذا الحى العربى الحصـين أوقفت مرتين وكدت أن أعتقل مرتين لولا أبراز الاذن من لاكوست وبعد أن سرنا قليلا أشار من كان برفقتى الى بناء اعتقل فيـه المحامى الوطنى ، على بونجل قال : لقد نقـلوه من هنـا الى مكان مجهـول وبعـد أيام أذاع الفرنسيون أنه مات منتحرا ..

وفى القصبة بعد السؤال عن حقيقة ما آل اليه على بونجل قيل لنا أن « الانتحار » شىء عادى هنا .. عشرات ينتحرون فى كل يوم ..

أشياء كثيرة سمعتها هنا عن الفتاة التى قتلوها . بعد ان اعتدوا عليها .. والطفل الذى رفض أن يحيى فرنسا فجندله رصاص أحد قطاع الطرق من المتطوعين فى الفرقة الاجنبية .. حدثونى عن مقابر الاحياء وغزو البيوت وعن

كل شيء لايشرف فرنسا ولا يشرف من يدعون الحفاظ على مدنية العالم الحر » .

كنت أعتقد أن ثمة هدوءا لابد أن يكون سائدا فى المناطق الاخرى ولكن هذه الفكرة سرعان مافرت منى ففى قسطنطينة اقام الفرنسيون من الحواجز والتحصينات ما يكفى لان يجعلك تأخذ صورة حقيقية عن الهلع المسيطر على الفرنسيين ... انهم يسيطرون على هذه البلاد ويحكمونها بالقوة العسكرية .. ولكن القسم الاعظم من الجزائر أصبح فى قبضة حركة التحرير الوطنية ومن الحق القول هنا ان الجزائريين فى حربهم القاسية هذه انما يخوضون مع أحفاد نابليون معركة غاب عنها التكافؤ .. جيش يفوق بعدده الـ ٨٠٠ الف مقاتل . زود بأحدث الاسلحة على اختلاف الانواع التى تملأ مستودعات حلف شمال الاطلسى ومجموعة من الرجال الاشداء المؤمنين يمثلون شعبا فتيا .. بدأوا ببنادق الصيد عددا ضئيلا ، وصاروا بالايمان جيشا قويا ترهبه فرنسا وتنزاح من تحت أقدامه حصون الاستعمار .

وسر القوة هنا ، ليس فيما توصل الجزائريون الى الحصول عليه من العتاد ، ولا فى العدد الذى يتزايد يوما بعد يوم ، بل بشعور هذا الشعب بحقيقة كونه عربيا لا فرنسيا وبالتالى فى وحدته القوية المتماسكة .

وفيما يواصل جيش التحرير عملياته التطهيرية تستمر فرنسا فى حكم « احدى مقاطعاتها » بالارهاب والتقتيل والطغيان تحت اشراف الجنرال ماسو قائد الفرقة الاجنبية الى تمثل بأقسى عنف ارادة السلطة الحاكمة .

وبالاضافة الى هذه الفرقة الأجنبية المكونة من قطاع الطرق ألبسوا الزى العسكرى ، هناك اختصاصيون بأساليب التعذيب دربوا فى الجيش الفرنسى . ومن أفظع هذه الأساليب عمليات افقاد الحس والتشويه الشامل

بواسطة الآلات الكهربائية وأنظمة الحمام وغيرها من الفظائع التى سببت للضمير الفرنسى أزمة عنيفة .

لقد شاهدت بأم العين عشرات ومئات الجزائريين وقد شوهوا بشكل مريع وبصورة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ الحديث . أحد الفرنسيين أصيب فى عقله من هول مارأى فى المستشفيات ومراكز الاسعاف بتونس .

لقد أكد لى كاهن كاثوليكى ، لن أذكر اسمه لئلا يلاقى مالاقاه سواه ، وأقل ما يمكن أن يحصل فى هذه الحالات هو النفى كما حدث لاثنين من الاوروبيين ساعدا جريحا عربيا ... أكد لى هذا الكاهن وجود معسكرات الاعتقال التى ينفى السيد لاكوست وجودها .

فماذا يقول المقيم العام عن معسكر الاعتقال « دجورف » الواقع على مسافة ٨٠ كيلو مترا الى الجنوب من برج بو العراجى .. ومعسكر «بروجيا» الذى يبعد ١٢٠ كيلومترا عن مدينة الجزائر ؟ ثم ما رأيه فى مقبرة الأحياء «سان ليو» بالقرب من وهران ، وجحيم «بوسوبيه» الذى يفصله ٧٠كيلو مترا عن مدينة سيدى بالعباس ؟ ومعسكر « أفلو » الرهيب الواقع على مسافة ٤٠٠ كيلومتر الى الجنوب الشرقى من وهران .. ومعسكرات أخرى غيرها مثل «ساليتز» و «زرديقه» و «عين مقرة» و«يوجى»و«سارنييه»وغيرها ..

وبعد فان أهم ما ينبغى للغرب أن يدركه من خلال معركة الشعب الجزائرى الفائقة الروعة ، هو أن هناك ظاهرة جديدة فى العالم العربى لم يعد فى الامكان تجاهلها . هذه الظاهرة هى ظاهرة القومية المتحفزة صوب السيادة والاستقلال ، التى من خلال أخطاء الغرب تمكنت الكتلة الشيوعية من مكاسب كبيرة تزداد يوما بعد يوم .

وثمة حقيقة أخرى يجب ابرازها هنا : ليست الجزائر خاضعة اليوم للحكم الفرنسى الا من حيث الظاهر فقط

أما الحاكم الحقيقى فليس هو غير حركة التحرير الجزائرية التى تنظم

أعمال الوطنيين وتصـدر الأوامر التى قال فيهـا أحد كبار موظفى المكتب الثانى الفرنسى ، وهو أقدر القائمين على هذا المكتب فى الجزائر ، « انها شيء يفوق التصور » .

وما يقال فى هذه الأوامر يقال عن منفذيها أيضا . لقد صنع الجزائريون شبكة بالغة الدقة والقوة أقلقت فرنسا ، وخلقت الرعب فى قلوب جنودها .. شبكة ضمت جميع فئات الشعب من الطفل الى الشاب فالشيخ مضافا الى العدد الهائل من النساء اللاتى غيرت الحرب التحريرية نفسياتهن وأطلقتهن فى صـميم المعركة .. مجنـدات لا يهبن الموت . انهن فى كل مكان .. بالمدينة والقرية وفى أعالى الجبال مع المقاتلين يحملن السلاح . هذه سكرتيرة القائد ، وتلك ممرضة ، وأخرى ناقلة للعتاد والطعام وغيرهن كثيرات ممن يعملن فى المخابرات وتقصى الأنباء فى كل مكان . وقد لاحظت أسـماء النسـاء كثيرات متهمات فى أعمال العنف فى مدينتى قسطنطينة والجزائر بصورة خاصة .

وانني مع السيد لاكوست المقيم الفرنسى العام فى قوله لى : « اننا عندما نشاهد امرأة محجبة لا نعرف ما اذا كان ذلك حفاظا على التقاليد أو للتخفى فى سبيل تنفيذ أمر ما على أفضل وجه » . قالها بحزن شديد وألم المستعمر التى بدأت الجزائر تحفر له مكانا فى أرضها ..

هذه الصـورة عن حرب التحرير فى تلك الارض الخضراء تصلح لان تكون مثلا للطريقة التى بها تصنع الشعوب استقلالها .. وما أنين الاحرار فى معسكرات الاعتقال سوى أناشيد البطولة ترتفع عاليا مع هتافات المواكب تستصرخ النجيع الاحمر الى الجهاد .

وتنشر صحيفة تانكر الانجليزية بحثا مفصلا عن الحرب التى تقوم بها فرنسا فى الجزائر ..

ويصف « جون شيرى » كاتب المقال وهو من الاخصائيين الامريكيين فى الشئون الاقتصادية والذي كان يعمل يوما موظفا ـ سفارة الولايات المتحدة

بباريس — ان نصف مجموع الجيش الفرنسي يعمل فى الجزائر وأن الامن الداخلى فى الشمال الافريقى يستنزف أكثر من ٤٠٪ من الاعتمادات العسكرية الفرنسية بخلاف المصروفات المدنية ..

وورد فى هذا المقال : أنه فى نهاية سنة ١٩٥٦ اعترفت لجنة الدفاع الوطنى التابعة للبرلمان الى أن مستودعات العتاد العسكرى والتموين فرغت من ودائعها بسبب حاجيات الجزائر فى سنة ١٩٥٦ عشرين فى المائة من مصاريف فرنسا العامة .

ولم يكتف الجزائريون بالثورة داخل أرض الجزائر ، بل لقد نقلوا ثورتهم الى فرنسا نفسها وذلك عندما كان ديجول فى ٥٨/٨/٢٤ يوالى جولته الخاسرة فى ربوع افريقية المستعبدة ، المتطلعة للاستقلال ، وهبت جبهة التحرير الجزائرية فى يوم واحد وفى ساعة واحدة لتقوم بأعمال حربية واسعة النطاق ، وكانت أهداف جبهة التحرير الجزائرية مخازن البترول ومحطات التكرير ومهاجمة عدد من مراكز البوليس ..
وتم — فى عملية واحدة — اتلاف أكبر معامل تكرير النفط جوار مرسيليا وتحطيم عشرات من المستودعات فى جميع أنحاء فرنسا .. واحراق ما يزيد عن ماية مليون لتر من النفط المكرر ..

وكما قال السيد أحمد توفيق المدنى وزير الثقافة بحكومة الجزائر ، المؤقتة : لقد ألقى الهجوم الجزائرى المفاجىء على الاهداف الفرنسية ، ضوءاجديدا على الثورة الجزائرية واقتنع كل الناس فى فرنسا وفى الخارج بأن الثورة الجزائرية لا تزال تنمو وتنتشر ويشد ساعدها وهى دائما تمسك بناصية الحالة وتملك زمام المبادأة وأن قيادة الثورة تستطيع فى الوقت المناسب وفى المكان الذى تختاره ضرب فرنسا فى عقر دارها .. واصابته الأهداف العسكرية والاقتصادية مهما كانت صعبة المنال ..

وان الشعب الجزائرى مصمم على القضاء نهائيا على الاستعمار الفرنسى

فى الجزائر ، وانشاء جمهورية جزائرية ذات نظام ديمقراطى ومنهاج اجتماعي لا اقطاعية فيها ولا تمييز بين الطبقات والطوائف .. كل الثروة فيها للشعب وكل السلطة فيها للشعب ولا تكون سائرة فى ركاب موسكو .. ولا فى ركاب واشنطون .. بل سياسة وطنية متحررة ضمن اطار الشمال الافريقى تسالم من يسالمها ، وتمد اليد — فى حدود المصلحة الوطنية — لكل من يمد يد الاخوة والصداقة معتمدة فى نهضتها وفى تطورها على أشقائها الذين تحرروا قبلها من دول جامعة باندونج دول افريقية وآسيا :

والحقيقة أن معركة الجزائر كما قالت صحيفة المجاهد — اللسان المركزى لجبهة التحرير الوطنى الجزائرى ، فى أول نوفمبر سنة ١٩٥٨ ولم تكن ذات اطار محلى ، ضيق بل كانت — وما تزال ذات دور ضخم فى محور الاستعمار العالمى « لقد وجد بين الشعوب التى ابتليت بالاستعمار نوع من الاتصال المقدس مصير بمقتضاه الشعب المستقل مثالا ، حيا ، تشعر الشعوب الاخرى أن عليها أ تحتذى خطواته وتقتفى آثاره .

« وفى غمرة هذا الكفاح تبين كل شعب ناشيء أنه لا يمكنه أن يعول الا على نظيره من الاوطان المضطهدة يبرر وينصح حتى تجسم بكل قواته الطاغية وزحفه الجبار فى مؤتمر باندونج .

وفى كل مرة يتخلص فيها وطن ما من الاستعمار تشعر الشعوب الاخرى ان ذلك التحرر دعوة مباشرة للكفاح ، وتشجيع عليه ووعد لها بأنها ستنتصر.

فباندونج هى التى جسمت هذه الوحدة بين الشعوب المضطهدة ، وهى التى سيسجلها التاريخ على أنها المجمع الذى تعهد فيه المضطهدون فى الارض بأن يتبادلوا التعاون ويجبروا قوى الاستعمار على أن تتقهقر الى الخلف وتزول من الوجود .

والآن وقد عرفنا أن التيارات التحررية تتفاعل وتتساند بحكم طبيعتها وبحكم طبيعة الاستعمار ، بقى أن نعرف الدور الذى تلعبه الجزائر فى

محو الاستعمار الغربي بصفة عامة وفى الاستعمار الفرنسى من القارة الافريقية بصفة خاصة .

ان حرب التحرير الجزائرية تلعب دورا ممتازا للقضـاء على الاستعمار وذلك لعدة عوامل :

أولا — ان التجربة الاستعمارية فى الجزائر تعتبر أصدق صـورة لمـا يمكن أن يقوم به أفظع نظام استعمارى ، فقد تعرضت الجزائر لجميع أنواع الاضطهاد والقمع التى خبرتها الشعوب الافريقية والآسيوية ، لأن قربها من التراب الفرنسى ووجود ما يقرب من مليون أوربى فوق أرضها ، ومحاولات فرنسا طيلة قرن وربع قرن لمحو شخصيتها وفسخ كيانها ، ان كل ذلك جعل من الجزائر أنمـوذجا لابشع مايمكن أن يصل اليه اسـتعمار بلغ الدرجة القصوى من استغلال الانسان لاخيه الانسان ، ومن استعباد شـعب كامل لفائدة أقلية أجنبية ..

ثانيا — الدور الذى تلعبه الجزائر — وخصوصا بعـد اسـتقلال تونس والمغرب — فى وصل فرنسا بمستعمراتها فى افريقيا ، وأهميتها الاستراتيجية ، وثروات الصحراء الجزائرية ، وامكانياتها الضخمة ، أن كل ذلك يجعـل من الجزائر العمود الفقرى للاستعمار .

ثالثا — تجميع فرنسا الجميع امكانياتها البشرية والاقتصادية ، ولتحالفها مع الغرب فى حرب الجزائر لمحاولة القضاء عى الثورة الجزائرية ، فحشـد قوات تعد مليون جندى ، وتجهيزها بأحدث العتاد وبأسلحة الحلف الاطلسى الذى أعد لمقاومة (الخطر الشيوعى) انذالك كله معناه أن فرنسا لاترمى من وراء محافظتها على الجزائر الاالى انقاذ مصالحها الموجودة بالجزائر فحسب ، ولكن يدل على أنها ترمى من وراء ذلك الى المحافظة على مستعمراتها بافريقيا السوداء .

رابعا — ادراك الدول الاستعمارية الغربية لهذه الحقيقة جعلها تتضامن

مع فرنسا ذلك التضامن الاجرامي وتبذل لها الاعانات المالية والعسكرية والديبلوماسية والسياسية بسخاء ، لانها تعرف — بدورها — أن استقلال الجزائر الكامل لابد أن يؤدى الى انهيار سريع يصيب جميع المستعمرات التى مازال الغرب يحافظ عليها فى العالم ، وخصوصا فى القارة الافريقية كما أن كتلة الدول الاستعمارية تعرف جيدا أن انتصار الثورة الجزائرية سيعزز جميع لشعوب المتطلعة الى الحرية ، وسيغذى آمالها فى التحرر ، وسيحسم بصفة بينة واضحة تنفيذ مبادىء باندونج .

هذه الحقائق يعرفها جيدا الاستعماريون كما يعرفها جيدا أنصار الحرية فى العالم ، وهذا ما جعل القوى الديمقراطية فى العالم تساند القضية ألجزائرية ولا تبخل عليها بالعون والتأييد ، وهذا العون العالمى — بدوره — قد جعل الجزائر تستشعر ضخامة العبء الذى ألقى على كاهلها ، وفداحة المسئولية التى اضطلعت بها ، اذ أن كفاح الثورة الجزائرية صار وسط هذه المجموعة المتشابكة من الاعتبارات والتطورات ، كفاحا لايقف عند حدود الجزائر ولكنه يمتد على مستوى القارة الافريقية بأكملها ، وهذا ما بدأت الجماهير فى أفريقيا السوداء تتبينه مما يرمز الى ذلك استقبالها لديجول فى سفرته الاخيرة هناك بلافتات كتب عليها « تحيا جبهة التحرير » .

وهكذا صارت الجزائر التى كان الغرب يعتبرها دعامة لاستعماره فى أفريقيا ، صارت هى الهوة التى توشك أن تبتلع الاستعمار الفرنسى ومعه كل أطماع الغرب الاستعمارى وآماله ، ولذلك مافتئت حرب الجزائر منذ اربع سنوات تهيمن على السياسة الفرنسية فى الداخل والخارج ، وتثير أمامها — مع الدول الغربية — مختلف المصاعب الدبلوماسية وحتى العسكرية ، وصار مسيرو فرنسا — بسبب حرب الجزائر — يرهبون فى كل لحظة أن يعم لهيب الثورة كامل المستعمرات الافريقية ..

وعمد الاستعماريون الفرنسيون فى هلعهم ذاك الى اتخاذ اجراءات

مضحكة يأملون من ورائها — ايقاف التيار التحريرى فى افريقيا الذى عززته حرب التحرير الجزائرية ، فأعلنوا القانون الاطارى الذى وأدوا به الاقطار الافريقية السوداء ، لكن بطولة الشعب الجزائرى ، وتفاصيل الكفاح الثورى قد شجعت اخواننا الافارقة رجالا ونساء وجعلتهم يتنبهون الى الفخاخ المنصوبة ويتجنبون الوقوع فى الشرك ويلحون على المطالبة بالاستقلال ، بل ان بعض الاحزاب الافريقية القائمة على أساس شعبى متين ، لا تخفى ضرورة القيام بالكفاح المسلح لانتزاع الاستقلال ، كما تدل على ذلك ثورة لكامرون والكنغو .

وهكذا أخلت حرب الجزائر بالتوازن الاستعمارى فى أفريقيا السوداء حتى أن الحكومة الفرنسية اضطرت الى أن تراجع سياستها فى كل قطر من أقطار أفريقيا السوداء على ضوء حرب التحرير الجزائرية .

ومهما يكن من شىء فان حرب الجزائر كانت هى السبب المباشر فى ادخال هذا الاضطراب على النظام الاستعمارى بأقطار أفريقيا السوداء والذلك فان الشعب الجزائرى المتطلع الى السلم يدرك ويعرف أن الطريق الذى ما يزال أمامه شاق وطويل ، وهو فى وعيه هذا يزداد كل يوم تعلقا بمبدئه وثباتا على هدفه وتصميا على مواصلة كفاحه بفضل ما أحرز عليه من انتصارات ايجابية وما حققه كفاحه البطولى المظفر من نتائج لا فى الجزائر فحسب ، ولكن فى كامل القارة الافريقية وفى معركة التحرير العالمية الكبرى .

فعندما أعلن الشعب الجزائرى ثورته منذ أربع سنوات مطالبا بالاستقلال ظهر للعالم الغربى ولبعض الافارقة أن هذا المطلب غير واقعى . وها هو الآن بعد أربع سنوات من كفاحنا يصير هو أقل ما تطالب جميع الشعوب الافريقية ، كمرحلة ضرورية لازدهارها الاقتصادى ، وها هى الآن الجماهير الافريقية تردد كلها مع الجزائر هتافا واحدا نريد الاستقلال .

وإلى جانب هذه الصورة ، الحلوة ، الجميلة الخالدة التى يفتخر بها العرب ، والأفريقيون والأسيويون بل يفتخر بها العالم بأسره ، صورة كفاح شعب الجزائر ، ونضال شعب الجزائر ، وأحرار شعب الجزائر على حريته ، ووحدته . . .

إلى جانب هذه الصورة فى الجزائر توجد صورة أخرى فى تونس . . صورة قذرة ، نتنة ، يعافهما العرب ، والأفريقيون ، والأسيويون ، بل يعافها كل أحرار العالم بأسره . . .

تلك هى صورة الحبيب بورقيبه ، ذلك الذى كفر بالعروبة ، وكفر بالإسلام ، وكفر بحركة التحرير الأفريقية . . كفر بالمثل العليا . كفر بالمبادىء الإنسانية ، كفر بكل ما يؤمن به الواطنون الأحرار فى أية بقعة من بقاع العالم .

لم يكتف الحبيب بورقيبة بخيانة ، قضية بلده ، وعروبته ، ودينه .

لم يكتف الحبيب بورقيبة بتكبيل الشعب التونسى بقيود الذل ، والأسر ، والعبودية . . .

لم يكتف الحبيب بورقيبة ، بوضع تونس فى ركاب الاستعمار الفرنسى ، والاستعمار الأمريكى . . .

لم يكتف الحبيب بورقيبة بذلك كله وإنما خان قضية الجزائر . . الجزائر التى تكافح وتناضل . . والتى تجد التأييد كل التأييد من جميع أنحاء العالم فيما عدا الحبيب بورقيبة .

لم يكتف الحبيب بورقيبة بذلك كله بل أبى إلا أن يبذل جهد المستطاع لتسليم شمال أفريقية إلى سيده ، ديجول . .

لم يكتف الحبيب بورقيبة بذلك كله بل آثر أن يخرج عن إجماع العالم العربى ، وإجماع العالم الإفريقى الأسيوى .. آثر أن يجعل من الصهيونيين الذين يقيمون ببلده ، وفى رعايته وعنايته جسراً حياً يوصل إلى إسرائيل ما تحتاجه من أموال . . . ورجال . . .

***

إن بورقيبة العربى المسلم ! ! الأفريقى ! ! يفخر دائمـاً بأنه صديق فرنسا . . كما يفخر دائمـاً ، بأنه ضد العالم العربى . . يفخر دائمـاً بأنه صديق أمريكا ، كما يفخر دائمـاً بأنه ضد استقلال الشعوب الأفريقية عن الإمبراطورية الفرنسية . .

وديجول العربى المسلم ، الأفريقى يفتخر دائمـاً بأنه كان مع العدوان الثلاثى عن مصر . . وأنه كان دائماً مع السياسة الاستعمارية الأمريكية والبريطانية فى احتلالها لبنان . . والأردن . . فى العام الماضى . .

وديجول العربى المسلم ، الأفريقى يفتخر دائمـاً بما يقوله الأمريكيون عنه ، يكرر دائماً ما قاله نيكسون نائب ايزنهاور فى تقريره الذى رفعه لإيزنهاور وجاء فيه : إن الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة هو الرجل الوحيد الذى يستطيع وقف ثورة الجزائر وينقذ بذلك تونس ومراكش وليبيا من امتداد الثورة إليها فنتجنب نحن الأمريكان الـكارثة التى تقضى على مشروعاتنا فى شمال أفريقية وتنسف أركان حلف الإطلنطى ، فواجبنا يقضى بأن نمد الحبيب بورقيبة بكل المساعدات التى تمـكنه من وقف الثورة الجزائرية وإنهائها . . إذ أنها العقبة الـكئود التى تعترض تنفيذ خططنا فى ضم شمال أفريقية بأقطاره إلى حلف الإطلنطى وتأمين أخطر جهة لنا وأهم نقطة ارتـكاز نعتمد عليها ضد أعدائنا . .

وبورقيبة فخور جداً بما قالته الأستاذة لارناهان أستاذة العلوم السياسية بجامعة شمال الأمريكية حيث قالت عنه فى مجلة الشئون الخارجية الأمريكية « إن بورقيبة نظر إلى جارته ليبيا وهى دولة منـكودة حتى الآن تنقصها الثروة المادية من أى نوع كانت فقيرة رغم السنوات التى أمضتها الأمم المتحدة ، وهى تغذيها بالملعقة . . أن هناك اعتبارات أخرى وراء توحيد الغرب إلى جوار الحاجة إلى وسائل إيجابية أكثر لمحاربة الشيوعية وهى الرغبة فى الإبقاء على نفوذ مصر بعيداً عن شمال أفريقية واتباع سياسة خارجية مستقلة عن الجامعة العربية « إن بورقيبة والرجال الذين معه لايعطفون على الحياد الإيجابى الذى تنادى به الجامعة العربية ولذلك ينـكر بورقيبة السياسة الخارجية للرئيس جمال عبد الناصر ؟ ؟

ooo

وبالرغم من وجود بورقيبة فى تونس . . وبالرغم من جوار بورقيبة للثورة الجزائرية . . وبالرغم من سيطرة بورقيبة على الشقيقة تونس التى تحتل مكاناً بارزاً فى الوطن العربى . . وبالرغم من كل ذلك فإن النصر المؤزر سيكون للعرب . . ولإفريقية المتحررة . .

إن شعب الجزائر لا يمكن أن يلقى السلاح إلا إذا حصل على استقلاله العاجل الكامل . .

وشعب الجزائر ، لا يمكن أن يقبل بأية حال أنصاف الحلول التى تفرض عليه بين آن وآخر .

وشعب الجزائر سيقضى دائماً . . ودائماً أبدا على كل من تسول له نفسه خيانة الثورة الجزائرية سواء أكان هؤلاء الخونة ، من داخل الجزائر ، أم داخل تونس . .

وشعب الجزائر لن يلبث إلا قليلا حتى يحتل مكانه الشاغر فى الجامعة العربية ، وحتى يحتل مكانه الرسمى ، والشعبى فى كل المنظمات الدولية . .

وشعب الجزائر ، لن يلبث إلا قليلا حتى يحمل بنفسه راية الكفاح والنضال لا لتحرير نفسه فقط بل لتحرير ما لم يتحرر من شمال إفريقية .

إن شمال إفريقية ، كما قال الأستاذ برنار لافرتى الأستاذ بكلية حقوق باريس ، فى كتابه : « إفريقية الشمالية ، وإفريقية السوداء » : قد كتب الفشل الذريع لسياسة فرنسا ... »

ولا يرجع هذا الفشل إلى الأخطاء الخطيرة — كما يقول لافرتى — وضروب الظلم والجور التى ارتكبناها — دون شك — ولا سيما فى الماضى ، وإنما يرجع قبل كل شىء إلى أمر لا يدركه إلا الذين يعرفون الإسلام بعض المعرفة : لقد فشلنا لسبب هام ، فقد تعذر علينا مادياً أن نفلح فى تغيير الروح الإسلامية . كما لم يفلح فى ذلك أى شعب من الشعوب التى حاولت أن تشرك المسلمين فى القيم المعنوية الجديدة التى تعد أساساً لكل حضارة . كما لم يفلح فى ذلك الإنجليز أنفسهم رغم سيطرتهم على الهند أجيالا واستقرارهم فيها نصف قرن ، كما لم تفلح الإرساليات المسيحية التى تقيم فى البلاد

الإسلامية منذ أجيال . وقد استخلص « كيبلنج » الذى أقام طويلا فى الهند التى تشمل ٨٠ مليوناً من المسلمين ، وعرف ما هو الإسلام ، نقول استخلص من تلك المحاولات غير المجدية الحكمة التالية : « إن الغرب غرب والشرق شرق » . حقيقة يسهل الجهر بها ، ولكن كم هى مرة المذاق لنا نحن الغربيين ، ونحن الفرنسيين بصفة خاصة الذين راودتنا الأحلام على الدوام ولا سيما منذ عام ١٨٧٩ ببث عقيدتنا الاجتماعية وأفكارنا الأخلاقية فى نفوس جميع شعوب الأرض ، اعتقاداً منا بأن بنى البشر قابلون للتغير ، وهم على النقيض من ذلك تماما .

وفيما يتعلق بالإسلام ، إذا أردنا أن نتبين الصعاب التى تكتنف المشكلة ، فإن الفكرة الأساسية التى تجب البداية منها بسيطة : عندما نطأ أرضاً إسلامية فإننا ندخل عالماً يختلف تمام الاختلاف عن عالمنا . وأوجه الاختلاف إزاء المسلمين ليست بالنسبة إلينا عميقة فحسب ، بل أنها تكاد تكون حاسمة . فالجهود التى بذلناها منذ سنة ١٨٣٠ لإدماج المسلمين ولمحاولة دفعهم إلى مشاركتنا فى وجهات نظرنا وطرق تفكيرنا الجوهرية ، كانت جهوداً كبيرة لا تقدر ، وقد ساد الاعتقاد منذ نصف قرن بأن الاندماج الذى طالما رجوناه قد لاحت بوادر نجاحه . ولكن منذ أن استيقظ الشعور الإسلامى فى الشرق الأوسط وألهب جميع تلك الشعوب بشعلة جديدة . اتضح جلياً أن كل محاولة لبسط أى نفوذ فكرى أو أدبى عميق على المسلمين باءت نهائياً بالفشل .

إن المجتمع الإسلامى مجتمع يخضع أساساً لحكم الدين . فمنذ أن كشف القرآن عن إرادة الله العلى العظيم أصبحت المشكلة الجديرة بهذا الإسم بالنسبة المسلم هى إلتزام وصايا هذا الكتاب المقدس والكلمات التى صدرت من رسول الله فى حديثه . ومن تلك المصادر أخذ الأئمة المضمون الكامل للشريعة الإسلامية . وأصبح هذا العمل منهم غير قابل للتجديد . وهذا هو ما يعبر عنه الفقهاء المسلمون عند ما يقولون « إن باب الاجتهاد قد أقفل » . لم يكن فى وسع المجتمع الإسلامى إذن ، اللهم إلا إذا خالف نفسه ، أن يتطور منذ العصور الوسطى كمجتمعنا ، لأنه لا يمكن أن يتفتق ذهن مسلم عن جحد السلطة العليا للكتب المقدسة أو تفسيرها الرسمى . وهكذا ليست الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية عالمين منفصلين فحسب . بل أنهما كوكبان مختلفان .

وبينما يحاول الغربى — فى كل مرة لا يستسلم فيها لهواه — العمل كرجل عاقل مسترشداً بملكة عقله الفردية ، نرى المسلم مقتنعاً بأن أئمة الشرع المختصين بتفسير الكتب المقدسة ، قد رسموا له مقدما ما يجب أن يكون عليه مسلكه . ولن يفكر يوماً فى أن يبحث فى تقدير مباشر وشخصى للأمور ، عن المسلك المعقول الحكيم الذى يجب أن يسلكه . وصفوة القول أنه بينما يولى الغربى الشعور الصوفى والدينى فى حياته نصيباً محدوداً على وجه عام ، ويلجأ إلى تحكيم العقل فى تصرفاته ، نرى أن من مبدأ المسلم أن تكون تصرفاته كلها خاضعة لأحكام الدين ، متمشية مع منطقه وأحكامه .

تلك هى المبادىء العامة . ولننظر الآن فى نتيجة ما بذلناه من جهود حقيقية فى الجزائر التى استقررنا فيها منذ قرن وربع قرن ، لنشر التعليم والحضارة بين الأهالى الوطنيين . أن المسلمين الجزائريين الذين يستخدمون الآن لغتنا فى يسر أقلية ضئيلة ، ولكن العرب الذين لا يعرفون إلا بضع كلمات من لغتنا لا حصر لهم ، وهم يعيشون فى الهضاب الجزائرية .

وجلهم من أهل البادية الذين تعودوا منذ آلاف السنين العيش من نتاج قطعانهم التى ينتقلون بها من مرعى إلى آخر ، ويقيمون تحت الخيام ، وتكاد معيشتهم لا تختلف عن معيشة أجدادهم . يرتعشون من البرد شتاء ويحترقون من أشعة الشمس صيفاً ، تلفحهم السموم بحرها ، فلا يجدون الغذاء الكافى ، ويرزحون فى البؤس الذى كان يرزح فيه أجدادهم ، هذا البؤس الذى لا يشعرون بفظاعته ، لأن فكرة تغيير نمط المعيشة لا تمر بخاطرهم ، واحتفظوا بخشونة العرب الذين قاموا فى القرن السابع بالمغرب بالغزوة التى تدعى الغزوة « الهلالية » . لقد ناهضوا فى عنف كل تجديد ، ورفضوا على الدوام الكف عن بداوتهم التى يجدون فيها سحراً لا يعوض . ظلوا إذن من أهالى البادية يعيشون فى بساطة ، ويفتقرون إلى أبسط الوسائل الصحية فلم يجنوا أية ثمرة من غزونا للبلاد .

وقد سحب منهم جزء من الأراضى التى كانوا « يجوبون » فيها والتى لم يكونوا يزرعونها طيلة عشرين أو ثلاثين سنة ، متظاهرين برعى قطعانهم فيها ، سحبت منهم تلك الأراضى لكى يتمكن المستعمرون الفرنسيون من زرعها .

وإلى جانب هؤلاء البدو يوجد عدد كبير من العرب الذين يعيشون قبائل فى الجبال أو فى الهضاب ، وهم أقل جهلا من البادية . ومع ذلك ظلت عاداتهم كما كانت قبل احتلالنا للبلاد .

ولا شك أن هؤلاء الرحال الذين ظلوا من الخشونة بمكان هم الذين يعونون أكبر جيش « للخارجين على القانون » ، هؤلاء الرجال يقتلون المستعمرين الفرنسيين أينما وجدوهم ويحرقون المحاصيل ويقطعون الأشجار . ويجيد هؤلاء البدائيون استخدام السكين وقد أصبحوا يجيدون استخدام المسدس الآن .

ومن المدهش حقاً أننا نرى حتى شباب المسلمين الذين يرسلهم أسرهم منذ الصغر إلى فرنسا ويقيمون بين الأسر الفرنسية ليتشبعوا بأفكارنا ، ظلوا مخلصين لعاداتهم ولعقائدهم التى يتكون منها جوهر حضارتهم مهما بلغوا من إجادة فى التحدث بلغتنا ، ومهما أحرزوا من نجاح فى امتحاناتهم .

ونكتفى الآن بأن نسجل طابع الثقافة الإسلامية الذى لا يتأثر بالزمن . والإسلام هو الدين الوحيد فى العالم الذى لا يفقد واحداً من أتباعه .

ولا شك أن المسلم إذا استقر فى فرنسا يفقد بسرعة عاداته وتقاليده ، ولكن من الخطر الجسيم الاعتقاد بأنه أصبح غربيا . فإذا أكل لحم الخنزير واحتسى الخمر ، وهى أمور حرمها الإسلام تحريماً قاطعاً ، فلا ينبغى أن نرى فى ذلك مرحلة قربته من أخلاقنا وأفكارنا . إن المسلمين إذا غادروا أوطانهم واستقروا فى أوربا تمردوا وثاروا ، بل ربما غرقوا فى النواحى الأخلاقية ولكنهم يظلون أبعد ما يكونون عن ثقافتنا . وليس اكتساب عيوبنا وسيلة لتقبل ثقافتنا . أضف إلى ذلك أن العمال المسلمين الذين قصدوا فرنسا لكسب عيشهم (ويزيد عددهم على ٣٠٠٫٠٠٠) والذين يبعثون إلى أسرهم فى شجاعة بأكبر جزء من أجورهم ، حتى هؤلاء العمال إذا عادوا إلى قراهم أو قبائلهم أو دورهم تملكتهم فى الحال ميول الإسلام القديمة . ونسوا عاداتنا الأوربية ، وكان الفشل مصير محاولاتنا .

وإذا كان التعليم الذى نشرناه وطرق المعيشة التى تعلمها منا الأهلون قد ينتهى بها الحال مع الوقت إلى تغيير بعض عادات الأسرة الإسلامية ، فإننا نكون بذلك قد

دفعنا هذا المجتمع إلى التحلل ، وفى الوقت نفسه لن نكون قد أعددنا بناء شىء ، لأنه لن يوجد مسلم يتشبع بأفكارنا وبثقافتنا .

إن اعتناق مذهب الفوضى لدينا ، والتشكك فى كل شىء ليس معناها أن المسلم قد أصبح غربيا . بل إننا على العكس من ذلك كلما انتزعنا أحد العناصر العربية من تقليده وعقائده الوراثية كلما جعلنا منه عدوا لدودا لإدارتنا ولو جودنا تحت سماء أفريقيا .

وصفوة القول أن فشلنا فى نظر الطبقة المختارة من المثقفين الذين تعلموا فى الجزائر أو فى فرنسا كان تاما . فإن المسلمين الذين تخرجوا من جامعتنا يجيدون لغتنا إجادة تامة ، لكن عداءهم لنا أعظم من عداء الفلاحين أو عرب المدن . ويرى هؤلاء المتخرجون إلى الحصول على مراكز مربحة فى الإدارة . ومنذ أن استيقظ الشعور القومى فى الشرق كالعاصفة المخربة — أى منذ حوالى عشرين عاما — راح الطموحون من هؤلاء الشبان يحلمون بإقامة دولة وطنية أملا فى أن يصبحوا أعضاء فى برلمانهم ووزراء ورؤساء لمجلس وزراء دولتهم المقبلة . ولذلك كانت جل العناصر الإسلامية التى تشتعل فى نفوسها روح العداء لنا والحقد العنيف فى شمال أفريقيا ، من بين تلك الأقلية المتعلمة . بل إن عداءهم لنا يكون على قد ماتلقوه من علم وهذا شىء كان معروفا منذ أمد بعيد للفرنسيين المقيمين فى شمال أفريقيا . أما الفرنسيون فى فرنسا نفسها فإنهم نظرا لما يتحلون به من روح الكرم ، يأبون أن يعترفوا بهذا الواقع الذى لا نزاع فيه .

لقد كنا نعتقد فى إخلاص أنه كان فى وسعنا ، لا أقول توفير السعادة لأهالى الوطنيين فحسب ، بل تحويل هؤلاء الأهالى إلى فرنسيين حقيقيين . لقد خسرنا الرهان فى شمال أفريقيا ويجب أن نؤكد هذه الحقيقة المجردة ، وهى أننا اعتقدنا طويلا فى إيمان لايتزعزع بنجاح جهودنا ليس فى نشر التعليم فحسب بل كذلك فى رفع هؤلاء الأهالى إلى مستوى تفكيرنا الأخلاقى والفكرى .

وليس الغريب أمام هذه الاختلافات هو عدم تفاهمنا المتبادل حين نتناول معا البحث فى مشكلة ما بحثا عميقا ، لكن الغريب هو أن نلتقى ونتفاهم .

لقد ساد الهدوء المغرب طيلة حرب ١٩٣٩ — ١٩٤٥ رغم أنه لم تكن هناك ، فيما بين ١٩٤٠ و ١٩٤٣ ، أية قوة فرنسية وسبب ذلك أن المدنة التى عقدها بيتان عام ١٩٤٠ نزعت سلاحنا .

ولكن عقب الحرب العالمية الأولى استيقظت فى الدول الإسلامية الفكرة القومية رويداً رويدا ، وكانت مصر ، التى يبلغ تعدادها ٢٢ مليون نسمة ، أولى البلدان التى استيقظ فيها الشعور القومى الحى وظفرت بعد ذلك بسنوات بجلاء القوات البريطانية واستقلالها السياسى التام . وكانت سوريا قد تحررت قبل ذلك . وفى ١٧ مارس ١٩٤٥ ظهرت فى القاهرة الجامعة العربية التى رفعت علم الثورة بين جميع الشعوب التى يسود فيها القرآن ، رغم المدوات التى تفصل غالبا بين دول الشعب الإسلامى ، وكانت الإذاعات اليومية باللغة العربية من القاهرة ، وكذلك الأسلحة التى هربتها الجامعة العربية ، وأخيراً تدريب الثوار التونسيين والجزائريين فى المعسكرات الكائنة فى ليبيا ، كانت كل هذه عناصر خارجية أثارت علينا الأهالى شيئاً فشيئا .

وكان من المحتمل أن تظل كتل الفلاحين فى الهضاب الجزائرية العليا ، بل أن يظل عرب التل الجزائرى هادئين طالما لم يحدث تحريض من الخارج ولكن ليس فى وسع المسلمين ألا يتأثروا ، فى الوقت الذى يسمعون فيه يوميا صوت إخوانهم فى الدين يدعونهم إلى الثورة والجهاد . ومصر لأنها أكبر شعب إسلامى فى العالم — بعد الباكستان التى يبلغ تعداد المسلمين فيها ٨٠ مليونا ، قد راودها الحلم بأن تصبح زعيمة جميع الدول الإسلامية فى أفريقيا . ومن هنا راحت تلهب عقول رءوس المسلمين فى أفريقيا الشمالية بلادنا .

إننا نسمع من كل جانب فى فرنسا أناساً يقولون « إن متاعبنا كبيرة فى شمال أفريقيا ، لأننا لم نحسن انتهاز الفرص . وكل ماحدث كان نتيجة للفرص التى أضعناها وإذا كنا فى عام ١٩٤٥ أو ١٩٥٠ منحنا للأهالى تلك الحرية ، لظلت تلك البلاد هادئة تعيش سعيدة فى ظل العلم الفرنسى » . والفرنسيون الذين يقولون هذا القول أما أنهم لا يعرفون شيئا عن مشكلة شمال أفريقيا ، وأما أنهم على قدر كبير من

السذاجة ومعرفة المصير الفجع الذى ترتب على ضياع الفرص تزداد إذا ظللنا ننظر إلى سطح المشكلة دون معرفة بواطنها .

ومن الخطأ كذلك القول بأن البؤس هو الذى شحذ همة « الخارجين على القانون » الذين يهاجمون الفرنسيين ومزارعهم . لأن الأهالى فى المغرب بأسره ليسوا فى مجموعهم أكثر بؤساء مما كانوا عليه منذ أجيال . صحيح أن البؤس زميل سوء ، لكنه كان على الدوام موجوداً فى شمال أفريقا . وتفسير الثورة الحالية بالبؤس إنما هو من جانب الفرنسيين تفسير أعمى

ويخطىء كذلك الذين يقولون : « إن تعسف الاستعمار هو الذى يفسر ثورة الأهالى » . إن السبب وا أسفاه أعمق من ذلك ، فهذه الثورة لا يفسرها وجود بعض كبار المستعمرين الذين جمعوا ثروات هائلة ، ولا ضآلة الأجور التى كانت تدفع زمنا طلايلا ، ولا عدم عدالة توزيع الضرائب طويلا ، أو توزيع المصروفات . .

بل إن أسباب هذه الاضطرابات أخطر مما يعتقده مواطنونا : أنها الحقد على « الروى » ، أنها العزم على عدم رؤية رجل أبيض على أرض أفريقيا ، أنها حب الاستقلال القومى .

لقد جبل الفرنسى على ألا يتنازل أبداً عن الفكرة التقليدية التى تقول بأنه توجد دائماوسيلة تحمل جميع الناس على حبنا وذلك باتخاذ إجراء معين أوالقيام بإصلاح معين » .

***

إن شمال إفريقيا ، — ككل بقعة من بقاع إفريقة سيتحرر نهائياً من الاستعمار وعملاء الاستعمار ومن الإقطاع ومن السيطرة الأجنبية .

أما نحن هنا فى الجمهورية العربية ، فى الجزء الشرقى من شمال إفريقية ، فإننا مع الشعب العربى فى كل بقعة من بقاع الشمال إلى النهاية ...!؟

نهاية الاستعمار .

أننا كما قال رئيسنا جمال عبدالناصر جزء من شمال إفريقية أو هو جزء منا بل إننا وإياه جزء من الوطن العربى الكبير ، الذى يمتد من ساحل الأطلسى إلى جبال الموصل ...

نحن هنا وهناك أخوة لأب وأم ، تفرق بنا المكان وجمعتنا وحدة العاطفة ، ووشيجة النسب ، وآصرة الدين ، ولحمة اللغة .

فى يوم من أيام التاريخ البعيد ، انتظمت خطا آبائنا فى موكب الفتح من قلب الجزيرة العربية ، إلى فلسطين ، إلى مصر ، إلى برقة ، إلى القيروان وفاس ، إلى مرمى الموج من شاطىء الأطلسى ، إلى قرطبة وأشبيلية ولشبونة ، إلى ليون من أرض فرنسا . ثم لم يعد أحد منهم بعد إلى الجزيرة ؛ لأنهم لم يشعروا قط بالغربة فى بلد نزلوه ولم يشعر أهل بلد نزلوه بأنهم غرباء بينهم . وصار شاطىء الأطلسى من يومئذ هو الحد الغربى للوطن العربى الكبير . .

وفى اليوم نفسه من ذلك التاريخ البعيد ، انتظمت خطا طائفة أخرى من آبائنا ، فى موكب آخر من مواكب الفتح ، من قلب الجزيرة العربية ، إلى دمشق ، إلى حمص وحلب ، إلى الفرات ودجلة ، إلى الموصل وما وراء النهر . . ثم لم يعد أحد منهم كذلك إلى الجزيرة ، ولم يشعر بغربة . وصارت جبال الموصل من يومئذ حداً آخر من حدود الوطن العربى الكبير .

ورفرفت الراية العربية على وطن العرب ، الممتد من بحر الهند إلى بحر الروم ، ومن جبال أطلس إلى جبال الموصل ، ولم تزل ترفرف بين هذه الحدود الأربعة ، منذ ثلاث عشر قرناً ونيف ، إلى اليوم ، وإلى الغد ، وإلى يوم يبعث الله الموتى من آل كسرى وقيصر ولذريق وشارل ، ليشهدوا بما عملوا .

وفى يوم آخر قريب من ذلك التاريخ ، انتظمت خطا موكب آخر من مواكب التعمير ، يضم أفواجاً من بنى هلال ، وبنى سليم ، وبنى مر ، وقبائل أخرى من عدنان وقحطان ، فتفرقوا بين حدود الوطن الأربعة ، يعمرون الخراب ، ويصلون النسب ، ويتلون آيات الكتاب ؛ فلهم فى كل بلد بناء باق . ولهم فى كل أسرة عم أو خال ، وفى أفواههم على كل مئذنة دعاء ، وباسمهم فى كل حين صلاة تسبيح .

ولما مخرت سفائن العرب عباب البحر إلى صقلية وجنوب إيطاليا ، لتنسخ بالحضارة العربية وثنية الرومان ، كان على كل ظهر السفائن مغاربة ملثمون من طوارق البادية ، ومشارق معممون من أهل أنطاكية ، ويمنيون مرهفو القدود من جنوب

الجزيرة ، ومصريون سمر الوجوه من أهل وادى النيل ، وكلهم تحت الراية عرب لأن العربية لسانهم ، وكلهم مسلمون ، لأن محمداً نبيهم ..

ولما انحسرت موجة الإسلام عن الأندلس بعد أن أوهن أهلها تفرق الكلمة ، وهاجر من هاجر منهم إلى مصر وشمال أفريقيا ، كان هؤلاء المهاجرون جميعاً فى اصطلاح أهل التاريخ وأهل السياسة عرباً . لأنهم مسلمون ، وفيهم الأسبانى الأصل من بنى مردنيش ، ومنهم القوطى النسب من أبناء لذريق !

ولما انتفضت أوربا الصليبية انتفاضة البغضاء على العرب فى القرن الخامس الهجرى وما بعده ، زحفت جموع الصليبيين فى وقت معاً على غرناطة فى الأندلس ، وعلى بيت المقدس فى فلسطين ، وعلى أنطاكية فى الشام ، وعلى دمياط فى مصر ، وعلى قرطاجة فى تونس ، لأنها جميعاً فى اعتبار الصليبية بلاد عربية !

بلى ، قد صدقوا ؛ إنها جميعاً بلادنا ، نحن جزء منها وهى جزء منا ، فليغضب اليوم من يغضب من ساستهم وكبرائهم حين نقولها ، فقد قالوها قبل أن نقولها .

قالتها سيوفهم فى الحرب ، وقالتها سفائنهم فى البحر وطائراتهم فى الجو وقالها سفراؤهم ووزراؤهم فى المؤتمرات والمعاهدات وخطب البرلمانات ، وقالها ممثلوهم على مسارح الجد والفكاهة ، فلماذا يغضب من يغضب حين نقول نحن فى مصر ، كما يقول كل عربى فى بلده : إن شمال أفريقيا جزء منا ونحن جزء منه ؟

ليست هذه دعوى ندعيها ، ولكنها حقيقة نذيعها ونحرص على توكيد معناها فى كل فرصة سانحة .

— فليعرف من شاء ومن لم يشأ ، إن كل بلاد تنطق العربية بلادنا ، ولا بد أن تتحرر بلادنا .

— وليعرف من شاء ومن لم يشأ ، إن المسلمين فى شتى بقاع الأرض إخوة ، ولا بد أن يتعاون الإخوة فى البأساء والشدة .

— وليعرف من شاء ومن لم يشأ ، أن كل أفريقى أخ وجار ، ولكل جار على جاره حق المعونة حتى يستغنى ويأمن ويتحرر .

— وقد عاش ساسة أوربا زماناً يرددون قول الشاعر الإنجليزى : « الشرق

شرق والغرب غرب ولن يلتقيا ! » فاليوم قد آن لنا أن نقول مثل قولهم : « نحن الشرق ، بإزاء مطامع الغرب ، أمة واحدة ! » .

تلك هى الدعامات الأربع التى تقوم عليها سياستنا فى هـــذا الجانب من العالم ، لا نريد بها عصبية دين ، ولا عصبية أرض ؛ لأن ديننادين الإنسانية كلها لادين جنس من البشر ؛ ولأن جنسنا هو أول من بشر بمعانى السلام والأخوة الإنسانية على الأرض ، فلا يستجيب لدعوة العنصر ؛ ولأن أرضنا هى أرض النبوات فلا يمكن أن تبعث منها دعوة إلى شر .

إنما نريد ، نحن العرب ، ونحن المسلمين ؛ أهل هذا الشرق ؛ أن نكون كتلة واحدة تؤيد دعوة الحق والخير والسلام ، وتقاوم مذاهب البغى والعدوان والدمار . إلى ذلك يدعونا ديننا ومواريثنا العقلية ، والخلقية ، وإيماننا بالحرية وبالكرامة وبكل القيم الإنسانية الرفيعة . فليؤمن بهذه الحقائق من شاء أن يتعرض من كبار الساسة وصغارهم فى العالم الآخر قبل أن تكتسحهم الموجة الطاغية المدمرة ، فيقولوا ولات حين مقال : ليتنا اتخذنا من المسلمين عضدا .

أشبه ما يكون بالهلال

إن انتشار دعوة الإسلام فى غالب الظروف لم تقم على القسر وإنما قامت على الإقناع الذى كان يقوم به دعاة متفرقون .. لا يملكون حولا ولا طولا إلا بإيمانهم العميق بدينهم .

وقد يسر انتشار الإسلام أمر آخر هو أنه دين فطرة بطبيعته سهل التناول ، لا لبس ولا تعقيد فى مبادئه ، وسهل التكييف والتطبيق على مختلف الظروف .

والإسلام يحيط بأفريقية من غربها وشمالها وشرقها من مدينة واكارا « غربا » على ساحل السنغال حتى يبلغ مدينة « كلمان » فى موزيق البرتغالية .. ويتسع عرضه تارة ويضيق تارة فى شكل أشبه ما يكون بهلال يذكر الناظر إليه على الخريطة برمز الإسلام .

هوبير ديشان فى كتاب الديانات فى أفريقية السوداء .

عندما اشتدت وطأة قريش على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لضعيف من صحابته بالهجرة إلى الحبشة وذلك عام ٦١٤/٦١٥ م وذلك قبل الهجرة إلى المدينة بثمانية أعوام ، وهاجر عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول ، ومعها بركة الحبشية جارية أبيها ، والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود ، وعثمان بن مظعون ، وعبد الرحمن ابن عوف ومصعب بن عمير ، وسهيل بن بيضاء وسليط بن عمرو ، وحاطب بن عمرو وأبو سلمة بن عبد الأسد وزوجته أم سلمة بنت أبي أمية ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وزوجته سهلة بنت سهيل ، وعامر بن أبي ربيعة ، وزوجته ليلى بنت أبي حشمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم ، وزوجته أم كلثوم بنت سهيل .. وبعد أشهر قلائل لحق بهم طائفة أخرى من الصحابة فهل إن عددهم ٨٣ نفسا وقيل إنهم ١٣٢ نفسا وأرسل المشركون فى قريش فى طلب هؤلاء المهاجرين عمارة بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، ـ قبل أن يعتنق الإسلام ـ ومعهما هدية إلى النجاشى وبعض هدايا إلى الكهنة . . ورفض النجاشى تسليم المهاجرين وذلك بعد ما سألهم عن رأيهم فى عيسى بن مريم فقالو : إنه كلمة الله ألقاها إلى مريم العذراء .

وعاد عمارة بن الوليد ، وعمرو بن العاص كما جاءا ! .. الفشل يلاحقهما . .

وفى السنة الثانية للهجرة . . جاء عمرو وعبد الله بن أبي ربيعة إلى النجاشى ليطلبا طرد المهاجرين من المسلمين ورفض النجاشى أيضا .

وأرسل محمد إلى النجاشى كتاباً يطلب منه إعادة المهاجرين المسلمين إلى المدينة بعد أن أعز الله الإسلام ونصره على مشركى قريش فارسلهم بزوران على نفقته الخاصة

وأرسل محمد إلى النجاشى هدية ، وصلت بعد وفاة النجاشى .

وبعد وفاة النجاشى استمرت العلاقات الطيبة بين المسلمين والاحباش وانتشر الاسلام فى الحبشة ، ودخل بعض أمراء الحبشة فى الإسلام ، وأنشأوا بعض إمارات إسلامية فى بعض المناطق ، لم يلبث ملوك الحبشة أن استردوها .. وإن كان المسلمون قد أقاموا بدلها إمارات متعددة فى شرق أفريقية ، كانت لها الغلبة على هذه المنطقة . بل على غيرها من المناطق فى وسط أفريقية

وقد استطاع سعيد بن سلطان — أن يؤسس فى زنزبار فى أوائل القرن التاسع عشر دولة عربية فى الوقت الذى كان فيه المحيط الهندى مجهولا بالنسبة للأوربيين واستطاعت الجاليات العربية أن تقيم على سواحل أفريقية الشرقية مدناً زاهرة كانت كل منها تعتبر دولة قائمة بذاتها وإن ظلت علاقات الصداقة والود قائمة بينهما . .

وبالرغم من وصول البرتغاليين إلى هذه المناطق واستيلائهم على بعض أجزائها فقد استطاع العرب أن يتغلبوا على هؤلاء البرتغاليين ، ويقيموا فى شرق أفريقية مدناً مستقلة ونجح سعيد بن سلطان فى أن يحمى هذه المنطقة من هجوم الدول الأجنبية ثم امتد نفوذ سعيد بن سلطان إلى أواسط القارة ، ووصلت القوافل العربية إلى بحيرات : نياسا وتنجانيقا وفكتوريا . .

وبعد أن ذهب البرتغاليون ، جاء الإنجليز ، والفرنسيون والهولنديون . ونجح الإنجليز فى احتلال عدن فى سنة ١٨٣٩ ، وجزيرة بريم فى ١٨٥٧ كما نجحت فرنسا فى أن تضع أقدامها على ساحل أفريقية الشرق . .

وقام التنافس الطبيعى بين بريطانيا وفرنسا على شرق أفريقية . .

ومات سعيد بن سلطان سنة ١٨٥٦ . . وضعفت بموته ممتلكاته الواسعة . خاصة بعد أن نشب الخلاف بين ابن السلطان سعيد بن سلطان : تونى ومجيد وأتفقت فرنسا وبريطانيا فى ١٠ مارس سنة ١٨٦٢ على تسوية االوقف فى زنزبار . . وممتلكاتها الساحلية . ثم استطاعت بريطانيا فيما بعد أن تنفرد — كعادتها — بالأمر خاصة بعد أن ازداد نفوذ بريطانيا فى المحيط الهندى . . وبعد فتح قناة السويس .

ونجحت بريطانيا أيضاً فى إبعاد المصريين عن المحيط الهندى بعد أن وصلوا إليه . ثم استعانت بالمكتشفين الإنجليز فى الايقاع بأمراء هذه المناطق وتوقيعهم على بعض المعاهدات والاتفاقيات ولسنا هنا بقادرين على تفصيل النزاع الذى شجر بين الفرنسيين والألمان والإنجليز والهولنديون، فهذا ليس محله ، ولكننا نستطيع القول بأن التسابق الاستعمارى فى هذه المنطقة قد قضى على استقلالها . . وحريتها . . وقد حرمها من مواردها . . وامكانياتها . وانتهى هذا السباق . انتهى فى الظاهر —

بعض اتفاقيات مع الدول الكبرى على أن يكون شعوب هذه المنطقة شرق أفريقيا هم الضحايا أولا وأخيراً . . ولم يكتف الإستعمار الإنجليزى والفرنسى والألمانى والهولندى باحتلال هذه المنطقة بل لقد أراد الإستعمار الإيطالى أن يجرب هو الآخر حظه فى هذه المنطقة .

وبالطبع استعان الإستعمار الإيطالى كما استعان غيره بالمبشرين والرحالة والتجارة ، فى السيطرة ولو على جزء قليل من أواخر هذه المنطقة وفى تأسيس الشركة الإيطالية الأفريقية الشرقية التى حاولت أن تتشبه بشركة الهند الشرقية البريطانية .

وتم لايطاليا السيطرة على بعض مناطق شرق أفريقية وخاصة الجزء الشمالى من سواحل سلطنة زنزبار والموانى اللازمة لما سمى فيما بعد بالصومال الإيطالى .

وبالطبع اتفقت الدول الاستعمارية — انجلترا وفرنسا ، وإيطاليا — وهى التى لم تتفق إلا نادراً ، على محاربة الدين الإسلامى فى هذه المنطقة وعلى محاربة اللغة العربية لغة القرآن ولغة الدين . . ولغة الاجداد من العرب . . وبذل الإستعمال فى سبيل ذلك الكثير . . فهل نجح الإستعمار أم لم ينجح . . هذا هو السؤال الذى نرد عليه فى الفصل الثانى :

من جيبوتى إلى موزمبيق

« لن تستطيع أبواب السجون ، ولا حتى أبواب جهنم أن تقف فى وجه طوفان القومية الإفريقية التى انتشرت فى جميع أنحاء القارة متغلبة على جميع العوائق التى تواجهها » .

جومو كينياتا

« الاستعمار مغامرة من مغامرات القراصنة والتجار والباحثين عن الذهب ، الذين يملأ قلوبهم الجشع ، وهو النتيجة المشئومة لنوع من الحضارة تدفعها طبيعتها دفعا فى لحظة من تاريخها إلى أن تنشر على العالم بأسره ظل التنافس بين مصالحها الاقتصادية المتعارضة فهو بالنسبة للشعوب بمثابة الرق بالنسبة للأفراد » .

الشاعر ايميه سيزير

بين يدى الآن — وأنا أكتب هذا الفصل من شرق أفريقية ، ووسطها ابتداء من نياسالاند ، إلى مدغشقر ، وموزبيق . . ومن تنجانيقا ، وكينيا ، وأوغندا إلى الصومال بأجزائه الخمسة — بين يدى تقارير متعددة ، مختلفة المصادر ، متباينة التواقيت بعضها قدم إلى مؤتمر تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية ، وبعضها ضمته أدراج وزارات المستعمرات فى لندن ، وباريس ، وروما ، وبعضها لم ير النور إلا فى ظروف مظلمة ، معتمة . . . وكل هذه التقارير تؤكد معانى واضحة صريحة جلية منها أن القارة الأفريقية تلاقى من الاستعمار وأذنابه ، وجنوده مالم تره قارة من القارات ، وأن هذه القارة التى تحالفت كل القوى الاستعمارية على احتلالها ، وأذلالها واستنزاف خيراتها ، قد بدأت تتحرك بقوة وعنف لاسترداد الثروات التى أفقدتها ، والحريات التى حرمت منها — بعد أن كشفت كل ألاعيب الاستعمار وحيله ، ومشروعاته ، وأن هذه القارة قد كتبت نهاية الاستعمار ، وحددت مصيره ، وأكدت بما لا يدع مجالا للشك أن كل ما بناه الاستعمار فى هذه المنطقة الحيوية قد انهار على رءوس أصحابه وأذنابه . . من تقرير لوفد كينيا قدم إلى مؤتمر تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية الذى عقد بالقاهرة فى آخر سنة ١٩٥٧ جاء ما يلى :

لقد عينت الحكومة الاستعمارية فى كينيا عدداً كبيرا من الموظفين غير الأكفاء وبعثت بأفواج أخرى من الموظفين ليضايقوا إخواننا الإفريقيين ويغتصبوا محاصيلهم ، كما أوفدت جيوشا جرارة إلى بلادنا رغم إرادة الإفريقيين ولكن بموافقة المستوطنين البيض الأشرار ، وذلك فى الوقت الذى نطالب فيه بحقوقنا فى تقرير المصير والحرية . وكان هدفها من ذلك هو حماية المستوطنين البيض الذين يغتصبون كل ما هو ملك للافريقيين .

وانضمت حكومتنا فى أعمالها إلى المستعمرين الآخرين والستوطنين البيض حتى يتسنى لها إخضاعنا لقوانين غريبة عنا وعن عاداتنا وتقاليدنا . بينما كانت فى الوقت ذاته تبارك كل عمل يقوم به المستوطنون باسم القانون والتشريع . وأحضرت جيوشا جرارة للمرابطة فى بلادنا كى تقضى على الإفريقيين . وفى الوقت الذى كانت تنكر فيه رعاياها وعاباتها للمستعمرين البيض ، كانت تحاكمهم محاكمات صورية إذا ما قتلوا

أو سرقوا أو خالفوا القوانين التي وضعوها . وسلمت تجارتنا إلى الأعداء — المقيمين البيض — فأصبحوا يحتكرون تجارة كينيا . وفرضت علينا ضرائب فادحة كي يتسنى للبيض تعليم أطفالهم ، فالمدارس الخاصة بالبيض ينفق عليها من الضرائب التي يدفعها الأفريقيون . أما نحن الأفريقيين أصحاب البلاد ، فتجدنا جهلة محرومين من جميع وسائل الثقافة . وتلجأ الحكومة إلى تسجيل الخطب التي يلقيها الزعماء الأفريقيون والساسة الوطنيون بينما لا تسجل خطب الزعماء البيض ، وبهذا يحرمون الأفريقيين من حرية القول وترغمنا السلطات بالإضافة إلى هذا على الذهاب إلى المحاكم لتحاكمنا على جرائم لم نرتكبها . وتنزع ممتلكاتنا بالقوة زاعمة أننا إرهابيون ، بينما الأحزاب السياسية الأفريقية تسعى إلى تأمين حقوق الإفريقيين .

وبالإضافة إلى هذا كله ، تلقى السلطات القبض على الإفريقيين وتلقى بهم فى معتقلات لا يمكن وصفها ، معتقلات شبيهة بمعتقلات النازيين حيث يعاملون بوحشية تتنافى مع جميع المبادىء الإنسانية ، وحيث يعرضون للجراثيم كي يسهل على السلطات إبادتهم .

ولم تكتف السلطات بهذا القدر من الوحشية بل أحرقت جميع منازل الإفريقيين فى كينيا لا سيما فى الأقاليم الوسطى التي يعيش فيها أفراد قبائل كيكويو وأميو وميرو حيث تعرضت المنازل للنيران والقنابل ورصاص المدافع الرشاشة . وبعد تدمير منازل الإفريقيين كافة فى الأقاليم الوسطى ، اقتيد الناس إلى معسكرات الاعتقال المحاطة بحراسة شديدة حيث لا يتمتعون إلا بحريات ضئيلة جزئية إذا ما قورنت بالمعسكرات الحقيقية التي تسمى كذبا وبهتانا معسكرات الحجز . وفى الواقع نستطيع أن نقول إن معسكرات الاعتقال المنتشرة فى بلادنا لا تختلف إطلاقا عن معسكرات الاعتقال التي أقامها النازيون خلال الحرب العالمية الثانية . ومن معسكرات الاعتقال المنتشرة فى بلادنا معسكرات مانيانى لامو وماجيتا ، والأخير عبارة عن جزيرة اعتقال كاملة فى بحيرة فيكتوريا ، ومعسكرات نهر أتاهى . وتوجد معسكرات أخرى فى أماكن مجهولة .

إن الحكومة الاستعمارية فى كينيا قد تخلت عن كل صفات الحكومات الشرعية

إذ أنها أعلنت أن الإفريقيين خارج نطاق حمايتها وشنت عليهم حربا شعواء . أنها عبثت بطرقنا وبكل وسائل المواصلات واغتصبت محاصيلنا وموارد طعامنا وأضرمت النيران فى بيوتنا وقتلت شعبنا .

وفى هذا الوقت الذى نعرض فيه قضيتنا على الشعوب الإفريقية والآسيوية ، لا بل على العالم أجمع ، ونناشدها مناصرتنا وتأييدنا ، تعين الحكومة موظفين من البيض غير أكفاء ليرغموا الناس على توحيد أراضيهم كأن الله لم يوحدها عندما خلق الأرض . لقد أحسن الله خلقه وأتم عمله فى كينيا وفى بقاع أخرى من أفريقيا ، وقد أدرك ذلك أجدادنا . ولكن القيمين البيض الأشرار أشاروا على حكومة كينيا العابثة أن ترغم الإفريقيين على توحيد أراضيهم حتى تنشأ حزازات وعداوات بينهم وينشب بينهم قتال لا نهاية له . ولا شك أنكم تستطيعون أن تتصوروا ماسيحدث لو تمت مؤامرتهم . إن ذلك سيقود إلى دمار شامل . ويجب على المستعمرين البريطانيين أن يفهموا أن كينيا بلد أفريقى وليس ببلد يقع تحت رحمة الاستعمار ، وأن أولئك الموظفين البيض غير الأكفاء الذين يعينون دون أدنى تفكير ، موظفون لا يصلحون للعمل كخدم فى البلاد الحرة التى يعامل فيها الناس معاملة إنسانية كريمة . ولكن هؤلاء الموظفين قد أحضروا لإنجاز عمل معين . ألا وهـــو التقتيل والإرهاب واغتصاب البلاد من أهليها ، هذا العمل الذى بدأته الحكومة بوحشية لا مثيل لها حتى فى أكثر العصور بربرية .

لقد اعتقلت المواطنين الإفريقيين واختطفتهم من البيوت والأحراش ، واجبرتهم على حمل السلاح ليقاتلوا إخوانهم وجيرانهم وأصدقائهم فيقتلوهم ويقتلوا بأيديهم . وأثارت الثورات المحلية بيننا ، وحاولت جلب سكان مناطق الحدود لمحاربتنا ، بينما هى تعلم أن ليس ثمة ذرة من الرحمة فى قلوب سكان الحدود الذين لا يعرفـــون من نظم الحرب سوى تدمير كل ما يصادفهم وقتل كل ما يرونه بغض النظر عن سنه أو جنسه أو أحواله .

أما إذا تطوع أحد أفراد عائلة من العائلات للقتال مع قوى الحق والحرية فإن بقية أعضاء العائلة يتعرضون للدمار والتقتيل ، إذ أن المستعمرين لا يستطيعون اللحاق

بمن تطوع وتوجيه السؤال إليه ، فجيوشهم القادمة من جميع أنحاء العالم أثبتت عجزها وعدم كفاءتها أمام « جيش التحرر الإفريقي » المنظم الذي يقوده قادة أكفاء

وقد رفعنا إلى الحكومة العرائض مطالبين بتغيير الأوضاع ، ولكن عرائضنا المتكررة تسبت في أذى لا حد له بنا . وكان من نتائجها دستور ليتيلتون السخيف الذي لو قارناه بدستور لينوكس لوجدنا الإثنين صورتين طبق الأصل لا تختلف أحداهما عن الأخرى . إن هذه الدساتير يعدها الطغاة المستعمرون ، ثم يبعثون بها إلى وزير المستعمرات ليعلنها وينفذها بالقوة رغم إرادة الإفريقيين الذين لهم الحق الطبيعي في وضع دستور يتلاءم وأحوالهم .

وهكذا فإنه بوسعنا أن نقول أن حاكما كهذا يتصف بكل صفات الطغيان والتعسف والارهاب لا يصلح أطلاقا لحكم الشعب الأفريقي الحر .

وأننا في غير حاجة إلى رعاية المستعمرين الأشرار . ولقد حذرناهم مرارا من عاقبة الأعمال الإجرامية التي يرتكبونها في حق أهالي كينيا ، كما حذرنا الحكومة من دستورها التعسفي الذي تريد فرضه على الأفريقيين رغم أنوفهم . لذا فنحن ممثلي كينيا وبقية الدول الأفريقية كالكاميرون ، نناشد مؤتمر الشعوب الأفريقية الأسيوية هذا أن يؤيد مطالبنا وأن يعلن أن الأقاليم الأفريقية المتحدة يجب أن تكون حرة مستقلة ليس لها أية صلة بالتاج البريطاني ، كما أنه يجب أن تتحلل من جميع الروابط السياسية القائمة بينها وبين بريطانيا ، وأن لها الحق كأقاليم حرة مستقلة أن تعلن الحروب وتوقع معاهدات ، وأن تنشيء علاقات تجارية ، وتمارس كافة حقوق الدول المستقلة الحرة .

وإننا لنعلن أننا على أستعداد للتضحية بأرواحنا وممتلكاتنا من أجل تحقيق هذه المطالب .

ويتعرض أفراد قبيلة كيكويو في كينيا لاضطهاد شديد فليس في وسع أي فرد من أفراد هذه القبيلة مهما يكن عمله أن يغير مكان إقامته إلا بتصريح خاص وإلا اعتقل ، إذ أن السير دون تصريح معناه أن المرء منضم إلى الماوماو بينما كلمة ماوماو في الواقع تعني الحركة المعادية للاستعمارية والمناضلة في سبيل حقوق الأفريقيين وقد

طرد جميع أفراد قبيلة كيكويو من ديارهم وأراضيهم وجمعوا فى أماكن معينة حيث لا طعام ولاشراب ولاعمل .

إن لنا فى بلادنا حقوقاً منحها لنا الله عندما خلق الأرض . فلماذا إذن لايتمتع الأفريقيون بحقوقهم فى بلادهم؟

عندما أتى المستعمرون إلى أفريقيا سموها القارة السوداء فلماذا إذن لاتظل هذه القارة السوداء يتمتع بخيراتها الأفريقيون . لماذا نجدهم اليوم يسمون مناطق معينة « مناطق البيض » بينما القارة فى الواقع هى قارة سوداء .

إن هذه المناطق يجب أن تظل سوداء لأنها فى قارة سوداء . . . والمرء الذى يولد أسود يظل أسود ولا يمكن أن يتحول لونه إلى أبيض » . وفى نهاية التقرير ترد هذه الفقرة :« إن كلمة استعمار تعنى إماالسلب بالقوة .. أو بطريق غير مباشر وهو السرقة » ولا يسمح المجال بنشر مالدى من تقارير عن الصومال بأجزائه الخمسة فاكتفى بنشر جزء من تقرير لوفد الصومال — تحت الوصاية الدولية . وجزء آخر من تقرير لوفد الصومال تحت الحماية الفرنسية ، باعتبار أن الوصاية الدولية نوع جديد من البلاء الذى ابتليت به الشعوب بعد الحرب العالمية الثانية .

وباعتبار أن الحماية الفرنسية ، كالحماية الإنجليزية ، كالحماية الإيطالية سواء بسواء . . كل منها يعمل على قتل روح التحرر فى المنطقة التى استولى عليها . . وباعتبار كل منها يسعى لاستنزاف خيرات ما تحت يده من أراضى .

ويعلن أبناء الصومال — تحت الوصاية الدولية أن الاستقلال ليس هدفاً فى ذاته ولكنه وسيلة لتحقيق رفاهية الشعب وتحقيق مساهمته فى توطيد السلام فى العالم كله ونحن — أبناء الصومال — نسعى فى الميدان الداخلى لرفع مستوى الشعب .

ويؤكد أبناء الصومال تحت الوصاية الدولية ، إصرارهم على أن ينالوا حقوقهم كاملة غير منقوصة ، وعلى أن يطردوا العدو الدخيل من بلادهم ، بحيث لا يبقى له أثر فى هذه البلاد التى منيت به فمنيت بالخراب . . والانهيار . .

ويعدد وفد الصومال تحت الحكم الفرنسى ، ما يلاقيه أبناء الصومال من ذل ، وحرمان ، وتعذيب ، وتخريب ، فيقول :

لقد اغتصبت فرنسا حقوق الشعب الصومالى وأملت عليه إرادتها تحت ضغط الحديد والنار ووضعت حكما تمتلىء صفحاته بالمآسى والمساخر ، وتتزاحم بعضها فوق بعض لتقدم أسوأ أنواع الحكم ، وتقيم أسسه وتبنى قواعده قائلة إن رسالتها الأولى هى نشر الحضارة وبذورها فى العالمين .

ولتنفيذ تلك السياسة الاستعمارية وإخراجها إلى حيز الوجود أعلنت فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٦ دستوراً ادعت فيه أن جميع المستعمرات الفرنسية أصبحت فرنسا فيما وراء البحار . وأن لكل مواطن من تلك المستعمرات ما لأخيه الفرنسى الأبيض من حقوق وعليه ما عليه من واجبات وطبقاً لذلك ضم الصومال إلى ما يسمونه اليوم بالاتحاد الفرنسى . من أجل ذلك رسمت فرنسا سياسة أرادت بها أن تخدع الشعب ولكن المطالبة بالاستقلال والعمل من أجل ذلك لم يقف أبدا . وكان من نتائج ذلك أن تحول المجلس الإستشارى القديم إلى مجلس تشريعى أعضاؤه من الأهالى . كان الحاكم العام يستغل المجلس فى تشريع القوانين التى فى صالحه إذ أنه يفرض ما يشاء من المشاريع الاستعمارية فيوافقون بدون مناقشة وينتخب أيضاً المجلس عضواً منهم يمثلهم فى الاتحاد الفرنسى كما أن الشعب ينتخب من يمثلهم فى البرلمان الفرنسى كما أنه أيضاً ينتخب عضوا يمثل الصومال الفرنسى فى مجلس الشيوخ الفرنسى بفرنسا .

هذا هو روتين السياسة الفرنسية فى الصومال . وعلى هذا الأساس نجح الفرنسيون فى النظرية الاستعمارية القائلة فرق تسد . وبذلك أصبح الشعب مشغولا عن الحقيقة الواضحة وهى أنهم مستعمرون لا حرية لهم ولا إرادة .

ويبين وفد الصومال — تحت الاستعمار الفرنسى — بعض ما يلاقيه أبناء الصومال على أيدى حكامه من أبناء فرنسا ومن سار على منهجهم الاستعمارى فيقول :

وبما أنه لا توجد هناك مصانع تصنع ما يحتاجه الشعب فى تجارة كلها قائمة على الاستيراد من فرنسا والدول التى تدور فى فلكها . ومن المقومات الاقتصادية الوطنية صيد السمك وتجارة الملح وتربية بعض الحيوانات الأليفة كالإبل والغنم كغيرها من أجزاء الصومال الأخرى . وأهمية التجارة قائمة على الميناء (جيبوتى) وخط سكة حديد

يصل جبوتى بأديس أبابا عاصمة الحبشة . وذلك الخط يلعب دوراً حيويا فى تجارة الحبشة إذ أنه لم يكن للحبشة موانىء قبل أن تتحد مع إرتريا فدراليا حيث أصبح للحبشة على هذا أساس ميناء « مصوع » ولـكن بالرغم من ذلك لا تزال تجارة الحبشة جارية عن طريق جبوتى وذلك نظراً لما لجبوتى من الأهمية إذ أنه لم يكن

للحبشة موانىء قبل أن تتحد مع أرتريا فدراليا حيث أصبح للحبشة على هذا الأساس ميناء « مصوع » ولـكن بالرغم من ذلك لا تزال تجارة الحبشة جارية عن طريق جبوتى وذلك نظراً لما لجبوتى من الأهمية إذ أن أغلبية السفن القادمة من الغرب تتزود منها بالوقود كما تتزود السفن القادمة من الشرق أيضاً بالوقود . ونتيجة لذلك تـكونت كتل عمالية تنتعش من هذا الخط المهم بالنسبة للحبشة وكذلك الميناء . ومع مرور الأيام أصبح لهذه الـكتب العمالية نقابة عمالية تطالب بحقوق العمال وأصبح لتلك النقابة أثر شديد فى الاتجاهات السياسية الوطنية .

ويختتم التقرير بالإشارة إلا ماتقوم به البعثات التبشرية الفرنسية من بناء لبعض المدارس وقبول الأطفال الصغار الذين اضطرتهم ظروف الحياة الاقتصادية السياسية « بأن يكونوا تحت رحمة المبشرين وتثقيفهم ثقافة إستعمارية مع تغيير ديانتهم » .

أما جزيرة مدغشقر التى يصل سكانها إلى ٤٫٩٣٧٫٠٠٠ مليون نسمة والتى تزيد مساحتها عن مسافة فرنسا وبلجيكا ، وهولندا أى ٥٩٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع والتى كانت قبل الاحتلال الفرنسى قطراً مستقلا ، ولها سفارات فى لندن وباريس والتى أصبحت بمقتضى قرار ١٦ أغسطس سنة ١٨٩٦ الذى أصدرته فرنسا من طرف واحد من الممتلـكات الفرنسية . .

هـــذه الجزيرة النائية لم تعرف — منذ ذلك التاريخ سنة ١٨٩٦ — الهدوء فقد اتخذت حرب العصابات سلاحاً لنيل الاستقلال . وبلغ ضحاياها كما يقول بعض الـكتاب ٤٠٠٫٠٠٠ شخص . ومن تقرير وفد مدغشقر نقتطف ما يلى :

ومنذ عام ١٩١٢ إلى ١٩١٤ بدأ المثقفون فى مدغشقر يتزعمون الحركة الوطنية . وقد كونوا جمعية سرية هى المعروفة برمز V.V.S. كان هدفها إيقاظ الشعور الوطنى

والوعى القوى فى البلاد ، إلا أن أعضاء هذه الجمعية قد زج بهم فى السجون ونفوا خارج البلاد بعد محا كمات سورية .

ومنذ عام ١٩١٨ أخذ القادة السياسيون يكافحون فى سبيل إقرار المساواة ومن أجل حق الشعب فى حياة عادلة وفى مستوى مناسب للمعيشة . وبالرغم مما لاقاه الوطنيون من السجن والتعذيب والإعدام فقد استمر هذا الـكفاح حتى عام ١٩٤٢

وبعد الحرب العالمية الثانية أعطت الحـكومة الفرنسية لمدغشقر حق التمثيل فى البرلمان الفرنسى بواسطة عضوين ثم ثلاثة أعضاء ، ففاز فى الانتخاب بنسبة ٩٠٪ من الأصوات راسيتا ورافوهانجى اللذان كانا يطالبان باستقلال البلاد . فلما قويت شوكة حزبهما فى أنحاء الجزيرة بدأ الحـكام الفرنسيون يقلقون وراحوا يحاولون القضاء عليه بكل الوسائل . وفى عام ١٩٤٧ قام البوليس بحركة استفزازية بلغ ضحاياها ٩٠٫٠٠٠ ثم أجريت محا كمات صورية فى ظل التعذيب والإرهاب انتهت بإدانة الزعماء الوطنيين والحـكم على النواب بالإعدام .

وقد اشتركت الأحزاب السياسية الجديده ومنها حزب اتحاد الشعب ، والجبهة الوطنية فى المطالبة من أجل الاستقلال . . . والعمل له . .

أما جون كيلى سكرتير الشئون الخارجية بالمؤتمر الوطنى بأوغندا فقد آثر أن يلقى نظرة على بعض المسائل الـكبرى التى تـكمن وراء التيارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الجارية فى أوغندا . . . فيقول : لو أن شخصاً تناول بالدرس المجلسين التشريعى والتنفيذى فى أوغندا دراسة وافية ، لتبين له أى أضحوكة هما . . .

ويتحدث جون كيلى فيقول : أن بيت الداء الذى تعانية أوغندا والذى يمكن تبينه بوضوح فى ضوء الخطة البريطانية الاستعمارية لتفتيت بلادنا وتحطيمها يتلخص فى أن حكومة أوغندا فى سبيل الإبقاء على الحـكم الاستعمارى — قد شجعت العصبة القبلية وذلك هو أعظم الأخطار التى تهدد حركة الاستقلال الأفريقية الحديثة وقد تحالفت مع القبائل الإقليمية وزعماء الهيئات الرجعة . ويمكن التأكد من

ملاحظة القسوة التى تتسم بها معاملة البريطانيين للرجعيين فى يوغندا رغم أن الحكومة الاستعمارية كانت عظيمة الاعتماد عليهم فى العهد الماضى . .

وينهى جون كيلى تقريره بقوله :

إن المستعمرين فى كينيا قد تملكهم الفزع من استقلال « دولة أفريقية خالصة » متاخمة لهم . ولكى تزيل الحكومة البريطانية عن الرجعيين فزعهم ولكى ترضيهم أعلنت حالة الطوارئ بالتوالى فى أوغندا وكينيا . ولما كان الموقف فى كينيا غير مطمئن بما فيه الكفاية ومركز الاستعمار غير مستقر استقراراً تاماً ، اعتبر تطلع أوغندا للاستقلال السريع تهديداً لمركزهم .

إن الصلة بين الإدارة الاستعمارية فى الكونغو وفى أوغندا صلة وثيقة جداً . فإن ثمة حركة مرور تجارية عظيمة عبر أوغندا إلى المحيط الهندى وتأثير الأحداث السياسية فى أوغندا ينعكس دائماً فى الكونغو ، وخاصة فى رواندااوراندى . وقد كان الموقف مماثلا بعد الأحداث الأخيرة فى ليوبولدفيل ، ومن ثم فإن إعلان حالة الطوارئ فى أوغندا عندئذ لم يكن إلا مؤامرة إنجليزية بلجيكية .

أن الحالة الاقتصادية فى أوغندا ذات قيمة حيوية وهى أعظم دولة مصدرة للبن والقطن والمواد الخام للشركات الصناعية فى بريطانيا . وعلى الرغم من أنه من عدم الحكمة من جانب بريطانيان تطيل عهد حكمها فى أوغندا على أساس واحد هو الثروة الاقتصادية لهذه الأخيرة ، فأننا لا نلمس أى خطط بريطانية لتحسين الاقتصاد فى أوغندا .

أما مستر مالافيا مندوب الهند فى السكرتارية الدائمة لمؤتمر تضامن الشعوب الأفريقية الأسيوية فيقول فى مذكرة خطيرة له عن الاستعمار البريطانى فى أوغندا وعن رواده الأوائل الذين وضعوا أوغندا تحت السيطرة البريطانية :

« لقد كان اللورد ليوجارد من الأشخاص الرئيسيين الذين وضعوا السياسة الاستعمارية فى أفريقيا ، وقد كان هو مؤلف ما يسمى بالسياسة البريطانية » للانتداب المزدوج فى الإدارة الاستعمارية » فى أفريقيا الاستوائية . وهو واضح كل الوضوح وحاسم كل الحسم فيما يتعلق بهذا الذى سمى « بالانتداب » . فهو يقول : « ليكن مما هو

مقرر منذ البداءة أن عقول الأوروبيين ، وأموالهم ، ونشاطهم ، لم تبدد ، ولن تبدد في تنمية موارد أفريقيا من أجل الأغراض الإنسانية وبذل الذات من أجل الغير . إن أوروبا ما وجدت في أفريقيا إلا لمنفعة صناعاتها . »

والاعتراف الصريح لذلك الرائد القرصان الامبريالي البريطاني يستأهل الحمد والثناء ولا شك . على أن فخامته يتكلم كذلك عن « انتداب » آخر . فهو يريد « الفوائد » أن تكون مشتركة ومتبادلة . وأن يتم ارتقاء « الوطنيين » إلى « مستوى أعلى » بواسطة ما شاء أن يسميه « بالإدارة المتمدينة » .

وقد طبع فخامته كتابه في سنة ١٩٢٦ حين بلغ سن الشيخوخة والهرف . ومن الطبيعي أنه كان يتذكر ، وغصة في حلقه ، تلك الأيام المجيدة التي انقضت وكان فيها متمتعاً بالسيادة في أوغندا . وقد راح يشرح الفرق بين الحال في أوغندا سنة ١٨٩٠ « حين أبرمت المعاهدة التي جعلها تحت السيطرة البريطانية » والحالة في سنة ١٩٢٦ « حيث قد حلت الحرية والعدل محل الفوضى والحرب وإراقة الدماء » و« ثروة البلاد ازدادت باضطراب » .

لقد كان مألوفاً بدرجة تبلغ حد المرض — لدى النهابين الاستعماريين البريطانيين في أفريقيا ، أن يكتبوا عن مآثرهم بعد اعتزالهم الخدمة . وأحد هؤلاء السير تشارلس ديونداس ، وهو من نسل جيرالد بورتال — وهو الشخص الذي ضم أوغندا في سنة ١٨٩٣ باعتبارها محمية بريطانية ورفع علم الاتحاد في كامبارا — قد كتب قصة أيامه التي كان يحكم فيها الأفريقيين . وبكل تبجح وقلة حياء راح ذلك السير تشارلس ديونداس يصور الشعب الأفريقي بالنسبة للرجل الأبيض كأنه إله . وهو يعتقد حقاً أنه تحت الإرادة الاستعمارية البريطانية أصبحت أوغندا جنة على الأرض . ويقول في كتابه : « ان أحد الزائرين من الكتاب ، سألني عما عساه يسمى كتابا ألفه عن أوغندا ، ثم قال إنه سيسميه « الأرض السعيدة » . وقد قال لي زائر أجنبي إن أهالي أوغندا يتصرفون كما لو كانوا في عطلة دائمة » .

وخلاصة القول أن السير تشارلس ديونداس . هذا الفارس المتجول من أبناء الاستعمار البريطاني يريد من العالم أن يصدق الرجل الأبيض في أوغندا ، الكائن

الإلهي — كما يعتقد فى نفسه » ولعله ظل بهذه الصفة على الرغم من كل الـكلمات التى كيلت للبريطانيين فى كل أنحاء العالم وحتى من مالطة الضئيلة ومن جزائر الـسالاديف !) قد حول المنطقة الاستوائية إلى جنة زاهرة ، حتى غدت هى « الأرض السعيدة » التى يتمتع فيها الأوغنديون « بعطلة دائمة » . . . وشـكرا للغربيين والمحسنين الرحماء . . . ؟

والآن وقد عرفنا فى الهند أولئك الاستعماريين البريطانيين المتغطرسين الشديدى الاعتداد بأنفسهم لا يسعنا إلا أن نحذر أن السير تشارلس أثناء توليه زمام السلطة فى أوغندا ، كان ولا بد فى حالة سكر دائم لا يُفيق منه « وقد عرفنا فى الهند ضباطا استعماريين بريطانيين كانوا يشربون كل الوقت ويحكمون الهنود فى نوبة سكر دائم لا نهاية له ولا إفاقة منه ! » وإلا فلأى سبب آخر يكون الشخص هكذا متعجرفاً ، وغبياً ، وأحمقاً . . فى نفس الوقت !

أما عن السعادة التى يتمتع بها الأوغنديون ، فإننا نؤثر أن نستشهد بأحد الاستعماريين وهو جون جنتر ، إذ يقول : « إنهم « أى الأوغنديون » لا يتمتعون بحالة سعيدة ولا راضية » ويجب ملاحظة أن جنتر فى الفصل الذى كتبه عن أوغندا من كتابه « داخل أفريقيا » كان سخيا فى اطراء « حسنات بريطانيا » فى أوغندا . إلا أن جنتر ، على الرغم من كل ثنائه وتقريظه يعترف فى موضع آخر من ذات الفصل قائلا : « أنه لاينبغى للمرء أن ينسى مايعانيه الأهالى من هزال فظيع ناجم عن الفقر » أما عن إدعاءات البريطانيين أنهم دأبوا على تشجيع الحـكم الذاتى فى أوغندا ، فإن الوصف التالى الذى وصف به جنتر مكتب رئيس وزراء يوغندا يعتبر أبلغ رد على دعوى الرقى المزعوم ، إذ يقول : « كان فى غرفة رئيس الوزراء بضعة قطع من الأثاث القديم القذر البالى ، وكان ثمة على السبورة بضعة إحصاءات مهوشة عن جباية الضرائب فى كل منطقة ، والمواليد والوفيات وكانت الأرقام عن سنتين مضتا » .

وأبلغ من جنتر بصدد السعادة المزعومة التى تتمتع بها أوغندا ، سلسلة الاضطرابات العظيمة التى حدثت عقب نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرة ، وخصوصاً تلك التى وقعت ما بين عامى سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٤٩ ، ومنذ ذلك التاريخ ، كانت

هذه الأرض التى تنعم « بعطله داعة » قـدراً يغلى بالثورة وبالمعركة المستمرة بلا توقف من أجل الحرية وبقصد طرد الحكام البريطانيين من أوغندا ، وكل الأكاذيب والخزعبلات التى نشرها فى العالم ليوجاردو وديونداس قد تبددت وذهبت مع الريح . والاعتقالات والإعلان المتكرر لحالة الطوارىء ، والقتل والضرب بالنار والقيود على الصحافة والنشاط السياسى — كل ذلك قد أقنع العالم مرة أخرى بمقدار ما يتصف به الاستعماريون البريطانيون من كذب وخداع وغش ونفاق وبهتان .

إن الاستعماريين البريطانيين يعتقدون اعتقاداً عظيما أن العالم بأسره ، والأغنديين خاصة يجب أن يستشعروا الشكر والامتنان نحو « ناشر المدنية » من أبناء الجزر البريطانية ، إذ أنقذوا أوغندا من التعصب الجنسى ومن الجمود الرجعى اللذين يسودان جنوب أفريقيا وروديسيا أو روح الاستعمار التى تسود كينيا ونياسالاند ، ومن أجل هذا وحده ، إن لم يكن من أجل أى شىء آخر ، يستحقون أبلغ آيات المدح والثناء . وشعورهم هذا إنما يشبه شعور قاطع الطريق الذى ينهب المسافرين ، ويقتل قليلا منهم ولكن ليس كلهم ، ثم يبغى بعد ذلك أن يعتبر عطوفا ورحيما . إن البريطانيين إذ يريدون اعتبارهم ذوى أريحية وإحسان ومستعمرين مثاليين فى أوغندا إنما يشبهون فى ذلك قاطع الطريق .

فإن كان الاستعماريون البريطانيون فى هذا قد صنعوا فضلا أملته الضرورة ، فلم يقل بذلك أحد سوى السير تشارلس دبونداس وجون جنتر . فيقول ديونداس عن أوغندا « أن البلاد من حيث المناخ وكذلك من حيث وفرة السكان لا يناسب إقامة الرجل الأبيض . فمن أجل هذا السبب كانت أوغندا على الدوام معتبرة أرضا خالصة لمواطنيها » ويقول جنتر أنه منذ سنة ١٩٠٠ كانت السياسة البريطانية فى كندا « تقوم على فكرة أن أوغندا بلاد أفريقية يملكها أفريقيون » ثم يقول : « وقد يكون هذا الدافع زائفاً نوعا ما ، لأنه كان معتقداً فى ذلك الوقت أن ذبابة تسى تسى تجعل أوغندا بلادا غير صالحة لإقامة الأوربيين » .

لقد وضعت السياسة البريطانية فى أوغندا منذ أول عهد احتلال البلاد بمشورة شخص لم يكن سوى ونستون تشرشل . فإن تشرشل بعد أن زار المنطقة فى

سنة ١٩٠٨ ألف كتابا بعنوان « رحلتى إلى أفريقيا » نصح فيه الحكومة البريطانية فى تلك الأيام بالحاح قائلا لها : « اهتموا بأغندا » ، ومنذ ذلك التاريخ استمر « الاهتمام » بأغندا ، بطبيعة الحال على صورة الاستيلاء الاستعمارى على ضوء الخبرة الخصبة التى اكتسبها الاستعماريون البريطانيون بهذا الصدد .

ومن ثم — فنى حين أنه فى المناطق المستعمرة فى أفريقيا ، وقف الاستعمارى البريطانى ضد الشعب كله غير معط سلطة لأحد ، نجده فى أوغندا ، حيث لم يوجد الاستعمار بصورة فعلية ، قد لجأ إلى سياسة أخرى رجعية وهى سياسة « فرق تسد » ، وكجزء من هذه السياسة استبقى الممالك القبلية بأوغندا وأنكولا وتورو وبانيرو على حالها لكى يشيع الفرقة ويضرم نار الخلاف ويمنع الوحدة الأفريقية . ولم يسمح المستعمر باستمرار الاقطاعيين فى التمتع بمنافع الأرض التى تحت أيديهم فحسب ، ولكن أكد فوق ذلك أنه لن يسمح لرجل أبيض ولا أجنبى بأن يملك أرضا فى أوغندا .

وعلى ذلك فإن السياسة البريطانية بصدد ملكية الأرض غدت الأداة الرئيسية لتعزيز السيادة البريطانية ، والمصالح المحلية الإقطاعية التى دت إلى استغلال العمال الزراعيين قد أصبحت من دعائم سيطرة بريطانيا .

ولننظر إلى سياسة البريطانيين بصدد الأرض فى أوغندا نظرة أكثر تدقيقا .

فإن المساحة الكلية لأوغندا تبلغ ٩٨١ ر ٩٣ ميلا مربعاً من الأرض و ٦٧٠ ر ٥ ميلا مربعاً من المستنقعات ، بما فيها المستنقعات المشبة و ٦٨٩ ر ١٣ ميلا مربعاً من الماء . وإذن فالمساحة الكلية للأرض والمستنقعات معاً ٢٩٢ ر ٨٠ ميلا مربعاً . وليس من أرض تعتبر فى حوزة الوطنيين فى أوغندا وإنما كل الأرض معتبرة من أملاك التاج ومن الـ ٢٩٢ ر ٨٠ ميلا مربعاً من الأرض ثمة ٧٧٦ ر ٩ صالحة للزراعة و ٤٩٤ ر ١ بساتين و ١٤١ ر ٦ غابات و ٠٥٢ ر ٣ أرض مبان أو أرض بور فى حين أن ثمة ٨٢٩ ر ٥٩ ميلا مربعاً غير مزروعة ويدخل فيها المراعى وأحراش الصيد . ويمكن تقسيم الـ ٢٩٢ ر ٨٠ ميلا مربعاً التى هى مجموع الأرض كما يلى : —

— أرض موزعة على أفراد إفريقين منها :

بموافقة بوجندا ٠٠٣ ر ٩ ميلا مربعاً

بموافقة انجولا وتورو	٧١٠ر ٠ ميلا مربعاً
منح من المديرية الشمالية	٠٢٥ ر ٠ ميلا مربعاً
أراضي التاج فى المديريات الشرقية والغربية والشمالية	٠٨٧ ر ٦٢ ميلا مربعاً
أراضي التاج فى بوجندا	٤٩٨ ر ٧ ميلا مربعاً

٢ — أرض يملكها أو يحتلها سكان من غير الوطنين ومنها :

بوغندا	٣٤٤	ميلا مربعاً
المديرية الشرقية	٧١	ميلا مربعاً
المديريتان الغربية والشمالية	١٠٤	ميلا مربعاً
المجموع	٢٩٢ ر ٨٠	ميلا مربعاً

وثمة نماذج من الاقطاعيات أما فى صورة ملك حر أو أراض مستأجرة لعدد من السنين أو مسموح بوضع اليد عليها لمدة مؤقتة . ولا شك أن التمليك ملكا حراً ينطوى على أكبر فائدة . وهذه الملكيات تتشكل من :

١ — المنح ، المعطاة فى أوائل هذا القرن ، من المقاطعات الزراعية ، حيث كانت الأملاك فى مبدأ الأمر يؤجرها التاج بشروط تسمح بالتمليك الحر فى الأحوال المواتية « وهذه الأحوال المواتية التى تعنى فى الظاهر تحسن حالة الأرض ، إنما تعنى فى الحقيقة ولاء الذى أعطيت له المنحة للحكم الأجنبي » .

٢ — المنح المعطاة للهيئات الدينية .

٣ — المنح المعطاة بموافقة انكولا فى سنة ١٩٠١ وبموافقة تورو فى سنة ١٩٠٠

٤ — المنح التي أعطيت فى مستهل هذا القرن كمكافآت على خدمات أديت للحكام البريطانيين . ومثال ذلك مقاطعة كاكونجورو فى امبال التى أعطتها الحكومة هدية إلى كاكونجورو ، وهو أحد شخصيات موجاندا مكافأة له على خدماته المتضمنة إخضاع البلاد الواقعة حول مونت الجون .

لقد استخدم توزيع الأرض فى إيجاد طائفة إقطاعية من بين الوطنيين تدين بالولاء للبريطانيين ، فنى بوجندا على سبيل المثال ، وزعت الأرض على حاكم بوغندا ووزراؤه وعائلته وقد منح كل منهم ثمانية أميال مربعة ، وواقع الأمر أن كثيرين غيرهم قد منحوا أرضا .

واللقب الذى يمنح للمالك لو يعطيه الحق فى الملكية المطلقة ، ويمكنه أن يفعل أى شىء ، ما دام مستمرا على الولاء للتاج البريطانى . ولا حاجة بنا إلى القول أنه ليس ثمة قوانين تعطى أى ضمان لحق الملكية وغيره من وسائل الحماية لزراع الأرض المساكين .

لكى ندرك إدراكا سليما كم هو بشع حكم بريطانيا فى أوغندا ، وكم هو تعس ومنكود شعب هذه البلاد ، ينبغى أن نمعن النظر فى سياسة بريطانيا بصدد الأرض فى أوغندا بشىء أكثر من التدقيق .

فلضمان التأييد التام للسيادة البريطانية من جانب أصحاب المصالح الإقطاعية من الوطنيين أعطى مقدار ٠٠٣ ر ٩ ميلا مربعاً من أرض أوغند لحاكم بوجندا ومن تحت سلطته من الرؤساء وتعدادهم حوالى ٣٧٠٠ شخصا طبقاً لاتفاقية أوغندا سنة ١٩٠٠ الشهيرة ولم تعتبر الأرض كنحة وإنما كأملاك لا يطالب بها التاج . وقد أعطيت مناطق أقل اتساعا من هذه بشروط فردية لحاكم أنكولا وتوود وبينورو ومن تحت سلطتهم من الرؤساء .

ولزيادة الإدراك يحسن أن نضع الآن فى أذهاننا أن مديرية بوجندا فى أوغندا يقل عن سكانها عن مليون وربع نسمة . أما ولايات الاتفاقية الثلاث وهى أنكولا — وتورو — وبونيورو — فى المديرية الغربية فعدد سكانها ثلاث أرباع المليون ، والمراكز الثمانية الباقية فى محمية أوغندا عدد سكانها ٢ ، ¾ مليون نسمة .

فضلا عن أنه منذ سنة ١٩٠٢ وأكثر المناطق ملاءمة للزراعة والاستعمار قد سلخت من أوغندا وأدخلت فى كينيا حيث كان مسموحا للمستعمرين البيض أن يهيموا كيف شاءوا .

وهكذا ، بالتحالف مع ٣٧٠٠ شخص وإعطائهم سلطات مطلقة غير محدودة على مساحة ٩٠٠٣ر٩ ميلا مربعاً وتحويل أولئك الأثرياء الوطنيين إلى دعامات تسند النفوذ البريطانى قد جعل المستعمرون البيض من الأوغنديين حطابين وجلابى مياه وحكموا عليهم بالفقر الدائم والمرض والجوع والبؤس ، وقد استعبد الاستعماريون البريطانيون المتوحشون هذه الملايين واستغلوها وسخروها لمنفعتهم .

إن الظلم الصارخ والجور الذى ينطوى على هذا الاستعمار ليجل عن الوصف حتى أن حاكما بريطانيا هو اللورد هيلى « الذى ظل سنين طويلة حاكما لبعض الولايات فى الهند ، والذى ما زال اسمه تفوح منه رائحة كريهة فى إحدى الولايات التى حكمها على وجه الخصوص ، « وهى المسماة آثار براديش فى الهند الحرة » قد اضطر أن يكتب الآتى عن هذا الاستعمار قائلا : « إن إعطاء مساحة كبيرة من الأرض لملك بوجندا ورؤساء مملكته فى سنة ١٩٠٠ كان عملا اقتضته الاعتبارات السياسية ، ولكن تقرير أن الحقوق الممنوحة عليها يجب أن تتخذ صورة الملكية الحرة ، قد نشأ عنه نتائج سيئة ، لا تنطوى فقط على تجاهل وجود حقوق القبائل على الأرض ، ولكن الأهم من هذا ، إغفال أثره الذى لا يدفع على العلاقات التقليدية بين الفلاحين والرؤساء» .

والنتائج فيما يتعلق بالأغلبية العظمى من زارعى الأرض كانت فادحة فنى حين كان ثمة حد الضريبة التى يدفعها ملاك الأراضى ، لم تكن هنا لك أى حدود لقيمة الإيجار التى يفرضها المؤجرون ، فقد كان مقرراً — على سبيل المثال — إن المالك الذى يؤجر أرضه لأقل من خمسة مستأجرين لا يدفع أكثر من خمسة شلنات . والمالك الذى يملك أكثر من ١٠ آكر يدفع فقط من خمسة عشر إلى خمسة وعشرين شلنا ، فى حين أنهم يفرضون أكثر من خمسة وعشرين شلناً كإيجار لكل آكر ، والمستأجر المسكين لا يملك أى وسيلة من وسائل الحماية ومن ثم فهو واقع تماماً تحت رحمة المالك .

وإن حركة افقار طبقة المزارعين بعد اتفاقية أوغندا سنة ١٩٠٠ قد تقدمت بخطوات سريعة حتى إنه فى سنة ١٩١١ اضطر الحكام البريطانيون أن يعينوا لجنة لتدبير الوسائل لإيقاف تيار هذا الانهيار السريع فى الأحوال المعيشية للفلاحين الذين بلغ حدا مزعجاً . وقد ظل هؤلاء السادة الباحثون وقتاً طويلا يبحثون تسع

سنوات ، حتى سنة ١٩٢٠ وعندما قدموا أخيراً توصياتهم فى سنة ١٩٢٠ رفضت الإدارة قبولها ! !

والملاك من جانبهم ، استمروا يطردون الفلاحين دون أن ينالوا أى جزاء ، طمعاً فى اقتضاء إيجارات مرتفعة جداً من المستأجرين الذين يستأجرون مساحة من الأرض لزراعتها موسماً واحداً فقط . وبعض الخطوات التى تتخذ من وقت لآخر لتخفيف حدة استغلال الفلاحين ، قد اصطدمت صراحة بالمشكلة ، وبرهنت على بشاعة الحالة . ومن ثم فقد صدر قانون تسجيل الأملاك فى عام ١٩٢٣ لتمكين بعض فئات من المزارعين من الحصول على عقود إيجار وراثية ، ولكن الإجراءات كانت باهظة التكاليف جداً

وقد أراد قانون سنة ١٩٢٧ تحديد الالتزامات التى يفرضها الملاك ولم تسمح بفسخ الإيجار إلا فى حالة التخلى عن الأرض من جانب المستأجر . وقد ظل هذا القانون حبراً على ورق .

إن قصة الويل الذى يعانيه الفلاح الأوغندى ، هى قصة بالتأكيد لا نهاية لها وأن ضيق المجال يمنعنا من أن نسترسل فى سرد التفصيلات الكاملة . فقد نهب ذلك الفلاح المسكين وامتص حتى نخاع عظمه وما من غوث ولا أحد يغيثه . ولنذكر لذلك مثالا واحداً ، ففى السنوات الأولى من الحكم البريطانى اتخذت الضريبة المباشرة صورة الضريبة على الكوخ وقدرها ثلاث روبيات . وفى سنة ١٩١٠ غدت ضريبة على الرأس خمسة عشر شلناً ومنذ سنة ١٩٤٨ بلغ مقدار هذه الضريبة عشرين شلناً .

لقد كان الفلاح الأوغندى فى مستهل هذا القرن يقضى حتى ذلك الوقت حياته فى ظل اقتصاديات القرية الريفية المتضمنة نظام التبادل والمقايضة ، ثم إذا به فجأة يجد نفسه مرتبطاً بدوامة الاقتصاد النقدى فى العالم . إن ذلك الذى كان يزرع قوته فى القرية النائية فى أوغندا قد سيق عنوة للتعامل مع أسواق الرأسماليين الامبرياليين فى لندن وعواصم أخرى . فما أسرعها من نقلة من منتج بسيط للحبوب للاستعمال والاستبدال المحلى ، إذا به يجد نفسه مجبراً بحكم الظروف لأن يغدو زارعاً مسخراً لإنتاج

المحاصيل كالشاى والبن والكاكاو ويصبح ضحية تعيسة لتقلبات السوق العالمية ، التى لاسيطرة له عليها .

وفى أوغندا ، كما فى أغلب بلاد أفريقيا الاستوائية جانب من موارد الأرض والعمل تستنفذه الحاصلات المعيشية أما الاقتصاديات النقدية فإنها يمكن أن نسميها بالاقتصاديات الحرة ، وبعبارة أخرى نقول أن القوة الدافعة لاتساع وتقلص النشاط الاقتصاد تأتى غالباً من مصادر خارجية ، وخاصة الصادرات ، والواقع إن فى الاقتصاديات النقدية لأفريقيا الاستوائية ، حيث المحاصيل المعيشة غالبة ثمة قطاعات عظيمة استراتيجية ، وتحدد فى نطاق واسع مدى ومقدار هذه الاقتصاديات الاستوائية . وجانب الصادارت فى هذه الاقتصاديات بالغ الأهمية لأن الأرباح الناجمة عن الصادرات تميل إلى التذبذب بدرجه ملحوظة أكثر من الواردات .

وفى أوغندا على أى حال ، حتى حين ارتفعت الأسعار العالمية للصادرات كالبن والكاكاو — كما حدث فى سنتى ١٩٥٥ — لم يحقق الأهالى أى كسب . وذلك كما ورد فى إحدى بيانات الأمم المتحدة حيث جاء بها : « إن المكاسب المتزايدة . . تتجمع كلها فى الغالب فى أيدى الملاك غير الوطنيين ، حتى أنها لا يمكن إدراجها بأكلها فى الدخل العام على العموم » .

هذا هو باختصار حال الشعب الأوغندى . أما الثروات والغنى الذى تتمتع به أوغندا فهو أمر لا شك فيه . وقد أسماها جنتر بأعظم بلاد منتجة للقطن والبن فى الكومنولث البريطانى . وإن موارد مياهها العظيمة والثروات الكامنة فى غاباتها وكذلك الثروة المعدنية المخبوءة فيها أمر غير منكور وأنها لمأساة لا يمكن التعبير عنها بالكلمات أن أبناء هذه الأرض الغنية مقدور عليهم أن يعيشوا هذه العيشة البائسة الفقيرة . بعد الحرب العالمية الثانية كانت أوغندا تصدر وتستورد بضائع بلغت قيمتها سبعة ملايين من الجنيهات الاسترلينية فى العام . وفى سنة ١٩٥٥ بلغت هذه القيمة سبعين مليوناً من الجنيهات ولكن ماذا عاد على الأوغنديين أنفسهم؟ لا شىء على الإطلاق فقد استولى غير الأوغنديين على كل المكاسب . أما نصب الأوغنديين فكان الفقر والجوع والمرض .

إن الامبرياليين وحاملي لوائهم ، البروقراطيون المتعجرفون المتعصبون من أشباه ديونداس ، ما يفتأون يتشدقون بالفوائد التي عادت على أوغندا من جراء الإدارة البريطانية الرشيدة . وأنهم ليحدثون عما فعلوه لتقدم التعليم والعناية الصحية وتعبيد طرق المواصلات . . الخ . . وأن ضيق المجال يحول دون أن نناقش هذه المزاعم ، البالغ فيها مبالغة عظيمة . والحقيقة في أوغندا هي غنى المستعمر الأبيض ويساره ، وفقر الشعب واملاقه .

وهذا ما قاله اللورد هيلي عن الأفريقيين : « إن غذاء الأفريقيين على العموم قليل النفع وهذا له تأثيره في مستوى الصحة والقدرة على العمل . ففي معظم مناطق أفريقيا الوسطى والشرقية والجنوبية ، الذرة « أو بديل لها » وفي غرب أفريقيا النشا هو الغذاء الرئيسي ، أما اللحم فنادر وأما اللبن فقليل » . « ص ١٢٨٣ »

وإن تجربة تجنيد الأوغنديين للقوات المسلحة خلال الحرب العالمية الثانية لتعتبر برهاناً على مستوى الصحة العامة التي يتمتع بها الشعب الأوغندي . إن تجربة التجنيد في أوغندا ، قد برهنت بما لايدع مجالا للشك . إن المواطن الأوغندي الكفء نادر . فإن الجانب الأكبر من الأهالي يعتبرون مظهراً لسوء التغذية ولا عجب فإنهم منذ ولادتهم يعتمدون على غذاء تافه » .

هذه هي الصورة الحقيقية للحكم البريطاني في أوغندا وهذه هي عواقبها . ومع ذلك فإن المد يسرع في الانحسار . وليس ببعيد ذلك اليوم الذي ندفع فيه أولئك القراصنة الامبرياليين المتعجرفين المرائين ليعودوا على أعقابهم إلى جزرهم ويومئذ سوف يعتمدون فيما يتعلق بقوتهم الضروري ، ووجودهم على كرم وتسامح الأوغنديين وغيرهم من أهالي مستعمراتهم الأخرى ، حيث رقصوا رقصة الموت في أيامهم الخالية . إن أياماً من الشقاء والحرمان تنتظر الشعب البريطاني . وفي طالعه التعس الذي يبدو على الأفق عليه ألا ينتظر شفقة من أحد . فعلى رأسه سوف تقع لعنة الملايين بعد الملايين من أبناء الجنس البشري الذين سحقهم هذا الشعب واضطهدهم وذبحهم بأبشع الوسائل وبغير رحمة ولاشفقة . وإن الشدة معهم قد يمكن أن تخفف جدا لو أن الجيل الحاضر من شعب الجزر البريطانية أبدى بعض الفهم والشعور وقسر حكامه الانسحاب

فوراً من أوغندا ، وكل المستعمرات الأخرى . ولـكننا لا نلمح إلا بصيصاً ضئيلا من الأمل فى ذلك .

أما عن شعب أوغندا فهو فى حركة دائبة وقد أصبحت الحرية بالفعل فى قبضة يده ، ومستقبل عظيم مجيد ينتظره . وأن منظمة التضامن الأفريقى الإسيوى هى أعظم ضمان للنصر الأخير لشعب أوغندا .

ولم ينس الدكتور هيستنجر كاموزوباندا رئيس المجلس الأفريقى أن يتحدث فى مؤتمر أكرا باسم المناطق الشرقية والوسطى والجنوبية بصفة عامة وباسم نياسالاند بصفة خاصة فيقول : « إننى أحسد إخوانى من أبناء غرب أفريقية على أنهم ليس لديهم مثل مالدينا من مشكلة المستوطنين فقد كان عندهم فى القرن التاسع عشر بعوض شديد الفتك كفاهم شر استيطان الدخلاء ، فى الوقت الذى لم نسعد فيه بمثل ذلك البعوض » ويذكر باندا أن تمداد بلاد من الأفريقيين ٠٠٠ر٣٠٠٠ أفريقى ، ٠٠٠٠ر١ هندى ونحو من ٧٠٠٠ أو ٨٠٠٠ أوربى .. ومن أجل هؤلاء السبعة أو الثمانية آلاف أوروبى أرغمت وزارة المستعمرات البريطانية عام ١٩٥٣ نياسالاند على الاندماج فيما اسمته الاتحاد الأفريقى المركزى .

ثم يوضح باندا السياسة التى وضعها لبلاده فيقول : « إن السياسة التى رسمتها لنياسالاند ، بسيطة للغاية وهى جزء من مشروع عام وضعت قواعده للقارة الأفريقية بأكملها ، إننى ديمقراطى النزعة والمبدأ شديد الإيمان بحق الأغلبية فى توجيه دفة الحـكم فى كل بقعة من الأرض وهنا فى أفريقية تتكون الأغلبية الساحقة من الأفريقيين أى من أبناء البلاد ، ولذلك ليس بمستغرب أن يكون مبدئى الذى أناضل عنه هو أن يكون الحـكم فى أفريقية للأفريقيين وهذا المبدأ يشمل نياسلاند ، وغير نياسلاند . » .

ولست اعتقد ، أننا بعد أن نقلنا تلك الصور التى أوردناها فى مستهل هذا البحث عن حركات التحرر فى شرق أفريقية ووسطها بحاجة إلى تأكيد أو تفصيل .

إن الصومال بأجزائه الخمسة ، وأحزابه الوطنية ، وهيئاته الشابة الفتية قد كشف كل ألاعيب الاستعمار التى تهدف إلى تفرقته وتجزئته وآمن بقوة وبعنف بأن وحدته

لن تكون إلا بقيادته الوطنية الواعية المستنيرة التى تحارب الاستعمار . . كل أنواع الاستعمار ، وتكشف بقوة مشروعات الاستعمار . . كل مشروعات الاستعمار . .

والصومال الوطنى المتحرر آمن بأن انجلترا وفرنسا وأمريكا ، وإيطاليا — ستكون فى مقدمة أعدائه ، وخصومه .. وأن كل خلافات مذهبية أو طائفية ، أو حزبية ، يجب أن تمحى فى سبيل طرد المستعمرين من أراضى الصومال وفى سبيل إعادة ما اغتصبت من أراضيه .

والصومال الوطنى المتحرر يؤمن بأن هناك مؤامرات لإطالة أمد الوصاية ، ولتأجيل بداية الاستقلال . . وهذه المؤامرات تعمل على اصطناع زعماء داخل الصومال . . واستنزاف موارد الصومال ، وإفقاره حتى يكون فى حاجة إلى مشروعات الاستعمار ..

والصومال الوطنى المتحرر يعلم أن محاولات كثيرة تبذل لإبعاده عن محيط الدول الأفريقية المتحررة وربطه بعجلة الدول الغربية . . وجعله سوقاً للتجارة الإسرائيلية ، وللنشاط الصهيونى . .

والصومال الوطنى المتحرر يسعى كل ما استطاع إلى السعى سبيلا ، لإقناع الحبشة بإعادة منطقة أوجادين إلى صوماليا الكبرى . وذلك حرصاً على التكتل الأفريقى . ورغبة فى الإبقاء على وحدة شرق أفريقية . .

إن الصومال بأجزائه الخمسة يدين بالإسلام ، وينتمى أبناؤه إلى سلالات عربية سكنت هذه الأرض منذ فجر التاريخ .. والصومال بأجزائه الخمسة ينطق بلغة واحدة ، ويشترك فى عادات وتقاليد واحدة . . كل هذا يؤكد وحدة الصومال وارتباطه بالدول الأفريقية المتحررة ومعاداته لكل المؤامرات الاستعمارية ..

والصومال بأجزائه الخمسة قد أوشك على تحقيق مطالبه الكبرى من الحرية . . والوحدة . . وهذا ما يؤكد — كما تقول المانشستر جارديان البريطانية — وجود خطر حقيقى على المصالح البريطانية فى الشرق الأوسط .

* * *

وإلى جانب الحركة الصومالية التحررية الكبرى .. توجد الحركة الوطنية التحررية الكبرى فى كينيا .. ما زال أبناء كينيا الأحرار ، أبناء ماوماو الشجعان أبناء قبيلة كيكويو الأبطال يعملون على تحقيق الاستقلال والحرية لبلادهم .. بل لأفريقية كلها .. وما زال القسم الذى انطلق من جماعة ماوماو يحدد وحده مصير الاستعمار فى كينيا ..

« ليقتلنى هذا القسم إذا ارتكبت فعلا من أفعال الخيانة أو شهدت على عضو من أعضاء الجمعية .. وليقتلنى هذا القسم إذا لم أقتل أعداء الجمعية وجبهتهم الأوربيين عندما يطلب منى ذلك وليقتلنى هذا القسم إذا دعتنى الجمعية ولم ألب النداء .. وليقتلنى هذا القسم إذا لم أؤيد زعماء الجمعية فى أى قضية قانونية ، وليقتلنى هذا القسم إذا لعنت بيت مومبى (قبيلة اكيكويو) أو هذه الجمعية ، وليقتلنى هذا القسم إذا بعت أرضى لأحد غير بيت مومبى .. ولتذهب نفسى شعاعاً وليقتلنى هذا القسم إن أفشيت سر الجمعية .. »

* * *

أما أوغندة .. التى تمتد حضارتها إلى آلاف السنين منذ أن استقر شعبها على شواطىء بحيرة الآلهة التى سميت فيما بعد (بحيرة فيكتوريا) .. ومنذ أن انتشر على سفوح جبال النمر « دزورى » أوغنده هذه التى ظلت كالقلعة الحصينة إلى أن تسرب إليها الاستعمار فى منتصف القرن الماضى — مع المبشرين .. والتجار والأفاقين لحاول أن يجعل من ملكها — الكاباكا — عميلا له فلم يستطيع ..

هذا الشعب الذى ثار عام ١٩٥٢ ثورة عارمة كان من مظاهرها أن قاطع الطلبة الأفريقيون زملاءهم فى الجامعات البريطانية ، وانسحب الوطنيون من النوادى والهيئات الثقافية التى يشترك فى عضويتها بريطانيون ، وامتنع المسيحيون عن الاتصال بالمبشرين أو الذهاب إلى الكنائس وامتنع القسس ورجال الدين عن مزاولة أعمالهم .

وحتى اليوم ما تزال ثورة شعب أوغندا لم تهدأ بعد . . ولن تهدأ قبل أن يطرد شعب أوغندا بريطانيا من هذه المنطقة الحيوية التى لم تعرف قبل القرن التاسع عشر الحكم الأجنبى .

وفى تنجانيقا ، يؤكد تقرير الأمم المتحدة أنها تمر فى مرحلة نحو القومية الأفريقية ، الشعب يرفض ما تعرضه عليه بريطانيا وهو الانضمام إلى الكومنولث وأن الشعب يتأهب للانتفاض على الحكم البريطانى العنيف . . التى حول دار السلام إلى دار القتال .

وفى روديسيا الدولة التى تتكون من شمال روديسيا وعاصمتها لوسكا — وجنوب رودسيا وعاصمتها سالزبورى ، ونياسالاند وعاصمتها زومبا . . والتى فرض الانجليز عليها نظاماً اتحاديا رفضه جميع أطرافه . . هذه الدولة رفعت علم العصيان ، وقادت أعنف معركة شهدتها هذه المنطقة حتى أن الصحف الإنجليزية نفسها أكدت أن أفريقية السوداء ستتحرر من هذه المنطقة .. من نياسالاند .

إن شرق أفريقية ، كشماله ، وجنوبه . . كغربه ووسطه وشماله قد تأهب فعلا لا للثورة ، فقد ثار من قبل . . وما تزال ثورته قائمة ، مستمرة . . بل تأهب فعلا لطرد المحتل من أرضه .. ومن نفوس البعض الذين آمنوا به . . .

غرب إفريقية يتحرر

إن كلة الاستقلال أصبحت كلة سحرية ، تحمل فى باطنها كل عجيب .. إنها تتداول اليوم فى كافة أنحاء القارة الإفريقية .. وكلة أخرى بجانب كلة الاستقلال .. الوحدة الإفريقية .. إنها ليست جديدة ، ولكنها تتضخم على مر الأيام وتبعث فى النفوس ألواناً من الحماس ، والطموح . : والقوة .

صحيفة لوبوبلير الفرنسية

فى كتاب الأسباب الحقيقية للصراع الحالى : تقرير المصير فى إفريقية ، للكاتب ألفابوس ، هانتون جاء ما يلى :

« إن القاعدة الأولى فى المدن التى يسكنها البيض فى إفريقية ، يمكن التعبير عنها كالآتى :

« لا تسمحوا للافريقيين ، بالدخول إلا إذا كانت الحاجة ماسة إلى عملهم . . »

أما القاعدة الثانية فهى : « يستطيع الإفريقيون ، أن يعملوا من أجلنا ولكنهم لا يستطيعون أن يعيشوا معنا . . »

وقد طبق الاستعمار القاعدتين معاً فى غرب إفريقية فنى الكونغو الخاضع للسيطرة البلجيكية ، استطاع الاستعمار البلجيكى أن يحقق المثل الإسبانى : لقد نجح فى أن يجعل الحاضر غير محتمل ، ولم يبذر أية بذرة للمستقبل .

ونجح الاستعمار ، بما استخدمه من وسائل جهنمية فى انقاص تعداد الكونغو ستة ملايين نسمة . . كما استطاع أن ينشىء شركات تسرق ، وتبتاع وتستغل حتى الموت ، وكما قال بازيل دافيدسون : لا يوجد فى الكونغو أى تقدم صوب الهدف فإن القيم الثقافية العامة والتعليم ، لخلق المواطن ، مما لا يتمشى مع الاستعباد الاستعمارى ، وكل ما يجوز تحت وطأة الاستعمار هو القضاء على المجتمع القديم فحسب . ولقد كان هذا الاستعمار بمثابة الأعصار الفظيع الذى اقتلع المجتمع القديم ومهد لبناء المجتمع الجديد ، ولكنه أظهر أنه غير قادر على بناء هذا المجتمع الجديد .

وفى الكمرون بقسميه الفرنسى ، والانجليزى ، استطاع الاستعمار الانجليزى والاستعمار الفرنسى ، أن يقضيا على امكانيات البلاد الاقتصادية ، وإن لم ينجحا فى القضاء على مقوماته الوطنية .

ولعل فى نشر جزء من الرسالة التى وجهها الطالب الكمرونى شودكا دلوكا إلى ممثلى العالم ، فى منظمة الأمم المتحدة وإلى الرأى العام العالمى ، ما يدل دلالة قاطعة على أن الاستعماريين ، لا يرعون للإنسانية ، ولا لأبسط مبادىء حقوق الإنسان أى حق من الحقوق . .

قال شودكا دلوكا . . فى رسالته المؤرخة فى ٥ يوليو سنة ١٩٥٩ ما يلى :

« لقد ذهبت إلى قريتى . . كانت جميع المساكن موحدة . . اتجهت إلى منزلنا . . طرقت الباب . . إن أبوابنا ليست متينة الصنع . . انفتح الباب ، لم أجد أحداً من أفراد أسرتى على قيد الحياة ، سوى أمى ، كانت ملقاة على سرير . . وبالقرب منها جثة أبى وإخوتى الاثنين ، وأختى الصغيرة . . وكانت أمى نفسها هيكلا أوشك أن ينتهى . . ووجدت آثار الجروح فى رءوس أبى وإخوتى وفى صدورهم . . أشارت أمى إلىّ بألا أبقى فى القرية وأن أهرب . . لقد قتلوا من قريتنا ٢٠٠ شخص من ٣٠٠ هم كل تعداد القرية . وألقوا ببعض الجثث فى حفرات ، وبعضها تركوه كما هو . . أما البقية الباقية فقد ألقوا بها فى النهر . إنها آثار المدينة الفرنسية الحديثة فى بلادى . . فى الكمرون » .

ويضيف أوسندى أقانا ممثل الكمروون فى السكرتارية الدائمة لمؤتمر تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية إلى ما ذكره الطالب فيقول : « لا يزال المستعمرون يتشدقون بأنهم حضروا لتمديننا وهم الذين جاءوا لتحويلنا إلى سلع وأدوات للانتاج لقد اختطف هؤلاء من أبناء إفريقية أكثر من ١٥٠ ألف طفل كانوا يسمونهم قطع الأبنوس ، وكانوا يتاجرون فيهم بصورة تتنافى مع أبسط المبادىء البشرية .

أما رواندا أوراندى التى يسمونها سويسرا إفريقية والتى كانت خاضعة لألمانيا قبل الحرب العالمية الأولى ثم استولت عليها بلجيكا تنفيذاً لقرارات مؤتمر فرساى . . ثم طالبت بها بريطانيا وأوجيبت إلى طلبها . . ثم عادت بريطانيا فتنازلت عنها لبلجيكا على أن تسلخ منها شريطاً ضيقاً لامكان تنفيذ خط سكة حديد الكاب القاهرة .

هذه المقاطعة التى تخضع اليوم اسماً تحت وصاية الأمم المتحدة ، والتى ترفض بلجيكا تقديم تقارير عنها إلى الأمم المتحدة . . لقيت الأمرين من الاستعمار البلجيكى .

ولندع الكسندر روتيرى عضو حزب الاتحاد الوطنى فى رواندا أوراندى يصف بعض ما لاقته بلاده من الاستعمار النموذجى . . الاستعمار البلجيكى الاستعمار الذى يفخر أصحابه بأنه يقضى على كل حركة وطنية . ويقول روتيرى أنه لم يقرأ سوى كتاب عن إفريقية يمتدح فى عبد الناصر ، وهو كتاب — إفريقية اليوم — وفيه يقول

المؤلف : «إنه لن توجد المستقبل سوى إفريقية الموحدة وأن عبد الناصر سيلعب الدور الرئيسى فى حركات التحرير الموجودة فى القارة . . إن أول ما فعلته بلجيكا أنها ميزت قبيلة الباتوتس على غيرها من القبائل فى التعليم والأرض والحكم وذلك لكى تستطيع أن تصطنع من أفراد القبيلة أدوات يعتمد عليها فى حكم البلاد ، فلما خابت هذه الوسيلة استأجرت بعض الخونة لكى يرتكبوا حوادث القتل ، ثم ينشر عملاؤهم أن القاتل من أفراد قبيلة أخرى ، وينشب نزاع بين القبيلتين ، لا يحله سوى تدخل القوات الاستعمارية . ولكن القبائل تنبهت إلى هذه الدسائس ، فإن بعض الذين حاول الاستعمار شراءهم ، أبلغوا زعماءهم بالخطة ، واتفق رجال القبائل على ألا يقعوا بعدها فى أى استفزاز من هذا النوع وأن يطالبوا — كما يحدث فى كل إفريقيا — بالاستقلال التام ، ووقف الملك مع الحركة الوطنية فى بلاده . . . وواجه الاستعمار لأول مرة الشعب يقف صفاً واحداً وعلى رأسه الملك . . ولكى يخلص الاستعمار من الأزمة قتل الملك وأصيب الناس بذعر ، كيف ينتقمون للملك ؟ إن تقاليدهم ودينهم تمنعهم أن يقتلوا أى غريب مهما كان لونه ومهما كان السبب ؟ ! وثار الشعب وقامت المظاهرات تطالب بالاستقلال ، ولكى يخرج الاستعمار من (الورطه) الجديدة ويهدىء ثائرة النفوس عين شقيق الملك المقتول ملكا على البلاد ، وفى نفس الوقت أشاع بواسطة الخونة ، أن الملك وهو من قبيلة — الباتوتس — يطلب من قبيلته قتل رجال الباهوتى ، ووقعت البلبلة فى النفوس ، ولكن الملك لم ينتظر ، فقد أصدر منشوراً سرياً ، يدعو فيه رجال القبائل ألا ينخدعوا بهذه الإشاعات الاستعمارية ! ! وطلب من القبائل أن تتحد حتى تنال الاستقلال . فما كان من السلطات البلجيكية إلا أن هاجمت قصر الملك وهو بناء دينى فى نظر الشعب ، وأخمدت النار المقدسة ، ومزقت الطبول الدينية ، ونفته فى مكان بعيد فى أقصى البلاد ، حتى تمنع اتصاله بأفراد الشعب .

خلال ٤٢ عاما ، لم تفتح الإدارة البلجيكية مدرسة واحدة ، والمدارس القليلة الموجودة أنشأتها البعثات التبشيرية ، وحتى الآن لا يوجد من الشعب ، دكتور أو محام ، أو مهندس وطنى واحد ، وتحت الضغط الشديد افتتحت السلطات جامعة عبارة عن (كلية زراعة) ، وبالكلية ثلاثة طلبة ! ؟

ولعل اقتصاد راوندا أورندى لم يتحرك إلا خطوات قصيرة طوال هذه المدة الطويلة ، فالبترول الذى ثبت وجوده ، لم تحاول السلطات استغلاله . . . وفى الزراعة أجبرت الناس على زراعة البن ، مع أن المناخ لا يصلح له ، وبعد عشرين عاما اضطر المزارعون إلى خلع شجيراته بعد أن ثبت فساد التجربة ، وبعد أن تكبدوا خسارة فى أموالهم .

وفى أنجولا ما يزال الرق ، كما تقول مجلة هاربر قائما . . لقد فكرت منذ خمسين عاما فى إرسال تيفنسون ماتسو إلى أنجولا لعمل تحقيق صحفى عن الرق هناك . وبعد ذلك بخمسين عاما أرسلت بازيل دافيدسون لعمل نفس التحقيق هناك . . عن الرق .

أما فان بدلر فيقول فى كتاب له عن أفريقية الغربية : تعتبر غربى أفريقية أول ثمار الكشف الجغرافى وأقربها إلى القارات الجديدة كان آخر الجهات الأفريقية التى بلغها النقد إذ أصبح مستودعا للعمال المطلوبين لأمريكا وكانت ترسل إليه الدول سفنها وتبنى قلاعا وأهم هذه الدول بريطانيا وفرنسا وهولندا ، والسويد والدانمرك .

وكانت هذه السفن تحضر بعض البضائع إلى ساحل غربى أفريقية وتعود محملة بالعبيد عبر المحيط الأطلنطى وكان الاعتقاد السائد فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر أن عدد العبيد المصدرين سنويا من غربى أفريقية يبلغ ١٠٠,٠٠٠ .

وفى سنة ١٧٨٧ بلغ نصيب البريطانيين ٣٨,٠٠٠ والفرنسيين ٣١,٠٠٠ والبرتغاليين ٢٥,٠٠٠ والهولنديين ٤,٠٠٠ والدانمركيين ٢,٠٠٠ .

وانتشرت تجارة الرقيق وتنافست شعوب أوروبا من أجلها وزادت القرصنة فى البحار وأصبحت أمرا مألوفا إلى أن ظهر الاتجاه إلى إيقاف تجارة الرقيق ... والأثر الأول لهذه الحركة فى غربى أفريقية كان فى سنة ١٧٨٧ عندما أحضرت جمعية إلغاء تجارة الرقيق ٣٥١ من العبيد المحررين من بريطانيا للاستيطان فى فريتون وكانت هذه تجربة غريبة بالنسبة لهذه العناصر التى نالت حريتها أخيرا بعد أن كانت تعمل فى خدمة الاسر الثرية وأصبحت تعيش فى الأحياء الفقيرة فى المدن الكبيرة .

وفى سنة ١٧٩٢ ضم إليهم بعض الزنوج المحررين ممن اشتركوا فى الحرب الأمريكية .

وفى سنة ١٧٩٤ ألغت فرنسا تجارة الرقيق فى مستعمراتها الإفريقية لكن نابليون أعادها مرة أخرى . . واعتبرت الدانمرك تجارة الرقيق عملا غير مشروع فى سنة ١٧٩١ وبريطانيا العظمى سنة ١٨٠٧ وهولندا ١٨١٤ والسويد سنة ١٨١٢ وفرنسا سنة ١٨١٨ والولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨١٩ والبرتغال سنة ١٨٣٦ وكان الأمر مجرد تصريحات .

وبدأت الشعوب الأفريقية — شعوب غرب أفريقية تجنى ثمار الحركات الوطنية التى قامت فى هذه المنطقة . . والتى بدأت منذ اليوم الأول لنزول القوات الأجنبية ، سواء أكانوا مبشرين ، أم رحالة ، أم تجارا ، أم جنود احتلال . . .

لقد استطاع أبناء الكونغو على سبيل المثال لا الحصر — أن يدمروا أول محطة أقامها الاستعماريون البلجيكيون عند شلالات ستانلى عام ١٨٨٦ . .

واستطاع الوطنيون من أبناء الكونغو القيام بثورات استمرت حتى عام ١٩٠٠ ثم قامت جماعة كيتا والا عام ١٩٢١ بقيادة كيبا نجو وتشبه إلى حد بعيد منظمة ماوماو وحاولت سلطات الاستعمار القضاء على هذه الجماعة بالحديد والنار فلم تستطع فقبضت على الزعيم الأفريقى وألقت به فى غياهب السجون حتى مات متأثرا بوحشية الحكام البلجيكيين . . وتعذيبهم . .

ثم ظهرت جماعة « أباكو » وأعلنت فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٥٨ أنها لن تقبل غير الاستقلال . .

وفى ٤ يناير سنة ١٩٥٩ قامت بالكونغو ثورة دامية فى حى كالاماو فى القسم الأفريقى من ليوبولد فيل عاصمة « الكونغو » وأشعل الشعب النار فى ممتلكات الأوربيين ثم اندلعت الثورة إلى جميع أنحاء الكونغو .

وتقرر حل منظمة أباكو الوطنية .

وتم اعتقال زعماء الكونغو .

وقامت قوات الجيش بمداهمة السكان للعثور على العناصر الوطنية .

وانتقلت شرارة الثورة من العاصمة ليوبولد فيل إلى بقية أنحاء الكونغو .

ووقف فان همليك وزير شئون الكونغو فى الوزارة البلجيكية يقول فى البرلمان البلجيكى : «إننا على حافة الهاوية . . ولسنا بدون أخطاء وليس فى الإمكان أن ننتظر طويلا دون أن ننال العقاب قبل أن نوضح لسكان الكونغو نوايانا » .

وأذاع الملك بودوان: «أن عزمنا الثابت اليوم هو قيادة شعب الكنغو نحو الاستقلال بسلام وازدهار ، دون تأخير يضر ولكن أيضا دون عجلة غير مناسبة . . . وإذا لم نتردد فى الموافقة على مطالب السود فى الكونغو فإننا لا نستطيع السماح بتناسى أن بلجيكا قد حصلت خلال ثمانين عاما من الجهود والخدمات على حقوق لا ينازعها فيها أحد . .

وصرح الحاكم العام فى ليوبولدفيل بأنه يجب أن تخضع كل فرد لقرارات البرلمان البلجيكى والحكومة البلجيكية وسأقوم بتنفيذ ذلك بكل عزم وتصميم . .

واعتبرت بلجيكا ثورة الكونغو على الحكم البلجيكى إهانة لها حتى أنها سيرت من أجلها مظاهرات الاحتجاج فى بروكسل . . .

لقد كانت بلجيكا تفتخر دائما بأنها الدولة الاستعمارية الأولى التى تقضى بسهولة على الحركات الثورية التى تنشب فى الأراضى الخاضعة لسلطانها .

ولكن ثورة الكونغو الدامية ، وأصرار شعب الكونغو على الاستقلال . . الاستقلال الكامل قد هدمت كل آمال بلجيكا فى التربع على عرش الدولة الاستعمارية الأولى لقد راحت الأسطورة الكبرى . أسطورة ليوبولد الثانى الذى كان يتاجر باسم المسيحية — ويقضى على حريات الشعوب باسم المدنية .

ويتاجر فى الأفريقيين الوطنيين ، باسم الحضارة الأوربية . .

لقد استيقظ شعب الكونغو . .

* * *

وفى السودان الخاضع للحكم الفرنسى ، استخدمت فرنسا كل ما تستطيع من وسائل القهر والعنف والارهاق للقضاء على كل مقومات الشعب ولكن هذه الوسائل لم تنجح فقد بدأ الشعب فى إنشاء حركات وطنية توجه ضربات عنيفة إلى جسم الاستعمار الفرنسى وعلى رأس هذه الحركات كان على جللو رئيس وفد السودان

فى المؤتمر الأفريقى الآسيوى — المجمع « الديمقراطى الأفريقى » الذى جند الجماهير الشعبية ، من أكتوبر سنة ١٩٤٦ إلى سنة ١٩٥٠ نحو النضال فى سبيل الحرية والاستقلال . ولكن تحت الضغط الاستعمارى واضطهاده المتزايد انسحب الزعماء من الميدان ، وتخلوا عن النضال الثورى الذى اختاره الحزب منذ تأسيسه ، وسقط فى سبيل الدفاع عنه ضحايا كثيرون فى كل من أفريقيا الغربية والاستوائية ، فلم تجد فروع الحزب الثلاثة فى الكاميرون والسنغال والنيجر بدا من مواصلة النضال بمفردها ضد الاستعمار . وفى هذه السنة تطور الوعى الثورى داخل الجماهير الأفريقية تطورا ملموسا ، فنى يناير سنة ١٩٥٧ اجتمع عمال أفريقيا الغربية والاستوائية فى مؤتمر فى كوتونو وأسسوا « الاتحاد العام لعمال أفريقيا السوداء » الذى اتخذ قرارا مبدئيا هو النضال ضد الاستعمار . وفى شهر أغسطس اجتمعت منظمات الشبيبة فى أفريقيا الغربية والاستوائية فى ابدجان وكونوا « اتحاد مجلس شباب أفريقيا السوداء » القائم على مبدأ المطالبة بالاستقلال الوطنى وتكوين جمهورية من الاتحادين وفى أكتوبر انعقد فى باماكو مؤتمر « المجمع الديمقراطى الأفريقى » الذى كان بمثابة مظاهرة شعبية للمطالبة بالاستقلال وقد اضطر الزعماء الذين يتولون اليوم مناصب وزارية فى الحكومة الفرنسية نفسها ، أمام ضغط الجماهير الشعبية ، أن يوجهوا إلى فرنسا قرارا يطالبون فيه بالحكم الذاتى مع الاعتراف بحق تقرير المصير . وبعد هذا المؤتمر مباشرة تأسس فى السنغال « الحزب الأفريقى للاستقلال » الذى يتقدم بخطى أكيدة .

أن الطلبة الأفريقيين الذين كانوا دائما فى طليعة المناضلين فى سبيل الحرية والاستقلال قد اتخذوا فى مؤتمرهم بباريس قرارا يطالبون فيه بالكفاح الثورى ضد الاستعمار فى سبيل تحرر أفريقية .

وأصبحت — كما تقول صحيفة لوبوبولير الفرنسية — كلمة الاستقلال سحرية تحمل فى باطنها كل عجيب كما أن كلمة الوحدة الأفريقية قد أصبحت تتضخم على مر الأيام وتبعث فى النفوس ألوانا من الحماس والطموح والقوة المبتكرة . . .

تحررت غانا . .

تحررت غينيا . .

تحرر — إلى حد ما — الكمرون . . ونوجو . . .

أصبحت نيجريا فى الطريق إلى الاستقلال . .

واشتدت الحركات الوطنية فى موريتانيا وساحل العاج ، ونيجر ، ونساد وأفريقية الوسطى وجامبيا وسيرا ليونى ، وأنجولا . . وأصبحت الدول المتحررة ، تسمى للحرية والاستقلال . . . والحياد ، وأصبحت سياسة هذه الدول كلها كما صرح سيكوتورى رئيس حكومة غينيا فى ١٦/٥/ ٥٩ إذ « قال أننا عقدنا العزم على أن نكون أحرارا فى بلادنا وأن نحافظ على استقلالنا ولا يمكننا المحافظة على ذلك إلا إذا جعلنا قبلتنا الحياد الإيجابى بعيدين بذلك عن الصراع بين الكتلتين » .

«إن سياستنا واضحة وهى سياسة تنبع من أفريقية وتعمل من أجل أفريقية ... وأن السياسة التى ننتهجها على السياسة التى تتمشى مع إمكانياتنا وتهدف إلى المحافظة على كرامتنا ورفع مستوى تواطننا » .

« وإننا لانألوا جهدا فى استغلال خيرات بلادنا لمصلحة أبنائنا دون أن نحيد عن هذه السياسة الحكيمة قيد أنملة وقررنا أن نجعل رائدنا الوحدة الشاملة لجميع شعوب أفريقية قاطبه » .

إننا لانجهل أن الرأى العام العالمى والصحافة العالمية بوجه خاص تفسر سياستنا هذه بأنها سياسة تحيز وإننا متطرفون . . ولكن لو تدبروا الأمر لتبين لهم أنهم فى واد والحقيقة فى واد آخر .

إننا صممنا على أن تكون لنا علاقات مع الشرق والغرب وأن نتعاون نحن والجميع فى حدود المحافظة على سيادتنا واستقلالنا وإننا نرفض كل معونة مشروطة تقدم لنا» .

وأصبحت الأهداف الكبرى لشعوب هذه المنطقة كما أوضح نيكروما . . العمل على استعادة الأمجاد القديمة ، الأمجاد التى عرفتها أفريقية منذ مئات الالوف من السنين .. فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا غارقة فى بحار من الظلم . . والظلامة

قال نيكروما . .

« لقد استطاع أجدادنا منذ قرون طويلة أن يشيدوا إمبراطورية شامخة شيدوها قبل أن تكون لبريطانيا إية أهمية فى الوجود ، وقبل أن تتجمع قبائلها فى شعب واحد

وظلت هذه الإمبراطورية قائمة تظلها أجواء الحضارة من تمبكتو إلى بابا كو إلى شاطىء المحيط وكان بها كثير من العلماء والفقهاء يحوطهم الاحترام والتبجيل . .

إننا لانزهو بماضينا لأسباب شاعرية رومانتيكية وإنما لأنه مصدر الوحى والإلهام لما نتطلع إليه من حضارة ومكانة فى مستقبل الايام .

يضيف نيكروما إلى ما سبق فيقول : ارتكبنا وسوف نرتكب كثيراً من الاخطاء ولكنا سوف نجهد أنفسنا لنستفيد من أخطائنا ، ومن أخطاء غيرنا من الأمم والشعوب . وماسوف نرتكبه من خطأ إنما يعنينا وحدنا .. ومن حقنا نحن أن نتلمس له وجه الصواب . .

لقد أخذت الطبقة الافريقية من الرجال والنساء ، الذين حاربوا ويحاربون ببسالة منقطعة النظير وتحت ظروف قاهرة من التسلط والطغيان . . أخذت هذه الطليعة على نفسها مهمة تحرير القارة كلها من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب

فى جنوب أفريقيا

استعمار من لون غريب

إن شعب جنوب أفريقيا يعانى لونا من الاستعمار لم يكتب مثله على شعب غيره من شعوب الأرض ولكنه قد استيقظ ووعى وأقسم أن يظفر بحريته ..

ولا بد أن يظفر بحريته ...

جمال عبد الناصر

لم أجد على كثرة ما قرأت عن جنوب أفريقية ، وصفاً أبلغ ولا أروع لما يقاسيه أبناء جنوب أفريقية من وصف الرئيس جمال عبد الناصر إذ قال :

« بلاد كان يعيش فيها أهلها كما يعيش أهل كل وطن فى وطنهم .. ثم اكتشف أوروبى أفاق منذ قرون فى أرضهم خصبا وفى مناجمهم ذهبا فطمع فى غلة الأرض وفى ذهب المنجم وجاء بمحاريثه ومعاوله ومكاتله ليزرع ويحصد ، وتستنبط الثروة المعدنية من باطن بالأرض ــ ودافع الوطنيون عن وطنهم ما وسعهم الجهد حتى غلبوا فاستسلموا ــ ونزل المستعمر الأوروبى أرض أفريقية الجنوبية وزرع وحرث ، واقتنى الماشية وسار له فى البلاد دار وضيعة ومصنع .. ثم لحق به من لحق من أهله ، فزرعوا مثله وحرثوا ، واقتنوا واستنبطوا واتخذوا دوراً ، وضياعا ومصانع ..

ثم تتابعت أفواج المهاجرين من أهليهم ومن غير أهليهم منهم الهولنديون ومنهم البرتغاليون ، ومنهم الفرنسيون وأجناس شتى فعلوا فعل الذين سبقوهم وعاشوا فى تلك البلاد مثل عيشتهم واتخذوا الدور التى تأويهم فلم تلبث دورهم أن كثرت حتى صارت مدينة ثم ضاقت بهم المدينة فنشأ على غرار مدن .

كل ذلك والوطنيون من أهل البلاد ينظرون إلى هؤلاء الجيران الجدد فلا ينكرون من أمرهم شيئاً ؛ لأنهم لم يسلبوهم شيئاً فى أيديهم ؛ ولأن خير البلاد يتسع لهم ولجيرانهم الجدد جميعاً ...

ولم يلبث هؤلاء الجيران البيض أن زادوا عدداً ، وازدادوا غنى ، وصاروا فى حنوب أفريقيا « شعباً » من البيض ، يعيش فى وسط الملايين من ذوى البشرة السوداء !

هؤلاء الملايين من ذوى البشرة السوداء ، هم الوطنيون ، وهم أصحاب البلاد الحقيقيون . وهؤلاء الآلاف ، أو مئات الآلاف ، من البيض ، ليسوا إلا مهاجرين غرباء من هذه الأرض ، وعن هذا الوطن ، جاءوا إلى هذه البلاد ليعيشوا ، ويستغلوا ، لا ليتخذوا وطناً ينسون به أوطانهم ، ولا ليكونوا بها جنساً من البشر تنمحى فيه جنسياتهم ؛ فكيف ساغ لهم — ولم تمض على هجرتهم إلا سنوات — أن يزعموا

أنهم شعب فى وطن ، وأن هؤلاء الملايين من أصحاب البلاد هم الغرباء عن هذا الشعب وعن هذا الوطن ؟

ولكنهم كذلك زعموا ، وسموا أنفسهم شعباً ، وسموا ما تحت أرجلهم من الأرض وطناً ؛ وكل من عداهم من غير ذى البشرة البيضاء ليسوا من هذا الشعب ولا من هذا الوطن !

عبيد ؛ للعمل والمهنة يقيمون بين هؤلاء البيض ، لا بحق المواطنة !

لون غريب من الاستعمار ابتدعه « البوير » أول المهاجرين البيض إلى جنوب أفريقيا ...

ثم جاء دور بريطانيا حين وصل أول أفاق إنجليزى أبيض إلى تلك البلاد ، ليعيش ويستغل ويستوطن كما استوطن الذين سبقوه من البيض ؛ ثم تبعته الجيوش البريطانية لتستغل وتستوطن وتستعمر فى الوقت نفسه . .

وقال « البوير » المستوطنون البيض فى جنوب أفريقيا : هذا وطننا ، ولا بد أن ندافع عن وطننا !

ونشبت الحرب بين الإنجليز والبوير ، وكان للعبيد دور فى المعركة ؛ لأن الإنجليز لوّحوا للعبيد بصك الحرية ...

وانتصرت بريطانيا ، ولكن العبيد ظلوا عبيداً ...

وصار « اتحاد جنوب أفريقيا منذ اليوم » جزءاً من الممتلكات البريطانية المستقلة له حكومة ، وله برلمان ، ووراء البرلمان أحزاب ؛ ولكن لا تلك الحكومة ، ولا ذلك البرلمان ، ولا تلك الأحزاب ، فيها أفريقى واحد من ذوى البشرة السوداء ؛ لأن ذوى البشرة السوداء جميعاً ، عبيد لا مواطنون ، برغم صدور القوانين بتحرير العبيد ...

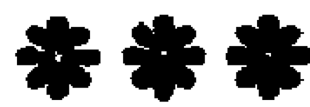
كل ذى بشرة سوداء فى جنوب أفريقيا ، عبد ؛ عليه كل واجبات العبد لسيده ، أو لسادته ، وليس له حق واحد من حقوق الوطنيين ؛ لأن الوطنيين هم البيض !

وتسقط الحكومات فى اتحاد جنوب أفريقيا وتقوم حكومات غيرها ، وتنحل البرلمانات وتنتخب برلمانات جديدة ، وتخوض الأحزاب معارك الانتخاب وتخرج منها ظافرة أو مخذولة ، وذوو البشرة السوداء ينظرون من بعيد ولا يشاركون فى معركة ، ولا يصوتون فى انتخاب ، ولا يرشحون منهم نائباً ، ولا شيخاً ، ولا وزيراً ؛ لأنهم غرباء فى ذلك الوطن ، والغرباء لا يباح لهم أن يشاركوا فى معارك الحكم ، ولا أن يصوتوا فى الانتخاب ، ولا أن يرشحوا أحدا منهم للنيابة أو الوزارة ! ...

البوير يصفون الإنجليز بأنهم مستعمرون غاصبون ، لأنهم غصبوا « وطنهم » !
والإنجليز يتهمون البوير بأنهم أنانيون متعصبون ؛ لأنهم يريدون جنوب أفريقيا لهم دون الإنجليز !

وتدور المعارك حول هذه القضية بين هؤلاء وأولئك ، ويشتد الجدل بين البيض بعضهم يؤيد هؤلاء وبعضهم يؤيد أولئك ، ولا يخطر ببال أحد من هؤلاء ولا من غيرهم ، أن صاحب الوطن ليس هو البوير ، لأن البوير مهاجرون محدثون إلى أرض لم يكن يعيش فيها آباؤهم ، وليس هو الإنجليز ، لأنهم مهاجرون أحدث من البوير ، وإنما صاحب الوطن الحقيقى هو هذا الشعب الأسود المنبوذ وراء أسوار المدن الصناعية فى المنازل التى صنعها له البيض !

إن شعب جنوب أفريقيا يعانى لونا من الاستعمار لم يكتب مثله على شعب غيره من شعوب الأرض ، ولكنه قد استيقظ ووعى ، وأقسم أن يظفر بحريته ، ولا بد أن يظفر بحريته !



ويفصل السيد تنيسون ماكيواتى عضو المجلس القومى لجنوب أفريقية بعض ما يلاقيه أبناء جنوب أفريقية من التفرقة العنصرية فيقول : لقد أخذ لغزاة البيض يلجأون إلى الخيانة وكل ضروب الخدع الدنيئة للاستيلاء عن البلاد .

وكان من أساليبهم دعوة زعماء القبائل إلى حفلات تدار فيها أكواب النبيذ حتى إذا مالعبت الخمر برءوس أولئك الزعماء ، استدرجوا للتوقيع على عقود يعترفون فيها ببيع جزء من أراضى القبيلة إلى الغرباء . وما من شك فى أن هذه العقود تعتبر زائفة لأن

التقاليد والعادات فى بلادنا لا تسمح بانتقال الأرض من مالك إلى آخر بحال من الأحوال .

وكان هؤلاء المهاجرون يدعون فريقاً من المبشرين للقدوم إلى بلادنا ليساعدوهم فى أعمال الغش والخداع والسرقة . ولا يزال شيوخنا الطاعنون فى السن من الفلاحين إلى اليوم يشيرون بسبابتهم إلى أولئك المبشرين كأنهم يتهمونهم ، قائلين « لقد أوصونا بأن نغمض عيوننا أثناء الصلاة . . . وما أن فتحناها حتى كانت أراضينا قد سلبت منا » .

وعند ما احتدم النزاع والصدام علناً بيننا وبين أولئك المغتصبين كانت الغلبة لمدفعهم الذى يتفوق كثيراً على أسلحتنا البدائية . أضف إلى ذلك أنهم عرفوا كيف يستغلون إلى أقصى حدود الاستغلال ما كان يقوم بين مختلف القبائل من خصومات ومنازعات .

ولقد بلغ عدد الاشتباكات المسلحة لاغتصاب أراضينا نحواً من اثنتى عشرة موقعة . ومهما يكن من أمر فإن استعمار الشعوب الأفريقية لم يبدأ بصورة جدية إلا خلال الفترة المعروفة « بالزحف على أفريقيا » وخاصة عقب اكتشاف الماس والذهب فى جنوب أفريقيا فى النصف الأخير من القرن الماضى .

وقرر الإنكليز أن يحطموا شوكة الهولنديين ، فدحروهم فى حرب البوير التى اندلعت نيرانها فى نهاية القرن الماضى ، واحتلوا جميع الجمهوريات البويرية .

على أن الحرب سرعان ما وضعت أوزارها وخلد البيض إلى تسوية منازعاتهم وحل مشاكلهم الجوهرية وفى مقدمتها البحث عن أحسن وسيلة لاستغلال الثروة الجديدة التى عثروا عليها . وأهم ما ينقصهم ـ للمضى فى هذا الاستغلال ـ هو الأيدى العاملة . وأكثر ما يمكن من الأيدى العاملة .

وكان من الجلى الواضح أن أحداً من الأفريقيين لن يتقدم للعمل تحت إمرة المستعمرين ولصالحهم ، طالما أن له أرضاً يمتلكها ويعيش من غلتها . بيد أن هذه العقبة سرعان ما ذللها المستعمر . فى عام ١٩١٠ تكون الاتحاد الذى ضم مناطق

جنوب أفريقيا الأربع وكانت النتيجة المرجوة من تكوين هذا الاتحاد هو وضع خطة تستهدف الحصول على أكبر عـدد من الأيدى العاملة بأرخص الأجور ، فهداهم التفكير إلى إجلاء الأفريقيين من الأراضى التى يمتلكونها ويعيشون من غلتها .

لم يكد النواب يأخذون مقاعدهم فى برلمان الاتحاد الجديد حتى أصدروا تشريعات عاجلة ترمى إلى سلب الأفريقيين أراضيهم .

على أن رد الأفريقيين على هذه المناورة كان سريعاً فقد عقد زعماء القبائل اجتماعاً قرروا فيه أن يتناسوا خصوماتهم ومنازعاتهم وأن يتكتلوا للدفاع عن أنفسهم كأمة واحدة . فكان هذا اليوم مولد الوطنية فى جنوب أفريقيا ، وتبع هذا تأسيس منظمة قومية هى « المجلس القومى » .

وسرعان ما وجد المجلس الجديد نفسه مضطراً إلى الصمود فى وجه قانون الأراضى الذى سنه البرلمان الجديد متحدياً به الشعب الأفريقى . فهذا القانون قد ألغى حقوق الإفريقيين فى تملك شىء من الأراضى سوى المنطقة المعروفة « بالاحتياطى » والتى لا تزيد مساحتها على ١٣٪ من مجموع مساحة الأراضى .

والواقع أن هـذه المنطقة أنشئت لتكون مستودعاً للأيدى العاملة الرخيصة ، يعبأ منها الافريقيون للعمل فى المناجم وفى المزارع .

وكان الافريقيون فى تلك الأيام ما يزالون يتجهون بأنظارهم نحو العرش البريطانى لحمايتهم فأرسل وفدان يمثلان المجلس القومى إلى لندن أولها فى ١٩١٤ وثانيهما فى ١٩١٩ لمطالبة البرلمان البريطانى بإلغاء قانون الأراضى . ولكن الوفدان عادا بالخيبة صفر الأيدى .

وبعد محاولات عديدة فاشلة أعقبها الشعور بمرارة الخيبة واليأس استقر العزم على التخلى عن هذه الوسائل غير المجدية ، وسائل إرسال الوفود إلى الحكومات القابضة على أعناق الأمور والاكتفاء بالاعتماد على النفس فى قضية الكفاح القومى من أجل الحرية والاستقلال .

وغنى عن البيان أن الجيل المكافح فى الوقت الحاضر يدين بالشىء الكثير لذلك

الرعيل الأول من المجاهدين الذين غرسوا قواعد المجلس الافريقى القوى . فهم أول من ثاروا على النظام القبلى فطعنوه الطعنة النجلاء التى قضت عليه وعلى تفكك العلائق والروابط وأحلوا محله صرح الوحدة القومية وبعث طبقة أفريقية عاملة .

كان اتحاد جنوب أفريقيا فى ذلك الوقت ماضياً فى حركة تصنيع سريعة حتى أنه ليعتبر اليوم فى عدد البلاد العالية التصنيع فى القارة الأفريقية .

أضف إلى ذلك أنه قطر غنى التربة تحتوى على مناجم للذهب والماس والفحم والنحاس والقصدير والفضة والاسبستوس والمانجانيز واليورانيوم .

أما منتجاته فكثيرة متنوعة ومناخه ما بين معتدل وحار .

ويعتمد التصنيع أكثر ما يعتمد ، على المناجم والمنتجات الزراعية . وحركة التصنيع فى هذين الميدانين تعتمد بدورها على تشغيل عمال من المهاجرين الأصحاء يبعثون من منطقة الأراضى الاحتياطية التى سبق الإشارة إليها . والعمل لفترة تتراوح بين ٦ إلى ٩ شهور بمقتضى عقود خاصة ثم يردون إلى مساكنهم .

ولما كان إنتاج المناجم يبلغ سنوياً ما تعادل قيمته ٣٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه فقد راعت حكومة اتحاد جنوب أفريقيا فى كل ما تشرعه من قوانين أن تضمن استمرار الحصول على العمال بصورة منتظمة للمناجم والمزارع .

وفى خلال الحرب العالمية الثانية تقدمت الصناعات الثانوية فى القطر تقدماً محسوسا فجيء عدد كبير من الأوربيين إلى جانب العمال الافريقيين ، على أن العمال الأوربيين انتهزوا فرصة التفرقة العنصرية فاحتفظوا لأنفسهم بمناصب ممتازة على حساب زملائهم السود .

وفى عام ١٩٢٢ ثار العمال البيض ثورة عنيفة ضد فكرة السماح للسود فى مزاولة الأعمال التى تتطلب جانباً من المهارة . واتخذوا لهم شعاراً سخيفاً نادوا به فى طول البلاد وعرضها وهو « تضامنوا أيها العمال البيض فى العالم لإيجاد اتحاد أبيض لجنوب أفريقيا » .

وهكذا ضاعت كل فرصة للقضاء على مبدأ التفرقة العنصرية وعلى الحركة التى كانت ترمى إلى إيجاد جالية متعددة الأجناس .

واستغلت الحكومة هذا الظرف فخصصت كثيراً من الأعمال التى تتطلب المهارة للأوربيين وحدهم .

وكان من البديهى ومن المنطقى أيضاً أن تتكتل عناصر غير البيضاء لمواجهة العدو الأبيض المشترك ، وأن يتضامن بعضها مع بعض ويوحدوا صفوفهم . ولم يكن هذا بالأمر اليسير . فالجاليات الملونة كانت تمنح بضعة امتيازات تجعلها أعلا من الافريقيين مرتبة . لذلك تميل إلى مؤازرة العم الأبيض أكثر من مؤازرة العمات السوداوات .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الهنود كان لهم طبع يخالف طبع الافريقيين ومجتمع مغاير لمجتمع السود نشأة وثقافة .

هاجر الهنود إلى جنوب أفريقيا أول ما هاجروا عام ١٨٦٠ ليعملوا كأجراء فى مزارع القصب ولكنهم سرعان ما أسسوا لأنفسهم نشاطاً تجارياً بمجرد انتهاء عقودهم التى استقدموا من بلادهم بمقتضاها .

وعند ما طبق الأوربيون عليهم مبدأ التفرقة العنصرية ثاروا فى وجه العنصر الأبيض إلا أنهم لم يتضامنوا فى ثورتهم هذه مع أبناء البلاد من الافريقيين .

وكان منشىء المجلس الهندى فى أفريقيا هو « المهاتما غاندى » وقد كان من بين المقيمين فى جنوب أفريقيا فى ذلك الوقت . .

ولكن فى عام ١٩٤٦ عقد المجلسان الأفريقى والهندى ميثاقاً بينهما لتنسيق التعاون فى كل ما يتصل بمصالحهما المشتركة . وفى السنوات الأخيرة انضم إلى هذين المجلسين الأفريقى والهندى بضع منظمات من العناصر الأوربية التقدمية ووضعوا لهم برنامجاً للعمل المشترك يتلخص فى البنود الآتية :

١ — الشعب هو الذى يحكم نفسه بنفسه .

٢ — يتساوى جميع الجاليات القومية فى الحقوق

٣ — يشترك الشعب فى الانتفاع بثروة البلاد .

٤ — توزع الأراضى على الذين يفلحونها .

٥ — يتساوى جميع الناس أمام القانون .

٦ — يتساوى جميع الناس فى التمتع بحقوق الإنسان .

٧ — لكل فرد أن يعمل فى أمن وسلام .

٨ — تفتح أبواب التعليم والثقافة للجميع .

٩ — إيجاد المساكن والأمن والراحة للجميع .

١٠ — توطيد أواصر المحبة والسلام بين الجميع .

سيطر الإنجليز على الاتحاد منذ تكوينه ، ولكن حزب الافريكاندرز أى البرير أسقطوهم فجأة عام ١٩٤٨ وقبض زعيم الحزب الوطنى الدكتور مالان على زمام الحكم .

وباستلام هذا الأخير زمام الحكم اكتسحت البلاد موجة من التفرقة العنصرية والفوضى فى أبشع مظاهره فراح البيض يزعمون بأنهم أرقى من السود رتبة فى سلم السلالة البشرية وأنهم أسياد البلاد فمن حقهم السيطرة عليه إلى الأبد . فكان مما أثاروا به المنتخبين أتريدون أن تتزوج شقيقاتكم من رجال سود ؟ أترضون بهذا ؟ »

وبهذا اكتسح الحزب الوطنى الانتخابات ، وبدا عهده قمع واضطهاد لجميع الجاليات من غير البيض

وسنت طائفة من القوانين مثل قانون مناطق السكن وهو الذى يلزم كل من ليس من الجنس الأبيض بأن يقيم بعيداً عن المدن بمسافة لا تقل عن خمسة عشر ميلا . ولقد كان من نتيجة سريان أحكام هذا القانون أن أجلى الأفريقيون والهنود عن مساكنهم قهراً إلى الكهوف والمغاور . . ولقد صرح أحد الأفريقين ممن أرغموا على إخلاء سكنهم العصرى فى المحكمة بأن السكن الذى نقل اليه لا تتوافر فيه أسباب

الراحة . وأنه لايوجد به حمام أصلا ، فقيل له أن الأفريقيين ليسوا فى حاجة إلى استعمال حمام .

ولقد نفذت أحكام هذه القوانين الناشئة بقسوة تقشعر لها الألباب ، ومنها قانون بطاقة المرور الذى يفرض على كل رجل أفريقى أن يحمل معه بطاقة مرور يبرزها للشرطة عند الطلب ، وإلا زج به إلى أعماق السجون . وتوضح بطاقة المرور مكان عملك والجهة التى سمح لك بالإقامة فيها وما إلى ذلك من البيانات .

وما هذه البطاقات فى الواقع إلا أداة تمهد للسلطات وسيلة للتحكم فى الأيدى العاملة وتوجيهها حيث شاءت سواء إلى المناجم أو المزارع .

لذلك يقوم رجال البوليس بمهاجمة العمال السود فى منازلهم للتحقق من وجود هذه البطاقات معهم ، ومن أنهم يقيمون ويعملون وفقاً للجهات الموضحة بها والرجل الذى يفصل من عمله أو يفشل فى إيجاد عمل جديد فى بحر مدة معينة يؤمر بالذهاب إلى العمل فى المزارع حتى ولو كان محل إقامته وإقامة أسرته فى المدينة . .

أجل لقد فرض الحزب الوطنى مبدأ التفرقة العنصرية ووطد دعائمه بأبشع الوسائل وأفظعها وفى جميع الميادين . فحرم الأفريقيين والذين ليسوا من العنصر الأبيض حتى من التمثيل غير المباشر وأصبحت تمثلهم وتمثل مصالحهم حفنة من الأوربيين . هذا فى الميدان السياسى . . أما فى الميدان الثقافى فقد حرم السود من دخول الجامعات .

أجل . . إن للبيض جميع متع الحياة ، ولـكن ليس من حق السود أن يكون لهم شىء منها .

واستخدم الحزب الوطنى « وهو حزب البيض » كل مالديه من نفوذ فى حمل البرلمان على سن قوانين تستهدف خنق الأحزاب الأفريقية السياسية ونشاط النقابات العمالية ، فرفض السماح لهذه النقابات بحق تسجيل نقاباتهم ، كما اعتبر الاضراب من ناحية العمال عملا غير مشروع . وهناك قانون آخر يسمى « قانون قمع الشيوعية » وهو قانون يفترض وجود نوع من الشيوعية ، غير النوع الدولى المعروف .

وطبقاً لهذا القانون يعتبر شيوعياً كل شخص يحاول أن يسعى لقلب أو تغيير

النظم السائدة — سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية — بطرق مخالفة لما نص عليه الدستور .

وهذه النزعة الجامحة الفاشية الصريحة كانت نقطة التحول والإشارة لأهل البلاد ، من غير البيض ، للمقاومة .

وفى أول مايو ١٩٥٠ أعلن الاضراب القومى لمدة يوم واحد ، وكان رد البوليس على هذا الإضراب السلمى قتل عشرات من الأفريقيين الأبرياء لتخلفهم عن العمل فى هذا اليوم . وقرر المجلسان القوميان الأفريقى والهندى أمام هذا الإجرام السافر الإضراب يوما كاملا حزناً على القتلى ، وكان اليوم الذى وقع عليه الإختيار يوم ٢٩ يونيو من نفس العام .

ومن هذا ظهر جلياً أن الشعب كان قد قرر العمل من أجل استرداد حقوقه .
وفى نهاية ١٩٥١ ، قرر المجلسان القوميان الأفريقى والهندى إعلان العصيان المدنى والمطالبة بإلغاء بعض قوانين معينة لما فيها من إجحاف بحقوقه . .

ولم تكن المقاومة السلمية سلاحاً جديداً على جنوب أفريقيا فى ذلك العهد ، فقديماً شهره « المهاتما غاندى » عندما تزعم الحركة « المقاومة السليمة الجدية » فى وجه حكومة جنوب أفريقيا ومستهل القرن الذى نعيش فيه .

على أن الذين قاموا بحركة العصيان المدنى فى عام ١٩٥٢ رفضوا أن يضفوا عليها ذلك اللون الدينى الذى أضفاه غاندى على حركته ، وعرفت الحركة باسم «حركة التحدى» .

وفى ٢٦ يونيو ١٩٥٢ تحدت فرق من المتطوعين الأفريقيين قوانين التمييز العنصرى فالقى البوليس القبض عليهم . وعندما نودى بوقف الحملة كان الذين زج بهم فى أعماق السجون سنة ١٩٥٣ نيفاً وثمانية آلاف شخص .

وهكذا تبين للناس أن مثل هذه الخطة فى المقاومة لاتنجح إلا إلى حد معلوم فكانت الحكومة تتعمد إثارة حفيظة المقاومين السلميين لتدفعهم إلى استخدام وسائل العنف حتى أنه وقعت فى ثلاث مدن حركات تمردية نتيجة إثارة البوليس ، وقد حدث أن أطلق البوليس النيران على المصلين فى اجتماع عقدوه بشرق إندن كما قتل البوليس

بالرصاص رجلا أفريقيا أثناء رقاده على الأرض فى مدينة « بورت اليزبت » فخرج الناس عن أطوارهم وأثارهم هذا الظلم الفظيع إلى أقصى حدود الغضب .

أضف إلى ذلك أن الحكومة سنت قوانين تنص على الحكم بأحكام قاسية على كل من يسهم فى حركة التحدى فكان من تثبت له الاشتراك فى حملة التحدى يعاقب بالسجن ثلاث سنوات وبغرامة ٥٠٠ جنيه أو بعشر جلدات أو بجميع هذه العقوبات معا .

فكان بديهيا أمام هذه الظروف الجديدة أن يتطلب الموقف وسائل أخرى من وسائل الصراع والكفاح ، وقد اكتسبت حركة التحرير القومى من تحدى الحكومة دروسا قيمة ، أهمها الاعتماد على ذلك السلاح الفعال . . سلاح تكتل الجماهير .

وكان من نتائج هذه الحملة أيضا أيضا أن ظهرت ثغرة ملموسة محسوسة فى حصون المعسكر الأبيض ، إذ نشأ حزبان جديدان من الاحزاب الأوروبية أحدهما حزب الاتحاد . والثانى حزب الاحرار ، وقد أصر كلاهما على أن تمنح الجاليات الملونة والسوداء بعض الحقوق السياسية .

وقد طالب حزب الاحرار الذى لم يكن له كبير نفوذ بين الجاليات الاوروبية على مبدأ التمييز العنصرى وكان أبطال هذه المهاجمة بعض الاساقفة وأساتذة الجامعة ، وكان من بين حركات المقاومة التى قام بها المجلس الافريقى القومى منذ بدئه حملة التحدى تلك المقاطعات لسيارات الاوتوبيس التى أعلنها عام ١٩٥٧ احتجاجا على رفع أجور الركوب وقد انتهت هذه الحملة بانتصار الشعب على السلطات الحكومية .

ومن حركات الكفاح الهامة أيضا مقاومة النساء الافريقيات بشجاعة قوية لنظام المرور الذى طبق عليهن أسوة بالرجال . فنظمت النساء عديدا من المظاهرات حتى أن عدد اللواتى ألقى القبض عليهن نيفا وألفى امرأة .

وكثيراً ماتساءل بعض الاصدقاء فى خارج جنوب أفريقية عن مصير المشكلة العنصرية وكيف السبيل إلى حلها . .

إن حركتنا حركة المجلس القومى تستهدف إقامة حكم ديمقراطى يشمل جميع

الاجناس المقيمين بجنوب أفريقية حيث يستمتع كل المواطنين بحقوق متساوية بغض النظر عن الجنس أو اللون أو الدين أو العقيدة .

إننا منتصرون فى النهاية مامن شك فى ذلك لان جنوب أفريقية أو على الاصح حكومتها الجائرة تسير على سياسة التفرقة (التميز العنصرى ، ورغم استهجان العالم أجمع لسياستها الظالمة . ثم كيف يمكن لجنوب أفريقية أن تبقى معقلا للبيض كالجزيرة منعزلة وسط عباب متلاطم الامواج يغلى بالقومية السوداء فى القارة الافريقية .

ثم يتساءل الاصدقاء بعد ذلك عما إذا كان حل الكلمة سيكون عن طريق السلمية أو بحل من العنف وسفك الدماء .

ويقوم نيسيود فالبوانى بالرد عن السؤال قائلا : إن الإجابة تتوقف على تصرف البيض فى جنوب أفريقية فإذا ما أخفقوا فى تغيير السياسة التى يسيرون عليها اليوم فإن النتائج الخطيرة التى سوف تترتب على الاسترسال فى الغى والطغيان إنما نقع مسئوليتها على رءوسهم وحدهم . .

وانفجر البركان فى جنوب أفريقية .

انفجر فى أغسطس سنة ١٩٥٩

ثم انفجر فى مارس سنة ١٩٦٠

وما يزال الانفجار مستمراً . .

وسيظل هذا الإنفجار قائما إلى أن تصبح الأمور فى جنوب أفريقية فى صالح الشعب .. غالبية الشعب

لقد كانت بريطانيا تفخر دائماً بأن جنوب أفريقية لايعرف الثورة على بريطانيا لأنه جزء من بريطانيا

وكانت بريطانيا تتباهى دائما بأن جنوب أفريقية لايمكن أن يثور على الاستعمار ، لأنه — وهو يمثل البيض — يستعمر ماحوله — وكانت بريطانيا تؤكد أن جنوب أفريقية أكثر تمسكا بالسياسة البريطانية ،والأهداف البريطانية ، والمطامع البريطانية من بريطانيا ذاتها .

ثم ظهر أن آمال بريطانيا ، وآمال جنوب بريطانيا .. أقصد جنوب أفريقية ، لم تكن سوى قصور بنيت على الرمال .. أو بنيت فى الهواء . . أو على الماء

لقد تحرك شعب جنوب أفريقية

تحرك المارد الأسود فى جنوب القارة الملتهبة .

أبى الأفريقيون فى جنوب أفريقية إلا أن يشترك فى المعركة الكبرى مع شمال القارة وشرقها . وغربها ووسطها -معركة تحرير القارة لتكون أفريقية ملكاً للأفريقيين .. ولتكون أمور أفريقية دائما وأبداً بأيدى الأفريقيين .

لقد شهد جنوب أفريقية من مظاهر الثورة ومن صور البطولة مالم يره العالم من قبل مظاهرات للنساء ، فى مدن أفريقية الجنوبية ،واعتقالات بالآلاف لهؤلاء النسوة ، ومحاكمات لأكثر من الف امرأة . .

عشرات الألوف من العمال والفلاحين يتركون مصانعهم ، وأرضهم للثورة ضد الرجل الأبيض المستعمر والمحتكر . .

ولم تتخذ ثورة ، جنوب أفريقية لونا خاصاً .. لم تكن طائفية ، ولم تكن مذهبية ، ولم تكن ضد الرجل الأبيض ، وإنما كانت ضد سياسة الرجل الأبيض ،

ورحبت الاقلية الخائفة الفزعة ، كما قالت التايمز البريطانية فى ٦٠/٣/٢٢ بأعمال القبض وغيرها من الدلائل عن قوة الحكومة .

ولكن متى كانت أعمال القبض والاعتقال والسجن ، وغيره من الوسائل التى يلجأ اليها الاستعمار كافية لإماتة الروح الوطنية . . لقد زادت النار اشتعالا .

سالت الدماء وحدث كما قالت التايمز البريطانية ــ تطور آخر ، أسوأ فى دولة الاتحاد السيئة .

لقد اقترب الأحرار من النهاية . . نهاية الاستعمار والمستعمرين . .

نهاية الرجل الأبيض فى القارة الملتهبة

مؤامرات جديدة على أفريقيا

لخطوة أولى لابد من أن تتحد كينيا ، وأوغندا وتنجانيقا .. ليتكون منها اتحاد أفريقية الشرقية · وتتحد بنياسالاند ، وروديسيا الشمالية ، وروديسيا الجنوبية فيتكون منها اتحاد وسط أفريقيـة . أما مستعمرات أفريقية الغربية الأربع فيتكون منها اتحاد غرب أفريقية ثم تأتى الخطوة التالية وهى اتحاد هذه الاتحادات الثلاثة مع اتحاد جنوب أفريقية وبمضى الوقت بعد نجاح ذلك الاتحاد تضم إلى الاتحاد المناطق الفرنسية والبلجيكية ، والبرتغالية ليتكون من الجميع ولايات متحدة أفريقية تـكون حزاماً أفريقياً .

لفتانت جنرال هـ . ج . مارتن

تعمدت فى الفصول السابقة من هذا الكتاب أن أطيل فى الاستشهاد بالمصادر الإنجليزية والفرنسية والأمريكية ، تلك التى تدعى أن لها مكاناً ممتازاً فى القارة الافريقية

وتعمدت أيضاً أن أطيل فى النقل ، عن المصادر المحايدة التى تتخذ موقفاً محايداً فى الصراع الناشىء اليوم حول القارة الأفريقية .

وتعمدت مرة ثالثة أن أطيل فى الاقتباس عن المصادر الأفريقية فيما يتعلق بشئونها الخاصة . لأنها أدرى بما تقاسيه وما تعانيه من الاستعمار وأذنابه ، وأبادر فأقول إن عمليات الاستشهاد ، والنقل ، والاقتباس لم تكن سهلة ميسورة ، بل كانت شاقة ومتعبة .. لقد كان على أن أدرس كل مصدر ، وأعرف اتجاهاته ، وميوله ، وأهدافه .

وكان على أن أبحث عن المصادر المختلفة ، المتباينة ، لأتعرف على شتى الميول والاتجاهات والأهداف وكان على أن أقف موقف المؤرخ النصف لا أتحيز لهذا المصدر أو ذاك . بل أكتفى بأمانة النقل ، لا تحريف فيه فى النقل ولا تبديل .

والفصول السابقة بالرغم من كثرتها ، وطولها ليست فى رأيى إلا مقدمات لهذا الفصل وماسيليه من فصول وأقصى أمانى أن أكون قد وفقت فى سرد المقدمات بصراحة وأمانة ودقة ، وذلك كى تكون النتائج سليمة وصحيحة .

وأبادر فأقول إن أولى هذه المقدمات التى وصلت إليها أن القارة الأفريقية قد أوشكت أن تحقق الانتصار الكامل على الاستعمار وأذنابه وعملائه .

لقد وصلت القارة الأفريقية إلى نقطة قريبة من الهدف ، ولم يبق لها لكى تقضى على الرجل الأبيض وعلى نفوذ الرجل الأبيض ، إلا خطوات قصيرة وثابتة .

ويرى ا . ب كانتجارا فى جريدة سيلان دى نيوز (فبراير سنة ١٩٦٠) إن جميع الشعوب الأفريقية قد أصبحت تتلاقى عند الوحدة وطرد الاستعمار ، والقضاء على آثاره ونفوذه . إن هذه الشعوب تتكلم بصوت واحد ، هو صوت الوحدة الأفريقية الشاملة والوحدة الأفريقية، ليست بأيدلوجية توجه قائمة بذاتها تعيش فى عقل فرد بعينه وقد رسخت ونبتت جذورها . فهى قد تطورت طيلة الخمسين سنة الأخيرة مع تطور القومية الأفريقية وتأصلت فى القومية الأفريقية ، وأخذت تواجه مشكلاتها ، ويعدد الكاتب الملامح

الحقيقية للآراء ، والمعتقدات التي ينادى بها زعماء الحركات القومية فى أرجاء أفريقية ، ثم إنها تتمثل فى فكرة عدم الانحياز ونبذ الشيوعية والاحتكار الرأسمالى واتباع أسلوب العصيان الدنىء .

وأكدت صحيفة الأوبزرفر البريطانية الأسبوعية ، فى ١٩٦٠/١/٣ أن عصر سيادة أوروبا على أفريقية — بعد أن دامت تلك السيادة ٣٠٠ عام — أوشك أن يزول . وأن الاستعمار قد ترك لخلفته — القومية الأفريقية — قوة متعصبة لاترضى إلا بالاستقلال الكامل ، وقد أكدت الصحيفة أن حرية الدول المستقلة لم تأت إلى الوجود تلقائياً ، وإنما نشأت عن طريق التأميم وإشاعة الاضطرابات الخطيرة فى المناطق التى كانت مستعمرة نسبياً منذ موافقة الدول الاستعمارية على تقسيم أفريقية بينها فى مؤتمر برلين عام ١٨٨٥ . وأن فى أفريقية بشرية معذبة . وإحساساً حاداً بالضيق والألم .

وتؤكد صحيفة السياسة الدولية اليوغوسلافية أن عام ١٩٦٠ سيكون بالنسبة لأفريقية ، عام تحول كبير . إن هذا العام سيدخل التاريخ على أنه ربيع الشعوب الأفريقية . وأن العالم الخارجى خلال هذا العام سيكتشف أفريقية من جديد . إنه سيطلع على وجه القارة الجديدة .

ليس هناك أى شك ممكن فى أن عام ١٩٦٠ سيكون بالنسبة لأفريقيا عام تحول كبير ، إن هذا العام سيدخل التاريخ على أنه ربيع الشعوب الأفريقية ، وأن العالم الخارجى ، خلال هذا العام ، سيكتشف أفريقيا من جديد . إنه سيطلع على وجه هذه القارة الجديدة .

إن العالم الخارجى قد اكتشف فى عدة مناسبات « القارة السوداء » الغامضة . اكتشفها أولا — منذ زمن بعيد — كمصدر لثراء تجار البحر المتوسط الذين نجحوا بمقايضة منتجات عمال مدنهم بالذهب والتوابل ، على شواطىء القارة . وفيما بعد ، فى القرن السادس عشر ، اكتشفت أفريقيا كنبع لاينفذ لليد العاملة الرخيصة وفى القرن التاسع عشر اكتشفت البلدان الصناعية المتطورة أفريقيا كمصدر للمواد الأولية الثمينة وكمنطقة مفيدة جداً لتشغيل رؤوس أموالها ، واليوم يكتشف العالم الخارجى وجه أفريقية الجديد ، إنه يكتشف أفريقيا كقارة تسكنها شعوب لها إرادتها الخاصة ،

مستعددة لتحقيق حياتها على تلك القارة ، وقادرة على تنظيم حياتها كما تشاء . إن أفريقيا ، بكشفها عن هذا الوجه ، لم تعد مجرد موضوع لنشاط الأجنبي ورغباته ومطامعه . لقد أصبحت عاملا إيجابياً فى أحداث ذلك القطاع ، وعاملا فى الأحداث الدولية على الصعيد العالمى .

إن هذا التبدل فى توزيع القوى فى الحلبة العالمية ، أى ظهور قوة جديدة مستقلة، قد أصبح محسوساً جداً فى العالم ، وسيزداد قوة فى السنوات القادمة . إن العالم ، فى كل أرجائه ، بدأ يهتم بالعامل الدولى الجديد الذى تمثله أفريقيا الصاعدة . وهذا الاهتمام ليس اهتماماً فقط بالثروات الطبيعية الأفريقية — كما فى الماضى — بل اهتماماً أيضاً بالشعوب الأفريقية وبمشاعرها. لقد صرح ماكيلان عند زيارته الأخيرة لأفريقيا:

«إذا أعجبنا ذلك أم لم يعجبنا ، فإن يقظة الوعى القومى الأفريقى هى حقيقة سياسية يجب أن تأخذها سياستنا القومية بعين الاعتبار . إننا نرفض الآن كل فكرة تنادى بتفوق عرق على عرق » إن هذه العبارات التى فاه بها رئيس حكومة لبلاد كانت المستعمر الرئيسى لأفريقيا ، تدل جيداً على درجة الاحترام الذى تحدث أفريقيا فى تحقيقه لنفسها فى الأعوام الاخيرة . إن وزنها الخاص قد أصبح محسوساً فى الاحداث الدولية . وهو يظهر بوضوح فى دور ممثلى البلدان الافريقية المستقلة فى الامم المتحدة وفى المؤتمرات الدولية الاخرى .

إن الشعوب الافريقيـة ، كشعوب مستعمرة — بالفتح — ونصف مستعمرة ومتخلفة اقتصادياً لايمكن أن تكون ، فى الاحداث العالمية ، إلا عاملا إيجابياً وتقدمياً إنها ، بنضالها من أجل استقلالها وتطورها الاقتصادى الذى لايمكن أن يتم إلا بالقضاء على العلاقات الاستعمارية وعلى العلاقات الاقتصادية غير المتساوية بشكل عام ، تشكل فى الوقت نفسه عاملا يعمل على تقدم العلاقات الدولية فى اتجاه ديمقراطى ، وفى اتجاه مساواة سياسية واقتصادية متعاظمة باستمرار بين جميع الشعوب .

إن الشعوب الأفريقية ، باندماجها فى هذه المعركة ، تصبح عاملا مهما فى السلام وتحرير أفريقيا هو مساهمتها الكبرى فى قضية السلام فى العالم أجمع .

وإذا كان العالم الخارجى يكتشف اليوم الوجه الجديد لأفريقيا ، فإن الشعوب

الأفريقية تكتشف أثناء نضالها ومن خلاله ، المظهر الآخر للعالم الخارجي . لقد عرفت ، في الماضي ، عندما احتكت بهذا العالم ، جوانبه السيئة قبل أي شيء آخر . إنها لم تكن تعرف من هذا العالم سوى التجار ، والنخاسين ، والغزاة المسلحين ، والمستعمرين بالعنف ، وناهبي ثرواتها الطبيعية وأفضل أراضيها ، والمستثمرين الرأسماليين الذين لا ضمير لهم .

إن الشعوب الأفريقية بدخولها اليوم إلى الحلبة العالمية كعامل ديمقراطي ، أخذت تتطلع على نضال وقوة القوى التقدمية ، في هذه الحلبة ، وتكتشف فيها أصدقاء وحلفاء غير مغرضين في نضالها من أجل الحرية والمساواة في الحقوق . إنها تكتشف أن هؤلاء الحلفاء غير المغرضين ، قد شقوا ، بالانتصارات التي حققوها في الماضي ، طريق الانتصار الذي تحققه الآن الشعوب الأفريقية ، وبالفعل إن النضال الذي تقوم به الشعوب الافريقية اليوم ما كان ليعطي نفس النتائج التي يعطيها الآن ، ولو لم يكن العالم الخارجي ، خلال عشرات السنين الاخيرة قد تبدل بشكل عميق ، بعمل الشعب الشغيل وحركات التحرر القوى والحركات التقدمية الاخرى .

إن عصر الديكتاتورية المطلقة لبعض الدول الكبرى ، قد أصبح بالياً في يومنا هذا ، وقضية المساواة في الحقوق بين الشعوب الكبيرة والصغيرة ، قد سجلتها انتصارات حاسمة .

إن الشعوب الأفريقية ، بدخولها في الحلبة الدولية ، عليها أن تتجه نحو دوامة المعارك التي تجرى حالياً في هذه الحلبة . إنها لا يمكن أن تكتفي بمجرد مراقبة الصراع القائم في العالم ، لأن إنجاز أهدافها الخاصة يتعلق إلى حد كبير بتطور كل المجتمع الدولي . كما في الماضي

إن نضال القوى الديمقراطية الحقيقية والتقدمية من أجل إقامة العلاقات الدولية على أساس ديموقراطي ، والذى اندمجت فيه شعوب أفريقيا بقوة الظروف الموضوعية . يجرى الآن ، وإلى حد ما ، تحت ظل الصراع الذى تخوضه الدول الكبرى على شكل كتل ، وإن الصراع بين الكتل يتمثل في السيطرة على البلدان الضعيفة والقليلة التطور ، بإقامة علاقات اقتصادية خاصة بها . قبل كل

شيء . إن الشعوب الأفريقية قد أحست بهذه المظاهر الجديدة . فني مؤتمر الشعوب الأفريقية الأخير بتونس تحدثت القرارات « عن الاستعمار الجديد » وضرورة محاربته . وجاء أن المؤتمر « يؤكد من جديد إرادة الشعوب الأفريقية بأن تعيش في تفاهم طيب مع جميع بلدان العالم ، ويوصي الحكومات الأفريقية بالعمل بشكل نشيط على تصفية عناصر الاستعمار الجديد ، وعلى الأخص كل نفوذ عسكري أجنبي في أراضيها .

من أقوى ضمانات انتصار هذا الاتجاه الموضوعي ، قرار النقابات الافريقية — وهي من أهم القوى الاجتماعية التقدمية في القارة — بأن تحقق وحدتها على أساس الشخصية الأفريقية وعدم الانتساب إلى أي إتحاد دولي يحمل طابع التكتل .

إن انتصار اتجاه البلدان المستقلة والحركات الشعبية في أفريقيا هذا ، سيكون في خدمة قضية السلام . إن صراع الدول الكبرى حول أفريقيا في أيام الاستعمار الكلاسيكي ، كان من أهم الأسباب التي أدت إلى اشتعال الحرب العالمية الأولى . وهذه الأمثولة تعلمنا أن الشعوب الافريقية ستؤدي للعالم ولقضية السلام خدمة لا تقدر . إذا ما نجحت في إبعاد صراع الدول الكبرى عن أراضيها ، من أجل ثرواتها الطبيعية وأسواقها المستهلكة الخ . . وباختصار إذا ما نجحت في تحقيق تحررها السياسي والاقتصادي ومساواتها في الحقوق .

ومثل هذه السياسية تتناسب كذلك مع حاجات أفريقيا الحيوية ومع تحقيق أهدافها العاجلة : وفي مقدمتها تحرير الشعوب التي لاتزال ترزح تحت نير السيطرة الإستعمارية . إن كل شعب أفريقي إنما يجد أفضل حلفائه بين الشعوب الافريقية الأخرى . وتضامن الشعوب الأفريقية هو خير ضمانة لانتصارها في المستقبل .

ومن هذه الزاوية ، كان انتساب بعض أفريقيا إلى دائرة نفوذ هذه الكتلة أو تلك ، ظاهرة سلبية وعاملا من عوامل الشقاق . إن وحدة أفريقيا لا يمكن أن تكون لا فرنسية ولا بريطانية ، ولا غربية ولا شرقية . إن وحدة أفريقيا لا يمكن أن تكون إلا وحدة أفريقيا .

إن على قوى التقدم والسلم فى العالم التزامات محددة نحو الشعوب الافريقية أن عليها أن تدعمها فى نضالها من أجل الحرية السياسية الكاملة لكل أفريقيا . إن عليها أن تساعدها فى جهودها لتحقيق المساراواة الإقتصادية مع بلدان خارج القارة ، وإنجاز تقدمها الاقتصادى السريع . أن عليها أن تعمل على أن يقدم الجزء المتطور من العالم معونة فنية واقتصادية للبلدان الافريقية ، دون أى شروط سياسية ، أن عليها أن تدعم معنويا جهود الشعوب الافريقية للبقاء خارج صراع الكتل ، ولتحقيق تعاونها المشترك ووحدتها .

إن تحرر الشعوب الافريقية هو مساهمتها فى قضية السلام فى العالم أجمع . أما مساهمتنا بقضية السلام — بخصوص أفريقيا — فهى دعمنا للشعوب الافريقية فى نضالها من أجل تحقيق أهدافها المشروعة » :

***

وإلى جانب هذا النجاح الساحق التى تحرزه شعوب القارة الافريقية يوما بعد يوم ، تضاعف الدول الاستعمارية الكبرى — بل والصغرى مؤامراتها على القارة الافريقية . . . ولست أبالغ إذا قلت إن هذه المؤمرات تفوق فى عنفها وفى شدتها المؤامرات التى تمت فى القرن التاسع عشر . . . لقد كانت مؤمرات الدول الكبرى فى القرن التاسع عشر ، تهدف إلى تقسيم أفريقية ، والسيطرة عليها . . . واستنزاف خيراتها . . . أما اليوم فإن هذه المؤامرات تهدف إلى القضاء على روح القارة الافريقية ... تهدف إلى القضاء على كل إمكانياتها ... كل مقوماتها . . .

والمؤمرات قد تختلف فى الشكل ، وفى الطريقة ولكنها تتفق دءاً فى الهدف وفى الغاية

وصناع المؤامرات قد يختلفون فى الظاهر ، وقد يتصنعون الخلافات فى بعض الأحيان وذلك مبالغة منهم فى تحقيق بعض الأهداف .

وقد استطاع الاستعماريون على اختلاف أشكالهم وألوانهم أن يدخلوا بمهارة ، طرفا آخر فى المؤامرات لعلهم يستطيعون عن طريقه الوصول إلى داخل الجسم الافريقى فيصيبونه بالداء الوبيل .

لقد استطاع الاستعماريون أن يدخلوا أذنابهم وعملاءهم فى المعركة . . . مرة بصورة مكشوفة ، ومرة بصورة مستترة ، وفى بعض الأحيان قد تكون معاركنا مع أعوان الاستعمار ، أشد ضراوة ، وعنفا من معاركنا ضد الاستعمار .

ولنبدأ بأمريكا . . رأس المتآمرين على القارة الأفريقية ، وزعيمة العالم الرجعى ، الذى يهدف إلى تكبيل الشعوب بقيود الأسر والذل والهوان .

إن علاقة أمريكا بالقارة الافريقية لم تنقطع منذ القرن التاسع عشر ، وبالرغم من سياسة العزلة التى ابتدعها مونرو رئيس الولايات المتحدة الامريكية الاسبق ، ورغبة أمريكا فى الاقتصاد على مشاكلها الخاصة . بالرغم من ذلك كله ، فإن أفريقية ظلت منذ ١٨١٦ هدفا للسياسة الاستعمارية الامريكية وخاصة بعد إنشاء جمعية الاستعمار الامريكية لنقل الرقيق الذين يمكن إنقاذهم من العبودية إلى أفريقية تقطنهم وقد نسقت هذه الجمعية جهودها مع الحكومة الامريكية ، وأرسلت بعثة لاستكشاف مدى صلاحية شواطىء ليبريا للتعمير ... وقد وصل أعضاء البعثة إلى الشاطىء عام ١٨٢٢ فى موقع أطلق عليه بروفيداس واشتروا قطعة من الأرض دفعوا فيها بعد مجهودات شاقة طويلة مع الامراء ست بنادق وصندوق من حبات الخرز « وكيات » من الطباق وبرميل من البارود ، وستة قضبان من الحديد وست أثواب من البفتة الزرقاء . . .

ووصلت الدفعة الأولى من الأرقاء إلى ليبريا وكان عددها ٨٨ مات منهم ٢٩ وقدر للباقى أن يكونوا أساس المجتمع الحديث وقد قامت جماعة الاستعمار الامريكية بإدارة شئون هذه الدولة الناشئة إلى ١٨٤٧ حيث انسحبت الجمعية وأصبحت ليبريا جمهورية مستقلة

ومن ليبريا انتقل السرطان الامريكى إلى كثير من أجزاء القارة الافريقية . . انتقل فى صورة بعثات تبشيرية ، وفى صورة بعثات تعليمية . . ثم انتقل فى صورة مساعدة اقتصادية ، أو مشروعات استعمارية . .

ومنذ الحرب العالمية الأولى ، والسياسة الأمريكية تهدف إلى أن ترث

الامبراطوريات القديمة ، لتنشىء على أنقاضها امبراطورية أمريكية خفية تعتمد على الدولار أكثر مما تعتمد على شيء آخر .

تعتمد على التسلل الاقتصادى ، والاحتكارات الأمريكية . . تعتمد على تخلخل النظام الاستعمارى الأوربى .

ولم تهتم أمريكا بأفريقية لأنها القارة البكر ، ولا لأنها غنية بالخامات الأولية ، ولا من الناحية الاستراتيجية بل لأنها كما قال جون جنتر . « حدودنا الأخيرة أن معظم آسيا قد ضاع وبقيت أفريقية . . وأنها مفتوحة على مصراعيها وكأنها فراغ . . إنها أثمن غنيمة على ظهر الأرض » .

وأصبحت أفريقية — كما جاء فى تقرير البعثة الخاصة التى أرسلت لدراسة شئون أفريقية وجنوب الصحراء الكبرى وشرقها برئاسة الأونرابل فرانسيس . ب بولتون عضو اللجنة الفرعية لشئون الشرق الادنى وأفريقية التابعة للجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الامريكى . . أصبحت أفريقيا : اليوم من أكبر أسواق العالم . . ليس فقط للألف صنف وصنف التى تصنعها . . بل وأيضا للصناعات الثقيلة .

وأصبحت مصالح أمريكا فى أفريقية — كما قال راونترى وكيل وزارة الخارجية الامريكية لشئون الشرق الأدنى وأفريقية وجنوب آسيا — مصالح استراتيجية وسياسية واقتصادية

ولست أبالغ إذا ما قلت أن الولايات المتحدة الامريكية ، لم تترك وسيلة من وسائل الإيقاع بالوطنيين الافريقيين إلا واتخذتها . . ولم تترك الولايات المتحدة الامريكية وسيلة من وسائل مهاجمة الحركات الوطنية الافريقية إلا وعمدت إليها .

ولم تترك الولايات المتحدة طريقا من طرق تكبيل الافريقيين بالقيود والسلاسل إلا وجربته فى القارة الافريقية ، ضاعفت رأسمالها فى أفريقية فرضت مساعداتها الاقتصادية الاستعمارية .

فرقت بين أبناء الوطن الواحد . والأسرة الواحدة .

اتخذت من بعض الوطنيين ذوى التاريخ المضىء نوعا ما قراصنة وطنيين يطعنون أوطانهم وإخوانهم فى النور وفى الظلام على السواء .

ومع كل ذلك .. بل بسبب كل ذلك فشلت السياسة الامريكية فى أفريقية واعترف بذلك الفشل أصدقاء الولايات المتحدة فى أفريقيا وفى أوروبا .

وكان هذا الفشل أكبر نصر نالته السياسة التحررية الافريقية ..

وبعد أمريكا . يجىء الدور على فرنسا . وعلى انجلترا .. وعلى البرتغال وعلى بلجيكا إن لكل من هذه الدول مصالحها فى القارة الافريقية ولكل من هذه الدول مستعمراتها الإفريقية . ولكل من هذه الدول أهدافها التوسعية فى القارة الافريقية .

ولكل من هذه الدول أساليبها وطرقها فى القضاء على الحركات الوطنيةالافريقية

وفى بعض الاحيان تختلف سياسة الدولة الاستعمارية الواحدة فى دولة عنها فى دولة أخرى .. فاتجاه انجلترا فى جنوب أفريقية يختلف عن اتجاه انجلتر فى الصومال الخاضع للسيطرة البريطانية — واتجاه فرنسا فى الجزائر ، يختلف عن اتجاه فرنسا فى تونس مثلا — وهكذا لكل شيخ من شيوخ الاستعمار طريقته .. بل لكل شيخ من شيوخ الاستعمار طرقه .

ولا يعنينى — هنا فى هذا المجال الضيق . إلا الإشارة إلى أهم ما تتعرض له شعوب أفريقية من مؤمرات بعد المؤامرات المسلحة فى الجزائر وجنوب أفريقية ، وكينيا ونياسالاند . وغيرها .. وغيرها .

والمؤمرات التى أعنيها هناهى الاتحادات التى يبنى الاستعماريون فرضهاعلى بعض الشعوب الافريقية لا لأن فى الإتحاد قوة ولا لأن هذه الشعوب ترغب فى الوحدة بل لكى يتمكن الاستعمار من القضاء عليها بسهولة ويسر كما عمد الصياد الماهر إلى إصابة أكبر عدد من الضحايا بأقل عدد من الطلقات ؛

فانجلترا مثلا قد عمدت فى سنة ١٩٥٣ إلى ضم شمال روديسيا ، ونياسالاند ، وجنوب روديسيا المستقلة فى وحدة سياسية واحدة رغم معارضة الاهالى لهذه الوحدة وأهداف بريطانيا من هذه الوحدة سيطرة الرجل الابيض على كل مقومات هذه

المناطق الافريقية .. إذ المعروف أن روديسيا الشمالية من أكبر بلاد العالم انتاجا للنحاس ، وجنوب روديسيا من الموارد الهامة للفحم ... أما نياسالاند فتمتاز بوفرة المواد الغذائية والايدى العاملة . أى يمكن صهر نحاس شمال روديسيا بواسطة فحم جنوب روديسيا على أن يتم تعهده بالايدى العاملة المتوفرة فى نياسالاند .

واكسبي يا بريطانيا .

وسيطرى أيتها العناصر البيضاء !!

وقد قام الشعب الافريقى فى نياسالاند منذ شهور قليلة بالثورة على هذا الاتحاد الذى فرض عليه فرضا وأيده فى ذلك المواطنون الافريقيون فى روديسيا .. سواء فى الشمال أم فى الجنوب .

وقد استخدمت بريطانيا كل ما يمكن استخدامه من وسائل الضغط والإرهاب حتى يكف الشعب الأفريقى فى نياسالاند عن مطالبته بالخروج من هـــذا الاتحاد الاستعمارى وفى نشر المقالة التى كتبها ستانلى بونيب فى صحيفة الديلى ميل البريطانية عن المعاملة الوحشية التى يعامل بها البوليس البريطانى الأفريقيين ما يغنى عن كل دليل .

قال ستانلى بونيب : رأيت اليوم مشهداً تغثى له النفس . . أثاره كبار الضباط فى البوليس البريطانى خارج الفندق الذى حضر فيـــه ماكيلان — رئيس الوزارة البريطانية — حفلة الغداء التى أقيمت له .

إن هذا شىء يصعب على بريطانى أن يقوله ، غير أننى يجب أن أسرده وأروى تفاصيله . . لقد كان الأمر بسيطاً يستطيع أى رجل بوليس عادى أن يمنع وقوعه . ومع ذلك اعتقل فيـــه البوليس عشرات من المتظاهرين الموالين لباندا وملأ بهم السيارات . وألقيت الأحجار ووقعت مشاهد مخزية وارتفع النحيب .

ومضى المراسل يقول : وقد شاهدت بعينى مع جميع مندوبى الصحف العالمية أحد كبار رجال البوليس البريطانى يفصل ما يلى مع الأفريقيين ، الذين لم يردوا عليه أبداً :

١ — كان يضربهم على بطونهم بعصاه السوداء الغليظة .

٢ — كان يدفع الأفريقيين إلى الركوع .

٣ — كان يطأ أقدامهم العارية عمداً بين حين وآخر بحذائه الثقيل .

٤ — كان يشجع صغار الضباط على أن يفعلوا مثله .

ومضى المراسل يقول :

إن أحد مندوبى الصحف ساءه هذا المشهد فتقدم محتجاً عليه إلى أحد معاونى الإدارة ، ولكنه لم يسمع له وانصرف عنه ثم طلب (من المراسل صاحب التقرير) اسم هذا المندوب .

وقال المراسل :

إن هذه الحوادث وقعت حيث وقف البوليس البريطانى فقط . فأما حيث وقف البوليس الأفريقى يضرب نطاقاً حول المتظاهرين ، فلم يقع شىء على الإطلاق . وكان رجال البوليس الأفريقى يقفون بهدوء بينما كانت الجموع تنشد وتهتف من خلفهم . ولم تمتد يد واحد منهم إلى هراوته .

واستطرد المراسل يقول :

ورأيت أيضاً اثنين من المستوطنين البريطانيين يهددون بتحطيم آلة تصوير يحملها أحد السينمائيين وهم يقولون له : هل تنوى أن تعرض كل هذه المشاهد القذرة فى بريطانيا .

وقد بدأت الحوادث بتدفق آلاف الأفريقيين على الفندق ، مطالبين بإطلاق سراح الدكتور باندا . وكانت الجموع تصخب وتهتف . ولم يكن مظهرهم يدعو إلى الذعر ، ولكن قادة البوليس من البريطانيين اشتد غضبهم وغيظهم عندما رفع الأفريقيون لافتاتهم المطوية بعد دقائق من وصولهم ، فأشار ضابط إلى جنوده فانتزعوا أربعة من الجمع وأخذوا يجرونهم إلى إحدى السيارات لتحملهم إلى المعتقل . ولم يتمالك ماكيلان أن يرى وهو على مائدة الطعام الدفعة الأولى من الأفريقيين وهم يسافرون إلى السجن والآخرون يندفعون وراءهم وهم يغنون : « فليبارك الله أفريقية » .

ثم قال الصحفى الانجليزى :

ولو لم تمطر السماء لاستمر الجنود يقذفون بالأفريقيين جماعات فى سيارات النقل وقد اعتقلوا منهم ٣٦ من بينهم بعض النساء ولما سقط المطر فعل السيل مالم يستطع أن يفعله البوليس بغبائه . وتفرق الجمع .

وكتبت الصحيفة فى فصلها الافتتاحى تقول : إن هذه الأنباء يجب أن تشعر البريطانيين بالخجل لاسيما أن المسئولين عن هذه الحوادث ضباط بريطانيون · وأضافت : إن التقرير الذى كتبته بعثة التحقيق البريطانية المسمى بتقرير ديفلن يصف نياسالاند بأنها دولة بوليسية وهو وصف يبرره الآن ما يفعله البوليس البريطانى » .

***

ولم تكتف بريطانيا بهذا الاتحاد الوهمى ، بل أنها تطبخ الآن اتحاداً من نوع جديد ، وصفه اللفتنانت جنرال ه . ج مارتن فقال :

تتحد كينيا وأوغندا وتنجانيقا كخطوة أولى ليتكون منها اتحاد أفريقية الشرقية . . وتتحد نياسالاند وروديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية فيتكون اتحاد وسط أفريقية . أما مستعمرات أفريقية الغربية الأربع فتكون اتحاد غرب أفريقية .

ثم تأتى الخطوة التالية وهى اتحاد هذه الاتحادات الثلاثة مع اتحاد جنوب أفريقية . ويمضى الوقت بعد نجاح ذلك الاتحاد يضم إلى اتحاد المناطق الفرنسية والبلجيكية والبرتغالية ، لتتألف من الجميع ولايات متحدة أفريقية تكون حزاماً أفريقياً » .

وتحاول انجلترا — أيضاً — إقامة اتحاد فى الصومال يخضع لسيطرتها ، كما تحاول مرة أخرى إقامة اتحاد وسط أفريقيا الغربية ، يتكون من نيجريا ، والكمرون ، وسيراليون · وتحاول فرنسا إقامة رابطة للشعوب الخاضعة للاستعمار الفرنسى — على نظام الكومنولث البريطانى — من أفريقية الاستوائية والكمرون تحت الاحتلال الفرنسى ، وتوجولاند ، واتحاد مالى الذى يتكون من السودان الفرنسى والسنغال . وتكتفى بلجيكا بالشروع فى إقامة اتحاد من الكونغو وروواندا أوراندى .

وقد بذل الاستعماريون أقصى جهودهم لكى يدخلوا فى روع الشعوب الأفريقية أن هذه الاتحادات أقيمت أو تقام لصالحهم هم . . غير أن أبناء أفريقية سرعان

ما اكتشفوا ما وراء هذه الاتحادات ، وآمنوا بأن الهدف الأساسي من إقامتها إضعاف البلاد الافريقية ، وإشاعة الفرقة بين أبناء الوطن الواحد ، وبين جاراته الافريقيات ، واخماد الروح الوطنية التي تمتلىء بها نفوس الشعوب الافريقية .

وبلغ من فشل مشروعات هذه الاتحادات أن أنصار فكرتها والمحبذين لها عدلوا عنها ، بعد أن آمنوا بأن فكرتها ستنتهي بفضل ضربات القوى الوطنية التي تجتاح القارة السوداء . وصرح هؤلاء أكثر من مرة بأن مستقبل المجموعة الفرنسية أصبح مظلماً ، وأن انفصال هذه المجموعة بعضها عن بعض كما قالت أخيراً صحيفة جورنال دى جنيف أمر لابد واقع .

وبعـــد ..

إن الحركة التحررية في طريقها الى النصر ، مهما بذل المستعمرون من جهود .

أما مؤامرات الاستعمار فهي سترتد حتما إلى صدور الذين دبروها ..

إن تجربة الشعوب الافريقية مع الاستعمار قد علمتها أن نجاحها يعتمد على وحدتها ، وأعداء الاستعمار يعلمون هذا حق العلم ، وهم لهذا يرتعدون خوفاً من قوة شعوبنا المتزايدة ، ويعملون على إنقاذ سلطتهم المتداعية بكل مايملكون من قوى ..

وإذا كنا قد كشفنا أساليبهم وأحبطنا توازنهم ، فإننا عاملون على كشف أساليب أذنابهم وإحباط مؤمرات هؤلاء الأذناب ..

إن الاستعمار الأوربي والأمريكي وقد شعر بدنو نهايته .. وقد أحس بقرب رحيله عن القارة الملتهبة ، آثر أن يترك ذنباً له يشيع السم في جسم القارة الافريقية ، ويعمل على تحقيق ما عجز الاستعمار عن تحقيقه .

لقد أعد الاستعمار الاجنبي إسرائيل لتكون وريثته وربيبته في القارة الافريقية ، وانتظروا نهاية جديدة يسبقها صراع عنيف ..

السرطان ينتقل إلى غرب أفريقيا

« نحن اليهود لسنا شيئاً إلا مفسدى العالم ، ومدمريه ، ومحركى الفتن فيه وجلاديه » .

الدكتور أوسكار ليفى

« عند ما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض لن نتيح قيام أى دين غير ديننا .

ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان » .

البروتوكول الرابع عشر لحكماء صهيون

الخطأ الأكبر الذى ارتكبه العرب فى تاريخهم الحديث ، بل فى تاريخ البشرية كلها هو أنهم لم يتنبهوا لخطورة الصهيونية العالمية يوم وفدت إليهم فى صورة مستعمرات زراعية ، ومستشفيات عام ١٨٨٢ .

والذنب الأكبر الذى اقترفه العرب فى حق أنفسهم وفى حق غيرهم هو أنهم لم يبادروا إلى القضاء على الجرثومة الصهيونية عند ما بدأت تبيض وتفرخ فى أرضهم الحبيبة . . أرض فلسطين المقدسة . والجرم الذى سيظل نقطة سوداء فى تاريخ العرب أنهم تساهلوا فى البداية مع الصهيونية ولم يعرفوا ما وراء دخولهم الأرض المقدسة من أخطار حتى لقد تباهى أحدهم ـ الأمير فيصل ـ قبيل الحرب العالمية الأولى فبعث إلى زعيم من زعماء الصهيونية ينفى فيه وجود شعور عدائى ، نحو الصهيونية .. ونحو وجودها فى قلب الوطن العربى .

وإذا كان العرب قد أخطأوا وأذنبوا وأجرموا فإنهم يدفعون اليوم ثمن خطئهم وذنبهم وجرمهم مضاعفاً .

يدفعونه من عرقهم .. ودمهم .. ودموعهم ..

يدفعونه من حاضرهم ، وماضيهم ومستقبلهم .

يدفعونه جميعاً — وفى مقدمتهم مليون لاجىء عربى — من أقواتهم ، وأمنهم وسلامتهم .. ودماء الألوف من شبابهم ..

والقصة التى بدأت فى فلسطين منذ أكثر من سبعين عاماً تتكرر اليوم فى أفريقية .

والأبطال جدد .

والضحية أيضاً جديدة .

والقصة الجديدة تتلخص فى انتقال السرطان الصهيونى من فلسطين الضحية الجريحة .. إلى غرب أفريقية .. المتفتح للحرية الوثاب نحو المجد والمدنية .

والأبطال الجدد هم تجار إسرائيل ، وخبراؤها ، وحملة جراثيم أمراضها ..

والضحية الجديدة .. القارة الجديدة .. قارة المستقبل ، الزاهر المشرق .

القارة التي لم تنج بعد من مخالب الاستعمار ..

ولنبدأ القصة ، من أولها ..

ما إن حل القرن التاسع عشر الميلادى حتى كانت اليهودية العالمية قد تأهبت لإنشاء وطن قومى لليهود ، وقد أحاطت خطتها بالسرية والكتمان . ولم تعلن اليهودية العالمية عن قيام الحركة الصهيونية إلا عام ١٨٨٢ وهو نفس العام الذى احتلت فيه انجلترا مصر ، مما يدل على وجود تعاون وثيق . وتفاهم كامل بين الصهيونية العالمية ، وبين الاستعمار العالمى ممثلا فى بريطانيا .

وقد طلب هرتزل زعيم الصهيونية من خليفة آل عثمان السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين وإنشاء مستعمرات زراعية فيها و إيجاد مستشفيات ومؤسسات دينية وخيرية وعلمية .. وقد لقيت مطالب هرتزل من سفير بريطانيا والولايات المتحدة كل تأييد ، ومؤازرة .. وسمحت الدولة العلية . أول ما سمحت — للمؤسسات اليهودية الخيرية والدينية بامتلاك أراضى « نيتر » بالقرب من يافا لإنشاء مدرسة ومحطة تجارب زراعية .

وهبطت أقلية يهودية ضئيلة أنشأت عدداً من المستعمرات وانضمت إلى الأقلية اليهودية التى كانت تقطن القدس ويافا وطبرية وكان وعد بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ الذى أعطى لليهود الحق فى إنشاء وطن قومى لليهود .

وأنشأت بريطانيا فى أعقاب الحرب العالمية الأولى دائرة المهاجرة والسفر .. للإشراف على شئون الهجرة ومسائل الجنسية والجوازات واختارت المستر هاجسون — اليهودى البريطانى — مديراً للادارة .. وقدمت بريطانيا كل ما تملك من مساعدات لزيادة عدد اليهود المهاجرين إلى إسرائيل .

وبعد أن كان عدد اليهود فى فلسطين سنة ١٩٤٧ أقل من ٥٠ ألفاً — ارتفع فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ إلى ٦٥٠ ألفاً .. أى أنه تضاعف أكثر من ثلاثة عشر مرة فى ثلاثين عاماً .

ومنذ اليوم الذى وطئت فيه أقدام الصهيونيين الأرض المقدسة وهم يشعلون نيران الفتن بين أبناء الوطن الواحد .

ومنذ اليوم الذى أخذ الصهيونيون بأيديهم زمام التجارة والصناعة فى هذه البلدة الآمنة المطمئنة ، وهم يعملون على إخراج أبنائها منها .. وجعلها حقاً خالصاً لهم ولعصاباتهم واستطاعت إسرائيل أن تشعل نيران الحرب الأهلية التى ضاع فيها الألوف من أبناء فلسطين منذ ١٩١٨ واستطاعت إسرائيل ، أن تحقق للاستعمار من المصالح والأهداف ماعجزت كل أنواع الاستعمار عن تحقيقه مجتمعة فى مئات السنين .

واستطاعت إسرائيل أن تسيطر على الأرض المقدسة وأن تطرد منها أبناءها .. وأن تعلى فيها كلمة الظلم والعدوان .

واستطاعت إسرائيل أن تحيل هذه المنطقة الهادئة من الوطن العربى إلى جحيم من الحروب المتوالية ..

واستطاعت إسرائيل أن تصبح أداة يستغلها الاستعمار بجميع أشكاله وألوانه لخلق حالة من التوتر الدائم فى هذه المنطقة الحيوية من العالم ..

وأخيراً استطاعت إسرائيل أن تخلق جسراً تعبر عليه من الأرض المقدسة ، إلى الأرض الملتهبة من فلسطين إلى أفريقية ، لكى تعيد المأساة من جديد ..

ولكى تبدأ القصة من جديد ..

— علاقة إسرائيل بأفريقية أو علاقة الصهيونية بأفريقية تعود إلى بداية هذا القرن : القرن العشرين حيث عرضت الحكومة البريطانية ومرتفعات كينيا على زعماء الصهيونية العالمية . لتكون وطنا تقريباً لليهود . وذلك عام ١٩٠٣ وقد ظل اليهود يدرسون هذا العرض . حتى عام ١٩٢٥ حيث رفضوه .

وفى سنة ١٩٣٨ نوقشت مسألة اللاجئين اليهود من النمسا وألمانيا وعرضت بريطانيا كعادتها إيواءهم همسة فى شرق أفريقية ورفض لويزل زعيم الصهيون العرض واشترط أن تكون قاعدة الصهيونية فى فلسطين أو بالقرب منها . ! ولا مانع — كما قال لويزل — من استعمار أوغندا فيما بعد .

— وعرضت بريطانيا للمرة التالية فى عام ١٩٣٩ إيجاد مأوى ليهود ألمانيا الفارين من وجه هتلر فى تنجانيقا ولم تكتب لهذه المحاولة النجاح .

— لقد كانت أهداف الصهيونية التالية هى فلسطين ولاشىء سوى فلسطين .

وبدأت هجرة الصهيونيين إلى اسرائيل أو إلى الأرض المقدسة قبل أن تظهر عصابة إسرائيل وقد أتى الوفد ما بين سنة ٤٩ — ٥٤ إلى إسرائيل : —

٦٨٣ من جنوب أفريقية .

٦٧٫٢١٦ من الجزائر .

٣٢٫٠٩٧ من ليبيا .

١٩٫٠٠٠ من بلاد أخرى .

ومن بين ٨٫٨١٣٫٠٠٠ مغربى هاجر ٢٥٥٫٠٠٠ يهودى إلى إسرائيل أى بنسبة ٣٫٨٩٪ .

ومن بين ٧٫٢٣٥٫٠٠٠ جزائرى هاجر إلى إسرائيل ١٣٠٫٠٠٠ صهيونى إلى إسرائيل بنسبة ١٫٧٩٪ .

ومن بين ١٫٩٠٠٫٠٠٠ ليبى هاجر إلى إسرائيل ٣٠٫٠٠٠ صهيونى إلى إسرائيل بنسبة ٣٪ .

ومن بين ٢٫٧٣٣٫٥٠٠ تونسى هاجر ٧٠٫٠٠٠ صهيونى إلى إسرائيل أى بنسبة ٢٫٥٦٪ .

وعلى سبيل المثال سيطرت إسرائيل على اقتصاديات جنوب أفريقية وقد وظفت إسرائيل أموالها فى جنوب أفريقية على النحو التالى .

٣٣٪ فى التجارة .

١١٪ فى القانون .

١٤٪ فى الشئون المالية .

٩٪ فى الأعمال المكتبية .

٧٪ النقل المواصلات .

١٦٪ فى الأعمال المختلفة .

ثم انتقلت إسرائيل من جنوب أفريقية إلى غرب أفريقية ، وذلك فور حصول بعض دول هذه المنطقة على استقلالها ..

وفيما يلي بعض مظاهر التسلل الإسرائيلي إلى غرب إفريقيا . .

— فى السنوات الأربع الماضية بدأت إسرائيل فى إنشاء علامات سياسية ، أو اقتصادية . أو تعامل مع بعض دول أفريقيا الناشئة التى كانت منذ وقت قريب واقعة تحت بند الاستعمار .. وبدأت المنظمات والجاليات الصهيونية المتنبة فى أنحاء القارة الأفريقية بدعاية من أجل توثيق العلاقات الاقتصادية بين إسرائيل والدول الحديثة التكوين . .

— وكانت أهداف إسرائيل من محاولاتها هذه إخراج نفسها من العزلة السياسية داخل الحصار العربى المضروب حولها وتدعيم مركزها السياسى والاقتصادى بتوسيع حجم التبادل التجارى بينها وبين العالم .

— تحقيق مطالب الاستعمار وخلق الحروب الثقافية والاقتصادية . والسياسية التى عن طريقها يصل الاستعمار إلى معاودة السيطرة على هذه البلاد من جديد .

— عمدت إسرائيل إلى استضافة كثير من وفود الدول الأفريقية وخاصة السنغال ونيجريا — والسودان الفرنسى وغانا ، وغينيا وليبريا ونشاد وردت إسرائيل الزيارة لهذه البلاد فى صورة خبراء وفنيين .

— حرصت إسرائيل على رفع التمثيل الدبلوماسى بينها وبين كثير من هذه البلاد إلى درجة سفارة وسافرت جولدا مايير وزيرة خارجية إسرائيل إلى هذه البلاد أكثر من مرة .

حرصت إسرائيل على حضور الاحتفالات الخاصة بهذه الأعياد ، مهما كلفتها من جهد ومن مال .

توقيع اتفاقيات متعددة مع بعض هذه البلاد الأفريقية لتنفيذ بعض المشروعات العمرانية ولإنشاء شركات النقل التى تحتاج إليها هذه البلاد الناشئة .. وكذلك محاولة السيطرة على بعض شركات استخراج المعادن . . وخاصة الماس .

أخذت إسرائيل تصدر إلى بعض هذه البلاد وخاصة غانا الثلاجات والأدوات الكهربائية وآلات التلفون والأدوية والأسمنت .

— أصبح الميزان التجارى بين غانا وَإسرائيل فى الفترة ما بين أول يناير سنة ١٩٥٨ حتى آخر نوفمبر من تلك السنة ١٠٨ر٨٩٨ جنيه لصالح إسرائيل .

— وقامت إسرائيل بتوريد السماد والأسمنت والفواكه المحفوظة والملابس الداخلية وغيرها بما يعادل ٢٠٢ر٦١٦ جنية وقامت إسرائيل باستيراد ما قيمته ٩٣ر٧١٨ جنيه من غانة منها ٩٢ر٤٥٩ جنيه قيمة أخشاب .

وبالرغم من كل ذلك فلم تفلح إسرائيل فى صداقة أفريقية وذلك لتاريخها الأسود مع هذه القارة .

فهى التى اقترعت سنة ١٩٥٣ ضد استقلال تونس والمغرب واقترعت عام ٥٤ ضد استقلال المغرب واقترعت فى الاعوام ٥٦و٥٧ و٥٨ ضد استقلال الجزائر واقترعت سنة ١٩٥٩ ضد اجراء انتخابات حرة فى الكاميرون الفرنسى .

— ثم وقفت إلى جانب فرنسا وضد الشيوعية الافريقية فى موضوع أجراء التجارب الذرية فى الصحراء العربية .

— أى أنها وقفت بصراحة ووضوح فى جانب الاستعمار .

— وقد منيت اسرائيل بالرغم من ذلك كله بهزائم فى البلدان الافريقية نذكر بعض الامثلة لا لشىء إلا لامكان تكرار هذه الهزائم والاستفادة منها .

— اسقاط إسرائيل من قائمة الدول المدعوة لحضور حفلات عن الجمعية فى منتصف ابريل سنة ١٩٥٩

— حين نوقشت الإتفاقية التجارية بين إسرائيل وغانا فى مجلس النواب — مما سنفصله بعد — لاقت هذه الاتفاقية معارضة شديدة من النواب

هاجمت إسرائيل الاتحاد بين غانا وغنيا كما هاجمت الاتفاقات الثلاثة التى دفعتها غانا عنه نهائيا سنة ١٩٥٩

— حاولت اسرائيل حين نال السودان إستقلاله أن يبقى متخلفا عن الركب فارسل رئيسها برقية منه الى رئيس وزراء السودان ولم يرد السودان على هذه البرقية

— قطعت العرب علاقتها مع اسرائيل فى ٢٠ / ٩ / ١٩٣٨ بعد أن آل أمره إلى إثباته .

تلك بعض مظاهر النشاط الاسرائيلى فى أفريقية وتلك هى بعض المزايا التى منيت بها اسرائيل فى المجال الافريقى

لقد استطاع الصحفى العربى الاستاذ محمد محبوب عند زيارته لأكرا فى أول يناير سنة ١٩٦٠ الحصول على وثيقة هامة هى عبارة عن النص الكامل للمناقشات التى دارت فى برلمان غانا أثناء القراءة الثانية لمشروع قانون اتفاقيات التجارة والمدفوعات بين غانا واسرائيل : وقد جاء فى هذه المحاضر ما يلى .

السكرتير البرلمانى لوزارة المالية (مستر . ك أموا أوياه) نيابة عن وزير المالية :

ألتمس الموافقة على قراءة مشروع بقانون اتفاقيات التجارة والدفع بين غانا واسرائيل للمرة الثانية .

يدرك أعضاء المجلس أن اتفاقية التجارة والدفع بين غانا وإسرائيل تم التوقيع عليها فى ٤ يوليو سنة ١٩٥٨ — تنص هذه الاتفاقية فيما تنص عليه — على أن تقدم إسرائيل إلى غانا قروضاً تصل فى حالة السلع والخامات الرئيسية فى خلال سبعة أعوام وفى حالة السلع والخدمات الأخرى فى خلال خمسة أعوام . وعند تقديم هذه القروض يكون على غانا بمقتضى اتفاقية الدفع أن تقدم إلى إسرائيل تعهداً بالدفع يتفق ومبلغ القرض ، وتقضى المادة السابعة « البند الأول » من الاتفاقية بأن يعطى بنك غانا حق توقيع صكوك الدفع نيابة عن الحكومة بشرط أن يكون نصها مقبولا منى .

أما بالنسبة لتأثير هذا الإجراء فهو ضمان المديونية من جانب الحكومة وقد رؤى أنه من الضرورى موافقة البرلمان عليه .

وفى نفس الوقت اشترط لتسوية الديون أن تتم هذه التسوية من رأس المال الذى يقدمه البرلمان . وستؤخذ المصروفات من المبالغ التى وافق عليها البرلمان

بنفس الطريقة التى يتم بها دفع أثمان المشتريات عن طريق وكلاء الكومنولث مثلا .
هذه الاشتراطات موجودة فى مشروع القانون .

التمس الموافقة . . وفتح باب المناقشة .

مستر أ . ك . وأجيان (عضو حزب المؤتمر الشعبى ببريم الشمالية) :

إن هذا المشروع بقانون يذكرنى بمثل قديم . . احذر اليونانيين حتى عندما يقدمون الهدايا . وعندما يستعرض المرء تاريخ اليهود يجد أن اليهود فى أمريكا يسيطرون على تلك البلاد ولقد نشبت الحرب العالمية الثانية عندما حاول الألمان أن يخلصوا ألمانيا من اليهودولهذا وعلى ضوء الحقائق السابقةأنصح حكومتنا بأن تكون حذرة أشد الحذر عندما تدخل فى اتفاقيات من أى نوع مع اليهود .

إننا دخلنا أخيرا فى اتفاقية مع حكومة إسرائيل لإنشاء شركة ملاحة تعرف باسم خطوط النجم الأسود وكان رئيس وزرائنا وجميع أهل هذه البلاد يريدون بهذا العمل دعم الشخصية الأفريقية دعماحاسما فى هذه البلاد بتدريب شبابنا حتى يصبحوا ملاحين مهرة أكفاء .

ويلاحظ خلال المؤتمر الأخير لجميع البلاد الأفريقية المستقلة فى أكرا أن الجمهورية العربية المتحدة قد أرسلت وفدا . ونعرف جميعا أن الجمهورية العربية المتحدة لا تسمح للسفن الإسرائيلية بالمرور عبر قناة السويس .. ويتبع هذا أن الجمهورية العربية المتحدة حتى وإن كانت وطيدة الصداقة معنا فإنها لن تسمح لسفن خطوطنا «النجم الأسود» باستخدام قناة السويس بسبب موقفها من الإسرائيليين .

نائب الوزير :

طبقا للائحة أود أن أذكر أن هذا المشروع بقانون يخول بنك غانا إصدار صكوك تعهد بالدفع إلى حكومة إسرائيل بمقتضى شروط الاتفاقية بصدد التجارة . وليس لهذا علاقة بالاتفاقيات الأخرى مثل تلك الإتفاقية الخاصة بإنشاء شركة خطوط النجم الأسود التى دخلنا فيها مع حكومة إسرائيل . وعلى ضوء هذا التفسير أطلب من العضو المحترم أن يلتزم فى مناقشته هذه الإتفاقية لا سواها .

مستر أجيان : أشكر العضو المحترم ولـكنى أحذر الحـكومة فحسب بأن تكون غاية فى الحذر فى جميع الإتفاقات التى قد تدخل فيها مع حكومة إسرائيل .

وهناك مثل آخر بودى أن أذكره وهو تـكوين شركة البناء الأهلية لغانا . لقد كونا هذه الشركة بالاشتراك مع حكومة إسرائيل على اعتبار أن شبابنا سيدربون كمهندسين وغير ذلك حتى يصلوا إلى المراكز الرئيسية فى هذه الشركة . ولقد ظلت هذه الشركة تعمل أكثر من عام دون أن يدرب شاب واحد من غانا . ولهذا أحذر الحـكومة بأننا إذا لم نأخذ حذرنا فى المستقبل القريب عندما يتم لهؤلاء اليهود الاستقرار فى هذه البلاد سنجد من العسير علينا التخلص منهم .

وهناك نقطة بودى أن ألفت إليها نظر الأعضاء المحترمين وهى أن هيئة التدريس فى كليتنا البحرية كلها من اليهود ولا أظن هذا بالأمر الطيب ، وانى لا توسل إلى الحـكومة أن تـكون على غاية من الحذر عندما نتعامل مع اليهود . واقترح على الحـكومة أن نستعين بالملاحين الاسبانيين والبرتغاليين وهم معروفون بقدرتهم فى البحار ليعلموا شبابنا شئون البحر .

وأريد أن أؤكد مرة أخرى وجوب أن تـكون الحـكومة على حذر أبلغ الحذر عندما تدخل فى اتفاقيات مع اليهود .

مستر مأمونى باووميا (عضو حزب المؤتمر الشعبى ــ جنوب مامبروس الشرقية :

وإن لم تـكن فى نزاع مع مشروع القانون هذا كما هو . إلا أننا نتوجس بعض الشيء من اتفاقات صكوك الدفع التى دخلت فيها الحـكومة مع حكومة إسرائيل . فنحن ندرك تمام الإدراك أن حكومتنا ليست مستعدة للدخول فى عبودية اقتصادية . فاذا يحدث لو عجزنا عن الوفاء بالتزاماتنا التى تفرضها علينا هذه الإتفاقية والتى تضعنا تحت رحمة حكومة إسرائيل ، لهذا السبب يجب على حكومتنا أن تأخذ حذرها ما استطاعت بصدد هذه الاتفاقيات . وإنى أتوجه بالتماسى هذا إلى الحـكومة لأنه إذا كان المبلغ المنصوص عليه فى صك الدفع كثيرا ولم نستطع الوفاء بالتزامنا فسنضطر إلى الاعتماد اقتصاديا على دولة أجنبية ونصبح فى النهاية تحت رحمتها وهذه نقطة مهمة أود أن يأخذها الوزير فى اعتباره بكل عناية . وأنى لأرجو من صميم قلبى ألا تـكون

مثل هذه الاتفاقيات التى وقعناها سببا فى إيقاع غانا فى عبودية اقتصادية لإسرائيل فى المستقبل .

مستر س . ج أنتور (حزب الاتحاد — كياندو الشمالية) .

ليس مشروع القانون المعروض أمامنا موضع نقاش بأى معنى من المعانى سوى من ناحية أنه مبشر . ومايجب على الحكومة أن تتبينه هو أن نظامنا فى الحكم ديمقراطى ولهذا يجب أن يفسر مثل هذا المشروع بقانون تفسيراً كاملا فى مذكرة تبين بوضوح الأغراض والنوايا والمصادر وفضلا عن ذلك كل ما فى ذهن الحكومة فى عرض مثل هذا المشروع بقانون وأن يذكر كل ذلك تفصيلا . أقول هذا لأن كل هذه الاتفاقيات ستلزم كل حكومة مستقبلة تلى هذه الحكومة فى الحكم . ولهذا أقترح أن يسحب الوزير هذا المشروع بقانون فى الوقت الحاضر وبعد المشاورات التفصيلية .

(مقاطعة)

إنى أعرف أنه قد تم توقيع الاتفاقية ولكن مع ذلك يمكن سحبها إذا اتضح أنها غير ملائمة .

يقول هذا المشروع بقانون أنه سيكون للبنك أن يصدر قانوناً باسم حكومة غانا وبموافقة الوزير كما هو مشروط فى الاتفاقية ، بإصدار صكوك دفع من وقت لآخر تبعاً للقروض التى تقدمها حكومة إسرائيل لحكومة غانا بمقتضى هذه الاتفاقية ، وسيسدد البنك قيمة الصكوك المشار إليها عندما وكيفما تستحق وذلك من المبالغ التى يقدمها البرلمان لهذا الغرض

والآن ومن وقت لآخر سيكون على البرلمان أن يقدم المال لدفع ديوننا . وهذا فى رأيى طريق آخر يستطيع العالم الخارجى أن يرى من خلاله الصورة الاقتصادية لغانا وخاصة فى هذه المرحلة المبكرة من نمونا . لقد حذرنا الحكومة عدة مرات أن تكون حذرة كل الحذر عند دخولها فى اتفاقيات لأن برامجنا قائمة على أسس الاستثمار الاجنبى نقول إننا فى حاجة إلى مستثمرين أجانب ورأس مال أجنبى فى هذه البلاد . والآن نبدأ بعمليات اقتراض تبين أنه ليست لدينا الإمكانيات المادية وأن أى مستثمر سيصاب بالذعر اذا هو عرف السبب الذى يدفعنا الى الاقتراض فى هذه المرحلة المبكرة هذه هى بعض الاسباب

التى تدفع هذه الحكومة إلى الخوف كل الخوف وإلى إصدار قوانين تعسفية تتحاشى النقد ولأننا ليس لدينا المال اضطررنا إلى الإقراض فإذا عرف المستعمر أن هذه البلاد ليس لديها المال الكافى وأنها مفلسة دائماً فكيف يمكن أن يستثمر ماله فى هذه البلاد .

ولهذا اقترح يا سيدى سحب هذا المشروع بقانون وإعادة النظر فيه وإلا فإنه يستبعد عنا المستعمرين بدافع خوفهم من هذا الاستثمار . ونحن نعرف ولا أريد أن أكون قاسياً ولكنى أشعر أن كل عضو محترم هنا يعرف أسلوب التجارة اليهودية ، نعرف اليهود وحبهم للمال ومع ذلك نطلب من اليهود دون سواهم أن يعطونا القروض بينما صناعاتنا برغم هذا القرض لم تتطور بعد .

أحد الأعضاء :

رطل من اللحم .

(يشير إلى قصة تاجر البندقية) .

مستر انتور .

كل ما نعرفه فى لحظتنا هذه هو أن مصدرنا الرئيسى للدخل هو الكاكاو ونعرف جميعاً حالة السوق العالمية للكاكاو فى الوقت الحاضر ونعرف المال الذى نحصل عليه من محصول الكاكاو عندنا إذا قورن بالمال المطلوب لتنمية البلاد فى الوقت الحاضر . ليس من الحكمة فى شىء أن تقدم هذه الحكومة فى هذه المرحلة المبكرة مثل هذا المشروع بقانون لدراسته فى هذا المجلس . وأنا أطلب صادقاً من الوزير أن يسحب .

مستر و.ك ادوهين (حزب المؤتمر الشعبى — صفو وياوسو) .

هناك مثل يقول : « أن الذى يدفع للزمار يتحمل ضجيجه ... » .
وإذا ذهب المرء إلى نيويورك يستطيع أن يرى أن اليهود يسيطرون على المدينة .
وإذا ذهب إلى لندن يجد أن اليهود يسيطرون على هذه المدينة أيضاً . فما سبب ذلك

كله السبب هو أنهم اشتروا هذين المكانين ولهذا فهم يسيطرون عليها . وإنى أحذر هذه الحكومة بوجود اتخاذ جانب الحيطة وإلا فإن تاريخ المانيا سيعيد نفسه فى غانا . لقد قتل الألمان قرابة ٦ ملايين يهودى بسبب تصرفاتهم .

ولم يحضر اليهود إلى هنا سعياً وراء مصالحنا . . أنهم هنا لرعاية مصالحهم .

ولقد أتيحت لى فرصة زيارة إسرائيل . ولوكان اليهود يراعون صالحنا لما طردونى وأنا عضو ببرلمان غانا من أحد فنادق إسرائيل . إذ عند ما ذهبت إلى فندق وجدت أن متاعى قد حزم ونقل من الفندق . وقال لى أحد أصدقائى وهو إسرائيلى خالص . إننى إذا شئت أن أصافح يهودنا فعلى أن أعد أصابعى حتى لا أفقد أصبعا . . أن اليهودى لا يتردد فى إعطاء كل ما يملكه . وإنى أذكر الأعضاء المحترمين بقصة تاجر البندقية وفيها أعطى اليهودى قرضاً لصديقه . ولقد فعل ذلك بلا تردد . ولكن بقيود وذيول . . وعند ما عجز الصديق عن سداد الدين فى موعده طلب اليهودى رطلا من لحم المدين . ولولا حكمة القاضى فى الحكم لفقد ذلك المدين حياته . . ومثل هذا الأمر صيحدث لغانا . فإن السفن التى لدينا فى شركة خطوط النجم الأسود والتى اشتريناها من إسرائيل طلبت بمعرفتهم فتبدو جديدة بينما هى سفن قديمة .

وقد أتيحت لى فرصة زيارة مركز إدارة شركة خطوط النجم الأسود فوجدت أنه لم يكن هناك موظف واحد من غانا . فلو كانوا يرعون مصالحنا بقلوبهم لأرسلوا فرداً واحداً من أهالى غانا إلى الخارج للدراسة . لقد أرسلوا شاباً فعلا هو مستر أوفورى ليدرس فى الخارج وقد وجدوا أن هذا الرجل يتعلم بسرعة أكثر مما كانوا يتوقعون فأبعدوه ووضعوا عدة عوائق فى طريقه اضطر إزاءها الشاب إلى أن يعود إلى غانا .

ولقد جاء هؤلاء النساء إلى غانا وأقاموا مؤسسه اسمها شركة غانا للبناء .

وعلى طول الوقت ستطرد هذه الشركة جميع شركات مقاولات غانا . . فإذا كانوا صادقين وجاءوا لمساعدتنا لاستطاعت شركات مقاولات غانا أن تستخدمهم لمعونتها فى عملها . والآن عند ما يذهب المرء إلى شركة غانا للبناء يجد أن الإسرائيليين

فيها يحصلون على أجور أعلى من موظفيهم من أهالى غانا . إن هؤلاء الإسرائيليين يأتون بعالمهم إلى غانا الآن وقد يعطوننا كل ما لديهم من مال ولكن سيأتى وقت يقولون فيه . نريد منكم أن تدفعوا لنا ما أعطيناكم إياه . . وفى ذلك الوقت قد لا نكون فى موقف نستطيع فيه الدفع .

قد تكون لدينا برامجنا الثالثة والرابعة للتنمية . ولهذا فإنى أتوسل إلى الوزير أن يكون غاية فى الحذر مع اليهود وحدهم . ولقد قال رئيس الوزراء إننا محايدون فى كل شىء ولكن ما نفعله الآن ينتهى بنا إلى الاعتماد على اليهود . ولما كانوا عندنا الآن فى خطوط النجم الأسود وفى كليتنا البحرية وغيرها فلماذا لا نتطلع إلى بلاد أخرى ..؟ أريد أن أعرف من الوزير كم من المال أعطانا هؤلاء اليهود وكم أنفقنا بأنفسنا .

عند ما ذهبت إلى إسرائيل وجدت أن اليهود فى إسرائيل لم يستوردوا شيئاً من ألمانيا مثلا . أذا وضع ألمانى ألف جنيه فى مؤسسة إسرائيلية وأراد أن يصدر شيئاً من بلده إلى إسرائيل كان عليه أن يدفع ضرائب قيمتها ٢٠٠٠ جنيه على السلع التى يصدرها لأنه يعتبر رجلا ثريا . إن الكثيرين منهم لا يعرفون حتى كيف يستخدمون المال . إنهم يعيشون فقط فى مساكن شعبية ويعملون جماعات بحيث ينتهى العام وقد نال كل منهم حاجته دون أن ينفق شيئاً . وكانت نتيجة ذلك أنهم يستثمرون كل أموالهم فى غانا حتى يستولوا على كل ما نملك يجب أن نكون حذرين فى تعاملنا مع مثل هؤلاء الناس المهرة ويجب أن نعرف أن غانا ليست بلداً ملعوناً . ولكن اليهود شعب ملعون . وإذا كان الله قد وضعنا فى مثل هذا البلد حيث لدينا غاباتنا وكل شىء فلماذا نسمح لهذا الشعب الملعون أن يأتى ليسيطر علينا . . ؟

مستر أمواه — أيواه :

ليس للمسألة المعروضة للبحث صلة بإسرائيل بهذه الصورة ، وأريد من الأعضاء المحترمين أن يحصروا كلامهم فى المشروع بقانون .

مسز أدوهين :

يعالج المشروع بقانون اتفاقية تجارية بين غانا وإسرائيل ويجب ياسيدى الرئيس أقبل أن أذهب للاقتراض أن أعرف نوع الشخص الذى سأقترض منه . . وعندما

أذهب إلى رئيس المجلس أطلب قرضا ولا يعرفنى السيد الرئيس فإنه لم يعطينى القرض. ولهذا يجب أن تعرف الناس الذين ستتعامل معهم قبل أن تطلب منهم قرضاً . كما قلت من قبل يجب علينا أن نكون غاية فى الحذر مع اليهود وأن تضع حداً للعمليات المستقلة .

ونحن ضد التجارب الذرية المزمع إجراؤها فى صحراء الجزائر . ومن الغريب أن نذكر أن اليهود الذين من المفروض أن يكونوا أصدقاءنا كانوا يقترعون دائماً لصالح فرنسا لا لصالحنا فى هذا الموضوع ، فإذا كان هذا الشعب يقترع لصالح أعدائنا فإننى لهذا أطلب من الوزير أن يكون غاية فى الحذر فى هذه الإتفاقيات .

مستر ك. ك. ك. باه « حزب المؤتمر الشعبي — جوموا الشرقية » :

إنى إذ أشترك فى مناقشة هذا المشروع الهام بقانون أقول إنه من تجاربى كرجل أعمال أن اتفاقيات التجارة والدفع ليست مسائل عاطفية . . فليس هناك شعب يعطى مساعدة مالية لبلد آخر دون ضمان وجود بعض القيود وقبل أن توقع هذه الاتفاقية يجب أن نعرف كم سنحصل عليه منهم وكم سيحصلون عليه منا ، ومما يدهشنى أبلغ الدهشة أن هذه هى الإتفاقية الأولى للتجارة والدفع على أساس القرض والتى تدخلها غانا ومع من . . ؟ مع إسرائيل دون غيرها من الدول . .

إن المعروف فى دوائر الأعمال أن على المرء قبل أن يوقع أى اتفاق تجارى أو اتفاقات دفع أن يسعى للبحث عن الاسعار فى الاسواق العالمية ، وفى هذه الحالة أود أن أعرف من سيادة الوزير مقدار حجم ما استورد من كيات الاسمنت من إسرائيل . . وإننى لواثق أن أى شركة خاصة فى غانا كان يمكنها التعاقد مع أى مصنع فيما وراء البحار عن الاسمنت بأسعار أقل من تلك التي باعت لنا بها حكومة إسرائيل .

وإذا كانت الحكومة بإقدامها على تلك الإتفاقية التجارية واتفاقية الدفع مع إسرائيل قد أقامت منظمة تجارية معها ، فالأمر يستحسن نسأل أى المواد يمكن أن تمدنا بها إسرائيل لتحقيق مشروع سنواتنا الخمس الثانى للتطور ، ولما كانت هناك كثير من البلاد استعداد لمنحنا نفس التسهيلات ، فعلى حكومتنا أن تحذر كل الحذر وهى تقبل عروض إسرائيل وبمعنى آخر أن تتأكد من أن البضائع التى تمدنا بها

تخضع أسعارها للمنافسة . إن كل تاجر مستثمر ، وعلى المشترين سواء كانوا حكومة أو أفراداً أن يكونوا على حذر دائماً ، فإذا كانت حكومتنا تقوم بدور التاجر فعليها بالضرورة أن تستثمر .

مستر أموا أوياه — نائب الوزير :

أود أن ألتمس من المجلس الموقر : سيدى الرئيس — إن وقف مناقشة هذا المشروع بقانون . نظراً إلى مسائل معينة أثارها الأعضاء المحترمون (صحى صحى) فإنى أود أن أستشير وزيرى قبل أن نمضى فى إجراءات هذا المشروع .

* * *

ونشرت صحيفة لوموند الفرنسية بتاريخ ٩/٣/٦٠ مقالا بعنوان الحصار العربى يدفع إسرائيل إلى التطلع نحو أفريقية :

منذ اثنى عشر عاما لاتفتأ البلاد العربية تفرض على إسرائيل حصاراً اقتصاديا معاديا ، وحتى يتسنى لهم إحباط هذا الحصار قرر القادة الإسرائيليون أن يقطعوا الطريق على جامعة الدول العربية فبعدوا موسى شاريت ، جاءت جولدا مايير فراحت تقوم فى وزارة الخارجية بعملية بعيدة المدى تستهدف إيجاد عملاء اقتصاديين فيما وراء الحجر الصحى الذى أقامه عبد الناصر وحلفاؤه وأحد الخطين الذين نظمتهما العملية عند عاسب وخاصة فى بورما والآخر يشق طريقه نحو أفريقية ولا سيما فى غانا .

وإسرائيل تمتلك الآن مدرسة بحرية فائقة فى إكرا . وقد أنشأها ضباط تابعون للبحرية الإسرائيلية ممن تلقو علومهم فى هذه المدرسة . . أنشأوا فى شهر سبتمبر عام ١٩٥٨ الكلية البحرية فى غانا ، وأشرفوا على تنظيمها وقد فرغ أحد المهندسين الأسرائيليين من تصميمات المبانى المقبلة كما أن الذى يدير مدرسة غانا ضابط إسرائيلى يتولى قيادة اليخت الخاص للدكتور « نكروما » رئيس حكومة غانا .

وفى عام ١٩٥٨ استوردت إسرائيل من غانا سلعاً قيمتها ٦٠ ألف دولار . وسددت الجانب الأكبر منها بشحنات من الأسمنت والاطارات الإسرائيلية .

وهناك ثلاثون خبيرا إسرائيليا وفدوا إلى غانا للمشاركة فى إنشاء صناعات جديدة وشبكات لتوزيع الكهرباء ، وقد راح طيارون إسرائيليون يدرسون فى غانا ، ومن ناحية أخرى ، أخذ طلاب غانا يتلقون علومهم وتدريباتهم فى جامعة القدس اليهودية .

وقد أنشئت شركة « بلاك ستار » للملاحة فى غانا بالاشتراك بين حكومة أكرا وشركة « زيم » اليهودية .. وقد ساهمت الشركة اليهودية فى المشروع بنسبة ٤٠٪ من رأس المال .

وهناك أيضاً شركات إسرائيلية لها أسهم فى شركتين للرى فى نيجيريا ، وشركتين للبناء فى ليبيريا ، كما شيدت شركة « ماير » بتل أبيب — التى تحيط نشاطها فى أفريقية بالكتمان — فندقاً فى مونروفيا ، وعدداً من المنشآت العامة ، وهى فرع من البنك المركزى فى ليبيريا ، وفى عام ١٩٥٧ ، صدرت ليبيريا بضائع تبلغ قيمتها ٦٨ ألف دولار إلى الموانى الإسرائيلية .

وقد أقبلت بعثة اقتصادية من نيجيريا الغربية إلى إسرائيل لدراسة امكانيات تنمية العلاقات التجارية بين البلدين ، تتمة زراعة الموالح فى منطقة « عبادان » !

وثمة شركات من تل أبيب وحيفارست عليها مناقصة عمليات فى أثيوبيا تبلغ نفقاتها عشرة ملايين من الدولارات ، وراحت تشارك فى بناء مواسير المياه فى أديس أبابا ، وإقامة قنوات للرى فى حوض النيل الأزرق وفى اريتريا . وقد صدرت أثيوبيا من منتجاتها ما يبلغ قيمته مليونين من الدولارات إلى إسرائيل فى عام ١٩٥٨ .

على أن العلاقات بين إسرائيل وإفريقية الفرنسية أحدث عهداً ، وأضال شأنا . فمنذ يوم ٧ يناير الماضى ، راح صوت إسرائيل يقدم كل يوم لمدة نصف ساعة برنامجاً موجهاً إلى إفريقية الفرنسية وقد جرت اتصالات رسمية هامة مع جمهورية « تشاد » وجمهورية « السودان الفرنسى » . فقد حضرت جولدا ماير أثناء رحلتها لإفريقية الغربية الفرنسية فى عام ١٩٥٩ ، حضرت الأعياد التى أقيمت احتفالا باستقلال

الكاميرون . كما قام أخيراً مدير الشئون الاقتصادية الإسرائيلي بزيارة غينيا . وأجرى مدير إدارة إفريقية في تل أبيب اتصالات بمعظم عواصم إفريقية الفرنسية .

ومن ناحية أخرى ، فهناك بعض التيارات التجارية تربط إفريقية بإسرائيل منذ أمد طويل . فالجمعية التعاونية التي تحول في الجليل حوالى ٣٠ ألف طن من الخشب سنويا إلى ألواح ، تستورد ٨٠ في المائة من المواد الخام من جابون . وطبقاً للاتفاق التجارى المبرم بين فرنسا وإسرائيل تشترى مدغشقر الأسمنت والثلاجات من إسرائيل على حين تبيع لها البن والجريد والجوت .

ومع ذلك فالتجارة بين إسرائيل وإفريقية الفرنسية مازالت ضئيلة الحجم ففى عام ١٩٥٨ ، فمن ٧٨ ألف طن من البضائع التى صدرت من حيفا إلى إفريقية كان نصيب إفريقية الغربية ٣ آلاف طن وإفريقية الاستوائية الفرنسية ١٩ ألفاً فقط !

ويبدو أن الحرب الاقتصادية والدبلوماسية التى تشنها الجامعة العربية على إسرائيل توفى ثمارها فى الجبهة الأوروبية أكثر مما تؤثر فى الجبهة الرئيسية التى قامت من أجلها .

وهذه الجبهة هى كتلة الدول الإفريقية الآسيوية . . لقد قفزت إسرائيل بمهارة عبر حواجز البلدان العربية . . وهى الآن تقوم بدور كبير فى الأراضى الطامحة المتخلفة التى حصلت على استقلالها حديثاً .

والآن حينما تذهب إلى « دان هوتيل » — الذى يشبه فنادق ميامى — فى تل أبيب . . أو إلى فندق « كينج دافيد » الرائع فى القدس ، فإنك ستجد مجموعات من كبار الرسميين من بورما أو نيجيريا . أو بعض أعضاء من حكومة غانا أو ربما تجد وفد نقابات عمال من غينيا . . وتعيش جماعة من ضباط جيش بورما وعائلاتهم مع المستوطنين قرب حدود إسرائيل الشمالية . . وهذه الجماعة تدرس استراتيجية الزراعة الإسرائيلية ، وذلك بقصد إدخال نظام مشابه لها على حدود بلادهم الشمالية ، وذلك بسبب تشابه البلدين فى وجود اضطرابات عند حدودها الشمالية .

وقد عقدت أكبر شركة للبناء والإنشاءات فى إسرائيل — واسمها سولل بونه — والتى تتبع لاتحاد نقابات العمال ولها رأس مال متداول يفوق مبلغ ٤٥ مليون جنيه . . عقدت اتفاقية تجارية مع منظمة التنمية فى نيجيريا الشرقية .

وتعمل شركة « سولل بونه » أيضاً مع منظمة الإنشاءات القومية فى غانا . . وقد عقدت عدة عقود هامة فى بورما ، وتقوم شركات إسرائيلية أخرى بإنشاء الطرق والأعمال الإنشائية الأخرى فى ليبريا . . وقد ساعدت شركة ملاحة حيفا على تنفيذ مشروعات غانا البحرية .

وهذه المشروعات قد لا تمثل كميات كبيرة من الدولارات أو الاسترليني أو الروبلات ، ولكنها تعنى الكثير بالنسبة إلى إسرائيل . . تعنيها اقتصادياً وسياسياً وسيكولوجياً .. إنها تعنى بديلا عن الأسواق العربية المغلقة وهروباً من من عزلتها عن أفريقيا وآسية التى حاول العرب — وما زالوا يحاولون — فرضها عليها .. وهى كذلك ترضى إسرائيل لأنها تضع تحت تصرف الدول المختلفة المعرفة التى اكتسبتها إسرائيل من تغلبها على المشكلات التى تشابه تماماً المشكلات التى تواجه الأمم الجديدة فى إفريقية وآسيا .. إن أرقام التجارة ليست كبيرة ، ولكنها قد تصبح كذلك .. فصادرت إسرائيل إلى الدول الإفريقية الأسيوية تحتل حوالى ٧٪ من مجموع صادرات إسرائيل » .

« وبعد » ... مرة أخرى .

نحن نطالب بعدم تكرار المأساة ... نطالب بانقاذ إفريقية من السرطان الصهيونى .

إبريل ١٩٥٥ — إبريل ١٩٦٠

من باندونج إلى كوناكرى

« إن معركة شعوب آسيا وأفريقية من أجل حريتها معركة واحدة ، ومعركة شعوب آسيا وأفريقية من أجل تطوير نفسها معركة واحدة ، ومعركة شعوب آسيا وأفريقية من أجل تدعيم السلام معركة واحدة . . .

وليس يخالجنى شك أن شعوبنا سوف تنتصر فى هذه المعركة وأن كفاحنا المشترك سوف ، يتحقق له أن يتطلع إلى عالم تسود فيه الحرية ، وتسود فيه المساواة بين الأجناس والألوان ويعم فيه رخاء لايتجزأ . . . ولا تعوقه الحدود » .

جمال عبد الناصر

هى أحلى أيام العمر . .

الأيام التى التقت فيهـا شعوبنا الأفريقية الأسيوية منذ الثامن عشر من إبريل سنة ١٩٥٥ إلى اليوم الحادى عشر من إبريل سنة ١٩٦٠ .. إنها أحلى أيام العمر .

إنها أعياد الفخر ، والنصر ، إنها لى ولك بمثابة فتح جديد لمستقبل جديد . .

إنها شهادة ميلاد جديدة ، لشعوبنا الأفريقية الآسيوية . .

لقد أتيح لى أن أشهد عن قرب ميلاد هذه الأيام الخالدة ، كانت من أعنف ، وأشد ، ما مر بقارتينا من أيام .

كان اليوم الأول يوم اللقاء فى باندونج .

لقد كانت قلوب الملايين من أبناء القارتين الشقيقتين تتعلق بهذه القرية الصغيرة الواقعة فى غرب جزيرة جاوة . . وكانت البنـاية المتواضعة « كونـكورديا » التى تخفق عليها أعلام شعوبنا الأفريقية الآسيوية كعبة مقدسة للملايين من أبناء القارتين

ووقف أكثر من عشرة آلاف شخص من أبناء الجزر الخضراء من أبنـاء أندونيسيا الذين ذاقوا الأمرين على أيدى الاحتلال الهولندى والاحتلال اليابانى .

وقف هؤلاء يحيون جمـال عبد الناصر ، ونهرو ، وشواين لاى ، وسوكارنو ، وغيرهم وغيرهم من أقطاب القارتين : أفريقية وآسيا ووقف من بعيـد وراء هؤلاء أكثر من ١٢٠٠ مليون من البشر يهتفون للحياة الجديدة التى ستحياها القـارة .. يتضرعون إلى الله أن يكلأ شعوب هاتين القارتين بحبه ورعايته .. ووقفت كل شعوب أفريقية وآسيا لأول مرة فى تاريخها القديم والحديث تصارع معاً الاستعمار .

وجند الاستعمار كل جنوده وزبانيته ، وحلفائه ، وأذنابه ، وبعثر نقوده ، ونفوذه ، ووعوده ، ووعيده ، وحملاته ، وتشنيعاته ، على نطاق واسع ليحول دون انعقاد هذا المؤتمر أو على الأقل ليمنع نجاح هذا المؤتمر .

وبدأ عملاء الاستعمار ، يؤدون واجبهم داخل جلسات المؤتمر .

فاضل الجمالى ، مندوب نورى السعيد ، يتحدث عن الحركات الداخليـة فى كل

من بولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا بالرغم من أن الحديث عن هذه البلاد ليس من جدول أعمال المؤتمر . . ثم يصرخ بصوته الرنان قائلا : إن الاستعمار خير من الشيوعية .

وشارل مالك مندوب كميل شمعون يأبى إلا أن يبارى فاضل الجمالى ، فى دفاعه عن الاستعمار ويأبى إلا أن يصف فكرة التعايش السلمى بأنها فكرة شيوعية لينينية .

ومحمد على رئيس وفد باكستان يهاجم الهند ، وجلال عبده مندوب إيران يهاجم قضايا التحرر ، وكارل روميلو مندوب الفيلبين يندد بالحياد الإيجابى والأمير زرد ردوم ملك كمبوديا السابق يهاجم الصين الشعبية .

وعشرات من المظاهر التى توحى كلها بفشل المؤتمر . . وبدأ رسل الحرية يردون على زبانية الاستعمار . .

إذا كان الاستعمار خيرا من الشيوعية . . . فنحن ياسيد جمالى لا نريد الاستعمار ولا نريد الشيوعية .

وإذا كانت فكرة التعايش السلمى من بنات أفكار لينين كما تقول — ياسيد شارل فإن عيسى ومحمداً عليهما الصلاة والسلام ، قد سبقا الساسة والفلاسفة إلى الدعوة للتعايش السلمى بمئات السنين . وأفحم رسل الاستعمار .. ولكن هل يستحون ؟ لا . لقد راحوا فى اللجنة السياسية يدعون إلى الفرقة ويهددون بإصدار بيان غير ذلك البيان الذى أجمعت الدول على إصداره . وراحوا فى لجنة بحث مشكلات الشعوب التى لا تتمتع بالحكم الذاتى يحاولون إصدار بيانين متعارضين — وكادت كما قال نهرو تقع مهزلة فاضحة لولا تدخل الرئيس جمال عبد الناصر الذى أمكنه بثاقب نظره أن يسد الثغرة الفاصلة بين كتلتين تتخاصمان وتتشاجران . كما وفق أيضاً الرئيس جمال عبد الناصر فى لجنة إقرار السلام فى العالم .

وحالف المؤتمر — كما قال نهرو — النجاح والتوفيق كله بفضل الرئيس عبد الناصر واتساع أفق تفكيره .

وانهارت قلاع الاستعمار . . وانهدت حصونه . . ورفعت الشعوب الأفريقية الآسيوية رؤوسها وهى تستمع إلى قرارات المؤتمر التى صدرت بالإجماع ... قائلة : انتصرنا ... انتصرنا ...

* * *

وفى السادس والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٥٧ التقينا مرة أخرى فى القاهرة . وكان لقاء القاهرة أحر وأعنف . وكانت آمال الاستعمار فى عدم إنجاحه أقل وأضعف

ووقف أنور السادات فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة يحيى باسم شعب مصر أبناء آسيا وأفريقية تحية الود والأخاء . . . تحية ينهض بها قلب مصر قبل أن تنطق بها شفتاها . . . قلب عمره أربعة آلاف سنة تحالف عليه الاستعمار والاستغلال زمناً طويلا ، ولكنه ظل ينبض بالمقاومة الجبارة حتى تحققت له حريته ، وتجدد شبابه ، واستطاع اليوم أن يلقاكم حراً كريماً ، عامراً بالثقة فى المستقبل .

إن مصر ترى فى اجتماعكم على أرضها صورة أخرى من صور حريتها ، فنحن جميعاً شركاء فى تاريخ واحد من الاستعمار والاستغلال . شركاء فى كفاح واحد ، وليس أدل على عمق هذه الوحدة التى تربطنا من تجربة المحنة التى مرت بها مصر منذ سنة واحدة - عندما تآمرت ثلاث دول على غزوها وتدمير حريتها ، لقد هبت شعوب آسيا وإفريقيا فى تلك اللحظة الفاصلة لنجدة مصر . وعبرت عن مؤازرتها لها بكل ما تملك من وسائل . . وهنا شعر الذين كانوا يضربون بور سعيد أنهم لا يضربون مدينة واحدة ، بل يضربون قارتين هائلتين . . شعر المعتدون أنهم لا يضربون بيوت الآمنين الوادعين فحسب ، ولكنهم يضربون معنى سامياً للعدل والحرية ، وصمم ألف مليون من البشر على حمايته . . فارتجفت أيدى المعتدين ، وخارت قلوبهم ارتفعت روح مصر التى كانت تقف فى خط النار إلى قمتها . . فلما انحسر العدوان وجاء النصر لم يكن نصراً لمصر وحدها بل كان نصراً باسمكم أجمعين .

ومصر ، إذ تعرف لكم اليوم هذا الجميل ، بترحيبها بكم ، إنما تعلم جيداً أن الطريق الوحيد للوفاء بهذا الدين هو أن تكون قوة فعالة ، عاملة من أجل تخليص سائر الشعوب من الاستعمار ، وحماية سائر الشعوب من مثل الخطر الذى تعرضت له .

إننا لا نستطيع أن نعيش سالمين فى عالم مهدد بالحرب . . إننا لا نستطيع أن نستمتع بخيراتنا فى عالم يعيش فيه السلب . إننا لا نستطيع أن نبنى ونعمر فى عالم ينتج أسلحة التدمير والتخريب . إننا لا نستطيع أن نرفع مستوى معيشة شعوبنا ونعالج أمراضها وأوبئتها فى عالم يتبارى فى وسائل القتل . ولقد مضى إلى الأبد العهد الذى

كان مستقبل الحرب والسلم يقرر فيه فى عواصم أوروبية قليلة . إننا اليوم قادرون على تقرير هذا المستقبل . إن وزننا فى الميزان الدولى كبير . واذكروا فقط عددنا ، ومواردنا ، ورقعتنا الواسعة ، ومواقعنا الاستراتيجية تجدون أن الحرب مستحيلة الوقوع إذا صممنا على السلام . وإذا جعلنا تصميمنا ليس مجرد موقف سلبي وحولناه إلى عمل إيجابى من أجل السلام .

إن هذه النقلة من السلبية إلى الإيجابية أساس يجب أن نتبناه .

نحن فى مصر مثلا نؤمن بالحياد وعدم الإنحياز ، وكثير من الأصدقاء فى آسيا وإفريقيا يشاركوننا هذا الإيمان . ونحن نؤمن بأننا بهذا الموقف نبعد شبح الحرب ، ونضيق الرقعة أمام الكتل المتنازعة ، ونوجد منطقة سلام واسعة . . ولكن هذا الحياد الذى نؤمن به ، إذا كان يعنى البعد عن الدخول فى كتل دولية فإنه يعنى أيضاً بذل الجهد الإيجابى للتقريب بين هذه الكتل .

على هذا النحو نفهم فى مصر مسئوليتنا إزاء الأسرة العالمية . وهو فهم نعلنه ونجاهر به ، ولا نخفى وراءه شيئا . وقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبته التى ألقاها فى مدينة بور سعيد يوم ذكرى تحريرها ، إذ قال : « اليوم من بور سعيد نتجه إلى العالم كله ونطالب بتثبيت قواعد العدالة وحق تقرير المصير ، نتجه من بور سعيد للعالم كله ونطالب بأن تعطى كل دولة مستعمرة استقلالها لتحكم نفسها بنفسها . اليوم من بور سعيد ننظر للعالم كله ونقول : إنه رغم أننا ابتلينا بالعدوان ورغم أن هنالك دولا كبرى قد اعتدت علينا ، فإن هدفنا كان السلام ، وهدفنا اليوم أيضاً هو السلام . إننى باسم مصر أوجه من بور سعيد دعوة إلى العالم كله من أجل السلام ، ومن أجل نبذ الحروب ، ومن أجل إزالة التوتر ، ومن أجل القضاء على الحرب الباردة . لقد رأينا الحرب فى بور سعيد وقاسينا منها ولكن الحرب العالمية إذا نشبت بأسلحتها الذرية والهيدروجينية سوف تقضى على العالم وتقضى على الحضارة ، ونحن باعتبارنا جزءاً من الإنسانية ابتلى بالعدوان من الدول الاستعمارية ، نطالب بمنع التجارب الذرية ونطالب بتحريم الأسلحة الذرية ونطالب بنزع السلاح والعمل من أجل السلام » .

وتحدثت السيدة راميشوراى نهرو رئيسة الوفد الهندى فقالت :

ولا يزال الاستعمار بالرغم من ضعفه المتزايد متمكناً فى آسيا وفى أغلب بلاد إفريقيا ، والتحكم الأستعمارى لا يزال ينكل بأهالى البلاد التى تثور عليه . فنى الجزائر وفى إريان الغربية وفى أوكيناوا وتايوان وجوا وغيرها من البلاد تسحق الأهالى تحت أقدام الأجانب ، ورغم نضال هذه البلاد فى سبيل الاستقلال فإن المستعمر لا يزال يقبض عليها بيد من حديد . وسيطرة الاستعمار لا تزال قائمة . ولا يزال هؤلاء المستعمرون يعيشون فى الماضى ويأبون أن يعترفوا بالأوضاع الجديدة . إن عواطفنا كلها مع هؤلاء المناضلين ونحن نؤيدهم جميعاً أدبياً ونتمنى لهم النجاح .

وإننا لنعلن من هذا المؤتمر أننا نعتبر جميع حركات النضال من أجل الحرية فى أى جزء من أجزاء آسيا وإفريقيا بمثابة نضالنا نحن ، فطالما بقيت هناك سيطرة أجنبية فى أى مكان تظل حرياتنا مهددة بالخطرة . وأن صداقتنا لأية دولة يحددها مدى اعترافنا بحق الشعب فى الحرية ، ذلك الحق الذى لا سبيل للحيدة عنه .

فلقد كتب على الصفحة المخزية من صفحات السيطرة والإستغلال أن تنطوى وأن تنتهى الآن » .

ونجح مؤتمر التضامن الإفريقى الآسيوى فى القاهرة نجاحاً لم يكن أحد — حتى أشد الناس تفاؤلا — يتصوره .

وبدأت موجات الاستعمار ، تنحسر عن القارتين ، إفريقية وآسيا .

وبدأت شعوب القارتين تتلاقى وتتعاون لما فيه خير السلام العالمى ، ولما فيه خير البشرية كلها .

وفى ١٥ إبريل سنة ١٩٥٨ التقينا فى أكرا . . ولم تفقد الدوائر الاستعمارية أملها فى إفساد المؤتمر . . وراحت هذه الدول تحاول تقسيم البلاد الإفريقية ، وتمزيقها . .

وكما نجحت شعوبنا فى باندونج وفى القاهرة . . نجحت أيضاً فى أكرا . .

ثم التقينا مرة أخرى فى القاهرة فى مؤتمر الشباب الإفريقى الآسيوى . . وكان النجاح . . أروع . . وأعظم . .

وفى هذه المؤتمرات استطاعت الشعوب الأفريقية الآسيوية الوصول إلى قرارات رائعة تعتبر سجلات خالدة فى تاريخ الشعوب الأفريقية الآسيوية .

ولابد هنا من ذكر ملخص لها لتكون أوسمة على صدر كل إفريقى وآسيوى .

ولنبدأ بقرارت مؤتمر باندونج . والنواحى السياسية فى هذه القرارات تتلخص فى :

(ج) حقوق الإنسان وتقرير المصير :

١ — أعلن المؤتمر الآسيوى والإفريقى تأييده الكامل للمبادىء الأساسية لحقوق الإنسان ، كما هى واردة فى ميثاق الأمم المتحدة ، ولاحظ البيان العالمى لحقوق الإنسان باعتباره حداً عاماً لجميع الشعوب ولجميع الأمم .

وأعلن المؤتمر تأييده الكامل لمبدأ تقرير المصير للشعوب والأمم ، كما هو وارد فى ميثاق الأمم المتحدة . ولاحظ قرارات الأمم المتحدة الصادرة بشأن حقوق الشعوب والأمم فى تقرير المصير ، وهو أمر لا مناص منه للتمتع الكامل بحقوق الإنسان الأساسية .

٢ — واستنكر المؤتمر الآسيوى الإفريقى السياسات والمعاملات الخاصة بالتفرقة والتمييز العنصرى التى تقوم عليها أسس الحكم والعلاقات الإنسانية فى مناطق شاسعة من إفريقيا ، وفى أجزاء أخرى من العالم فمثل ذلك السلوك لا يعتبر اعتداء خطيراً على حقوق الإنسان فحسب ، بل هو كذلك إنكار للقيم الأساسية للحضارة وللكرامة الإنسانية .

وأعرب المؤتمر عن عطفه الحار وتأييده للموقف الشجاع الذى يقفه ضحايا التمييز العنصرى ، وخاصة الشعوب الإفريقية التى من أصل هندى وباكستانى فى إفريقيا الجنوبية ، وحيى المؤتمر أولئك الذين يدافعون عن قضيتهم ، وأكد إصرار الشعوب الآسيوية الإفريقية على اجتثاث جذور كل أثر للعنصرية ، مما قد يكون متخلفاً فى بلادها ، وتعهد باستخدام نفوذه المعنوى الكامل ، للحيلولة دون خطر سقوط ضحايا لهذا الشر أثناء نضال الشعوب فى سبيل اجتثاثه .

(د) مشاكل الشعوب التابعة :

١ — ناقش المؤتمر الأسيوى الأفريقى مشاكل الشعوب التابعة والاستعمار ، والشرور التى تنتج عن إخضاع الشعوب للاستعباد والسيطرة والاستغلال الأجنبى واتفق المؤتمر على ما يلى :

(أ) إعلان أن الاستعمار فى جميع مظاهره شر يجب وضع نهاية عاجلة له .

(ب) تأكيد أن خضوع الشعوب للاستعباد والسيطرة والاستغلال الأجنبى ، إنكار لحقوق الإنسان الأساسية ومناقض لميثاق الأمم المتحدة ، ومعرقل لتنمية السلم والتعاون العالمى .

(ح) إعلان تأييده لقضية الحرية والاستقلال لجميع تلك الشعوب .

(د) دعوته الدول المعنية إلى منح الحرية والاستقلال لمثل تلك الشعوب .

٣ — بالنظر إلى الموقف غير المستقل فى شمال أفريقيا ، وللإمعان فى إنكار حق شمال أفريقيا فى تقرير مصيرها — يعلن المؤتمر الأسيوى الأفريقى تأييده لحقوق شعوب الجزائر وتونس ومراكش فى تقرير المصير والاستقلال ، ويحث الحكومة الفرنسية على أن تحقق التسوية السلمية للقضية دون تأخير .

(ه) المشاكل الأخرى :

١ — بالنظر إلى التوتر القائم فى الشرق الأوسط بسبب الموقف فى فلسطين ، وخطر ذلك التوتر على السلم العالمى — أعلن المؤتمر الأسيوى الأفريقى تأييده لحقوق شعب فلسطين العربى ، ودعا إلى تطبيق قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين ، وإلى تحقيق التسوية السلمية لمسأله فلسطين . .

٣ — أيد المؤتمر الأسيوى الأفريقى ، فى نطاق موقفه البين للقضاء على الاستعمار ، موقف أندونيسيا فى قضية إيريان الغربية القائم على الاتفاقات المبرمة بين أندونيسيا وهولندا فى هذا الشأن .

وحث المؤتمر الأسيوى الأفريقى حكومة هولندا على أن تعيد فتح المفاوضات بأسرع ما يمكن ، لتنفيذ التزاماتها وفقاً للاتفاقات السابق ذكرها . وأعرب

عن أمله الوطيد فى أن تساعد الأمم المتحـــدة الطرفين المعنيين فى إيجاد حل سلمى للنزاع .

٣ — أيد المؤتمر الأسيوى الأفريقى موقف اليمن فى قضية عدن والمناطق الجنوبية من اليمن المعروفة بالمحميات . وحث الطرفين المعنيين على الوصول إلى تسوية سلمية للنزاع .

(و) دعم السلام والتعاون الدولى :

١ — رأى المؤتمر الأسيوى الأفريقى ، وقد لاحظ الحقيقة وهى أن عدة دول لم تضم بعد للأمم المتحدة ، أن التعاون الفعال فى سبيل السلام العالمى ، يقتضى أن تـكون عضوية الأمم المتحدة عامة . ودعا مجلس الأمن إلى تأييد ضم جميع تلك الدول ذات الـكفاية للعضوية وفقاً للميثاق . ومن رأى المؤتمر الأسيوى الأفريقى أن من الدول المشتركة فيه ، ذات الـكفاية لعضوية الأمم المتحدة ، دول كمبوديا ، وسيلان ، واليابان ، والأردن ، وليبيا ، ونيبال ، وفيتنام الموحدة .

ورأى المؤتمر أن تمثيل بلاد المنطقة الأسيوية الأفريقية فى مجلس الأمن وفقاً لمبدأ التقسيم الجغرافى العادل غير مناسب . ويعرب المؤتمر عن وجهة نظره بأنه من الضرورى . فيما يتعلق بتوزيع مقاعد الأعضاء غير الدائمين للبلاد الأسيوية الأفريقية المستبعدة من الانتخاب وفقاً للترتيبات التى توصل إليها فى لندن عام ١٩٤٦ ، أن تمـكن من الاشتراك فى مجلس الأمن حتى تستطيع أن تساهم مساهمة فعالة أكبر فى صيانة السلام الدولى والأمن .

٢ — قدر المؤتمر الأسيوى الأفريقى الوضع الخطير للتوتر الدولى القائم ، والأخطار التى تواجه البشرية جمعاء من نشوب حرب عالمية تستخدم فيها القوة المدمرة لشتى الأسلحة ، ومن بينها الأسلحة الذرية والهيدروجينية . وأهاب بجميع الشعوب أن تقدر النتائج المفزعه التى تنجم من نشوب مثل هذه الحرب .

ورأى المؤتمر أن نزع السلاح ، وتحريم إنتاج الأسلحة الذرية والهيدروجينية وتجربتها . واستخدامها — ضرورى لإنقاذ البشرية والحضارة من هول الدمار الشامل

ومغبته . ورأى أن شعوب آسيا وأفريقيا المؤتمرة هنا يحملون واجبا تجاه البشرية والحضارة أن يعملوا لنزع السلاح وتحريم تلك الأسلحة . وأن يناشدوا الشعوب ذات الشأن والرأى العالمى حتى يتحقق نزع السلاح وخطر التسلح .

ورأى المؤتمر أنه لا مناص من قيام مراقبة دولية فعالة لتحقيق نزع السلاح وتحريم التسلح ، وأن من الواجب بذل جهود عاجلة حاسمة فى سبيل ذلك .

وإلى أن يتم الحظر التام لصناعة الأسلحة الذرية والهيدروهينية ، أهاب المؤتمر بجميع الدول ذات الشأن أن تصل إلى اتفاق لوقف تجارب مثل تلك الأسلحة .

وأعلن المؤتمر أن نزع السلاح العام ضرورة مطلقة لصيانة السلام ، وطالب الأمم المتحدة بمواصلة جهودها . وأهاب بجميع أصحاب ذات الشأن أن يصلوا سراعا إلى التنظيم والتحديد والمراقبة والخفض لجميع القوات المسلحة والأسلحة ، بما فى ذلك تحريم الإنتاج لأسلحة الدمار الجماعى وتجربتها واستخدامها ، وأن تنشأ رقابة دولية فعالة لهذه الغاية .

(ز) إعلان توكيد السلام والتعاون العالميين :

بحث المؤتمر الأسيوى الأفريقى ، فى عناية ، موضوع السلام والتعاون العالميين . وراقب فى اهتمام بالغ ، حالة التوتر الدولى الراهنة ، وما تنطوى عليه من خطر حرب ذرية عالمية . ولما كان موضوع السلام وثيق الصلة بموضوع الأمن الدولى ، فيجب أن تتعاون الدول كلها ، وخاصة عن طريق الأمم المتحدة لتحقيق خفض التسلح وتحريم الأسلحة الذرية بإشراف رقابة دولية فعالة . وبهذا يتقدم السلام العالمى ، ويمكن أن تستخدم الطاقة الذرية فى المقاصد السلمية دون سواها . ومن شأن ذلك أن ييسر الحصول على مطالب الحياة ، وخاصة فى آسيا وأفريقيا ، إذ تمس حاجتهما إلى التقدم الاجتماعى وإلى مستويات أعلى للحياة مع حرية أعظم ، فالحرية والسلام مرتبطان ، وحق تقرير المصير يجب أن تتمتع به جميع الشعوب والحرية والاستقلال يجب أن يمنحا بأسرع ما يستطاع لتلك الشعوب التى لا تزال غير مستقلة .

ومن الطبيعى أن يكون لجميع الأمم الحق فى أن تختار ، بحرية نظمها السياسية

والاقتصادية وطريقة حياتها وفقاً لأغراض ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة . وبالتحرر من الشك والخوف ، وبالثقة وحسن النية المتبادلين ، يجب على الأمم أن تمارس التسامح ، وأن تعيش معها فى سلام ، جيراناً صالحين يعملون لتمكين التعاون الصادق على الأسس الآتية .

١ — احترام حقوق الإنسان الأساسية ، وأغراض ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة .

٢ — احترام سيادة جميع الأمم وسلامة أراضيها .

٣ — الاعتراف بالمساواة بين جميع الأجناس ، وبين جميع الأمم كبيرها وصغيرها .

٤ — الامتناع عن أى تدخل فى الشئون الداخلية لبلد آخر .

٥ — احترام حق كل أمة فى الدفاع عن نفسها انفرادياً أو جماعياً ، وفقاً لميثاق الأمم المتحدة .

٦ — الامتناع عن استخدام التنظيمات الدفاعية الجماعية لخدمة المصالح الذاتية لأية دولة من الدول الكبرى .

(ب) امتناع أى بلد عن الضغط على غيرها من البلاد .

٧ — تجنب الأعمال أو التهديدات العدوانية أو استخدام العنف ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسى لأى بلد من البلاد .

٨ — تسوية جميع المنازعات الدولية بالوسائل السلمية ، مثل التفاوض أوالتوفيق أو التحكيم أو التسوية القضائية ، أو أى وسيلة سلمية أخرى تختارها الأطراف المعنية وفقاً لميثاق الأمم المتحدة .

٩ — تنمية المصالح المشتركة والتعاون المتبادل .

١٠ — احترام العدالة والالتزامات الدولية .

ويعلن المؤتمر الأسيوى الأفريقى عن إيمانه بأن التعاون الصادق ، وفق هذه

المبادىء ، يؤدى حقاً إلى كفالة السلام والأمن العالميين وتوطيد أركانهما ، كما أن التعاون فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية يؤدى إلى الازدهار العام والخير الشامل .

أما ديباجة مؤتمر التضامن الأفريقى الأسيوى فكانت كما يلى :

نحن الشعوب الأسيوية الأفريقية الذين اجتمعنا فى القاهرة من ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٥٧ إلى الأول من يناير سنة ١٩٥٨ لبحث المسائل الدولية عامة مع العناية بالقضايا التى تهم الشعوب الأسيوية الأفريقية خاصة .

لقد استعرضنا المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى تواجه شعوبنا . دون أن يحدونا غير شعور واحد ، وهو التعاون والوحدة بين شعوبنا والصداقة الكاملة نحو كافة شعوب العالم .

وبعد سبعة أيام من المناقشات الودية وافق المؤتمر بالإجماع على عدة مقترحات لحل المشاكل المتخلفة ، الأمر الذى يدل على أن شعوب آسيا وأفريقيا ، وهى تعمل على تدعيم السلام ، وقد بلغت مستوى عاليا من الوحدة كما توصلت إلى برنامج مشترك تعمل بمقتضاه ، وقد وافق المؤتمر بالإجماع على إنشاء هيئة دائمة فى القاهرة هدفها العمل على تحقيق قراراته .

وإنا لنعلن أن المبادىء التى أقرها مؤتمر باندونج فى أبريل من سنة ١٩٥٥ يجب أن تظل أسساً للعلاقات الدولية ، وأننا لنؤكد من جديد تأييدنا المطلق لتلك المبادىء العشرة التى لاقت على الدوام تأييد شعوبنا خلال السنوات الماضية وهى :

١ — احترام حقوق الإنسان الأساسية — ومبادىء وأهداف ميثاق الأمم المتحدة .

٢ — احترام سيادة الأمم وسلامة أراضيها .

٣ — الاعتراف بالمساواة بين جميع الأجناس — وبين جميع الأمم كبيرها وصغيرها

٤ — الامتناع عن أى تدخل فى الشئون الداخلية لأى بلد آخر .

٥ — احترام حق كل أمة فى الدفاع عن نفسها انفراديا أو جماعياً وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

٦ — (أ) الامتناع عن استخدام التنظيمات الدفاعية الجماعية لخدمة المصالح الذاتية لأية دولة من الدول الكبرى .

(ب) امتناع أى دولة عن الضغط على غيرها من الأقطار .

٧ — تجنب الأعمال أو التهديدات العدوانية أو استخدام العنف ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسى لأى بلد من البلاد .

٨ — تسوية جميع المنازعات الدولية بالوسائل السلمية مثل التفاوض أو التوفيق أو التحكيم أو التسوية القضائية أو أى وسيلة سلمية أخرى تختارها الأطراف المعينة وفقاً لميثاق الأمم المتحدة .

٩ — تنمية المصالح المشتركة والتعاون المتبادل .

١٠ — احترام العدالة والالتزامات الدولية .

وإننا على يقين من أن هذه المبادىء العشرة لو قبلها الجميع لزال حتما التوتر العالمى الحالى ولقضى على الخوف المميت من الدمار الذى يستحوذ على أفئدة الملايين من البشر .

وإننا نعلن أنه لا يمكن ارساء السلام على دعامات ثابتة إلا إذا عملنا على إزالة التوتر . وأننا لنرحب بكل خطوة فى هذا السبيل ، ونهيب بشعوب العالم أن تعمل بكل ما أوتيت من إمكانيات فى سبيل خلق مجالات للتفاهم والتقارب ، الأمر الذى سيؤدى حتما إلى نزع السلاح وتحريم إنتاج الأسلحة الذرية وتجربتها واستخدامها ، وأن تعمل فى سبيل توجيه المجهودات العلمية والطاقة النووية إلى الأغراض السلمية خدمة للبشرية وتحقيقا لرفاهيتها بالتعاون التام وعلى قدم المساواة بين الأمم طبقاً لميثاق الأمم المتحدة .

وأن الشعوب الأسيوية الأفريقية لتؤمن بأن السيطرة الاستعمارية والاستغلال الأجنبي والشرور الأخرى التى تنجم عن استعباد الشعوب هى إنكار لحقوق الإنسان

الاساسية وانتهاك لميثاق الأمم المتحدة فضلا عما يترتب عليها من أضرار بالحكومات والمحكومين مما يعرقل نشر السلام والتعاون العالمى . إن بقاء الاستعمار لا يتفق مع العهد الجديد الذى يمر به العالم الآن ، والشعوب الأسيوية والأفريقية تؤمن إيماناً قاطعاً بحق كل شعب فى الحرية والاستقلال .

أن الشعوب الأسيوية الأفريقية تريد الوحدة ، وتريد أن تعمل متعاونة من أجل الكفاح فى سبيل خير الشعوب الأسيوية الأفريقية والجنس البشرى كله . وسوف نكرس جهودنا دون كلل من أجل تحقيق سلام دائم فى العالم .

إن السلام لا محالة منتصر . وفى وسع البشرية أن تواجه مستقبلها فى أمل وثقة .

هذه هى رسالة العام الجديد يبعث بها مؤتمر الشعوب الأفريقية الأسيوية إلى العالم أجمع

القرارات الخاصة بالاستعمار

إن مؤتمر الشعوب الأفريقية الأسيوية يعتقد اعتقاداً راسخا أن الأطماع الاستعمارية تؤدى إلى التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى ، وإلى عقد الأحلاف والمواثيق العسكرية والسياسية الموجهة ضد السلام العالمى ، كما تؤدى تلك المطامع إلى التآمر على الحكومات الوطنية ، وإلى خلق حالة من التوتر المستمر فى العلاقات الدولية ، وإلى اغتصاب الحقوق الطبيعية للأمم الصغيرة فى الحرية والسيادة والاستقلال ، وهى تؤدى كذلك إلى إثارة الحرب الباردة ، وإلى قيام التسابق فى التسلح ، وهذه العوامل جميعها يمكن أن تشعل حربا وخيمة العواقب على الجنس البشرى .

ومن أجل هذا ، وتمشيا مع روح مؤتمر باندونج ، يستنكر المؤتمر :

١ — الاستعمار فى كل صوره ومظاهره .

٢ — التدخل الأجنبي فى شئون الدول الأخرى .

٣ — الأحلاف والمواثيق العسكرية والسياسية التى تخلق مناطق نفوذ مهيمنة وتهدد السلام العالمى وتقضى على أمانى الشعوب .

٤ — المعونات العسكرية لبلد أو لمجموعة من البلاد التى من شأنها تهديد البلاد المجاورة تهديداً يضطرها إلى زيادة ميزانياتها العسكرية ، الأمر الذى يترتب عليه إعاقة تطور شعوبها الاقتصادى .

٥ — المعاهدات التى تمس السيادة القومية للأمم .

٦ — استغلال الاقتصاد الوطنى فى البلاد الأخرى لمصلحة الدول الاستعمارية .

٧ — التآمر على الحكومات الوطنية للاحاطة بها تمكينا لمصالح المستعمرين .

٨ — الآعانات الملقة على شروط ضارة بمصالح الدول الصغيرة وتؤدى فى النهاية إلى الإخلال بسيادتها واستقلالها .

٩ — إقامة قوات وقواعد عسكرية أجنبية على أراضى الدول الأخرى .

ويرى المؤتمر فى السياسة المبينة فى « البانتاشيلا » وفى مبادىء « باندونج » العشرة ، خير طريق لتخفيف حدة التوتر الدولى وإنهاء الحرب الباردة .

ومن أجل هذا ، يعلن المؤتمر أنه يؤيد تأييداً كاملا حقوق الشعوب :

١ — فى الحرية ، وتقرير المصير ، والسيادة ، والاستقلال التام .

٢ — فى تسوية مشكلاتها الداخلية بنفسها .

٣ — فى اختيار نظم الحكم التى ترتضيها طبقاً لرغباتها .

ويلفت المؤتمر نظر العالم إلى ما يأتى :

١ — المستعمرات والمحميات :

يطالب المؤتمر بإقرار حق المستعمرات والمحميات فى الاستقلال التام وبأن تضع الدول الكبرى صاحبة الشأن ذلك الحق موضع التنفيذ دون تأخير .

٢ — البلاد الموضوعة تحت الوصاية :

يطلب المؤتمر من الأمم المتحدة أن تنهى الوصاية على البلاد الخاضعة لها ، وأن تعترف باستقلالها التام ، وأن تتخذ الخطوات العاجلة لتحقيق هذه الغاية .

٣ — الإضطهاد السياسى :

يطلب المؤتمر وضع حد للاضطهاد السياسى للأشخاص المشتركين فى الحركات الوطنية ضد الاستعمار .

كما يطلب أن يعلن عفو عام عن جميع المجاهدين الذين تعرضوا للسجن والنفى للأسباب المذكورة بحيث يتم الإفراج عن المسجونين منهم والسماح للمنفيين منهم بالعودة إلى أوطانهم .

٤ — الكمرون :

يؤيد المؤتمر مطالب شعب الكمرون .

ويرجو المؤتمر أن تقدر الأمم المتحدة ما ينطوى عليه الموقف فى الكمرون من خطورة .

كما يدعو الشعوب الأفريقية والأسيوية إلى تقديم مساعداتها إلى شعب الكمرون فى نضاله من أجل وحدته واستقلاله .

ويستنكر المؤتمر الإجراءات العنيفة التى تتخذها السلطات الفرنسية فى هذه البلاد ، ويناشد الرأى العام الفرنسى أن يحمل حكومته على وقف تلك الإجراءات .

٥ — كينيا :

يؤيد المؤتمر حق شعب كينيا فى تقرير مصيره واستعادة أراضيه المغتصبة . ويؤيد كذلك مطالب شعب كينيا الخاصة بعرض قضيته على مجلس الأمن ، وبأن تعين الأمم المتحدة لجنة لتحقيق الجرائم التى ارتكبها البريطانيون خلال سنوات ثلاث من الحرب الاستعمارية .

ويؤيد المؤتمر أيضاً المطلب الخاص بالإفراج عن جميع المسجونين السياسيين .

٦ — أوغندا :

يؤيد المؤتمر طلب شعب أوغندا الخاص بعرض قضيته على الأمم المتحدة .

٧ — تشاد :

يؤيد المؤتمر شعب تشاد فى كفاحة من أجل استقلال بلاده من سيطرة الحكم الفرنسى .

٨ — توجولاند :

يدعو المؤتمر شعوب آسيا وأفريقيا أن ترقب بعناية الاستفتاء الشعبى الذى سيجرى فى توجولاند الواقعة تحت الوصاية الفرنسية فى سنة ١٩٥٨ .

كما يدعوها إلى إرسال مراقبين لتتبع ذلك الاستفتاء فى الوقت المناسب . ويؤيد مطلب شعب توجو فى العفو عن المحكوم عليهم سياسيا وإطلاق سراحهم حتى لا يحرم هؤلاء الوطنيون من ممارسة حقوقهم الانتخابية .

٩ — مدغشقر :

يؤيد المؤتمر نضال شعب مدغشقر لاستعادة سيادته القومية .

ويؤيد كذلك المطلب الخاص بالعفو الشامل عن الوطنيين المحكوم عليهم فى سنة ١٩٤٧ .

١٠ — اليمن :

يؤيد المؤتمر نضال الشعب اليمنى ومطالبه فى الشمال والجنوب (عدن والمحميات) فى سبيل تحرير الجنوب ووحدته مع الشمال ، ويستنكر الحوادث الدامية التى تقع فى الجنوب .

ويستنكر المؤتمر أيضا الفظائع التى يتعرض لها الشعب نتيجة لوجود القواعد البريطانية فى هذه المنطقة .

ويطلب المؤتمر الجلاء عن تلك القواعد وسحب القوات الأجنبية من المنطقة .

١١ — الخليج العربى :

يؤيد المؤتمر حق الشعب العربى فى الخليج العربى وفى البحرين العربية فى الاستقلال

ويطالب بوقف العدوان على عمان ، وبسحب الجيوش الأجنبية من منطقة الخليج العربى .

ويناشد المؤتمر الشعوب الآسيوية الأفريقية أن تعترف باستقلال عمان .

ويؤيد المؤتمر مطلب شعب عمان الخاصين بإطلاق سراح الزعماء المسجونين سياسيا وبإيفاد لجنة محايدة لتحقيق الفظائع التي يرتكبها البريطانيون ضد الشعب .

١٢ — أندونيسيا :

يؤيد المؤتمر مطلب الشعب الأندونيسي لاستعادة اريان الغربية فهى جزء لا يتجزأ من الجمهورية الأندونيسية .

ويقر المؤتمر بأن جميع المياه الإقليمية حول وبين جزر الأرخبيل الأندونيسى هى كلها ضمن نطاق السيادة القومية لأندونيسيا .

ويؤيد المؤتمر الخطوات التى اتخذتها حكومة أندونيسيا لاستعادة أريان الغربية استعادة شرعية .

ويوصى المؤتمر بأن لا تسمح البلاد المجاورة لأندونيسيا بأن تستخدم هولندا مرافئها ومطاراتها لحشد الجنود والأسلحة أو لأى غرض آخر ينطوى على عداء لأندونيسيا .

١٣ — أوكيناوا :

يؤيد المؤتمر طلب الشعب اليابانى الخاص باستعادة أوكيناوا فورا . ويطلب من الأمم المتحدة أن توصى الولايات الأمريكية واليابان باتخاذ الإجراءات اللازمة لإعادة أوكيناوا إلى اليابان عاجلا .

١٤ — قبرص :

يؤيد المؤتمر نضال شعب قبرص لتقرير مصيره حفظا للسلام فى الشرق الأوسط والعالم .

ويطلب المؤتمر أيضاً أن توصى الأمم المتحدة بتطبيق مبدأ تقرير المصير فى حالة قبرص ، ويناشد حكومات بلاد آسيا وأفريقيا باتخاذ الخطوات المناسبة فى هذا الشأن .

١٥ — جوا :

يؤيد المؤتمر المطلب الهندى الخاص باستعادة « جوا » فهى جزء لا يتجزأ من الهند .

١٦ — كوريا :

يؤيد المؤتمر طلب شعب كوريا أن يتم توحيد كوريا بالطرق السلمية بواسطة الشعب الكورى نفسه دون أى إكراه أجنبى .

ويؤيد كذلك مطالبة الشعب الكورى بسحب جميع القوات المسلحة الأجنبية من الأراضى الكورية . ويؤيد أيضاً مطلبه الخاص بتطبيق شروط اتفاقية الهدنة تطبيقاً دقيقاً ، وبتحويل الهدنة إلى صلح دائم .

ويرى المؤتمر أن يدعى مؤتمر من الأمم ذات الشأن فى الحال لتحقيق توحيد كوريا بالطرق السلمية .

ويوصى أيضاً السلطات فى شمال كوريا وجنوبها بعمل اتصالات مباشرة ومتبادلة فيما بينهما لمصلحة الشعب الكورى برمته ولحفظ السلام العالمى .

١٧ — فيتنام :

يؤيد المؤتمر المطالب الشرعية لشعب فيتنام فى شأن :

١ — تنفيذ اتفاقات جنيف تنفيذاً كاملا .

٢ — وضع حد لتدخل المستعمرين فى جنوب فيتنام .

٣ — عقد مؤتمر استشارى من سلطات فيتنام فى الشمال والجنوب لمناقشة الانتخابات العامة الحرة الشاملة للأمة جميعها بغية توحيد فيتنام طبقاً لاتفاقيات جنيف .

١٨ — خليج العقبة :

يقرر المؤتمر أن خليج العقبة هو خليج عربى مغلق ضمن المياه الإقليمية للدول العربية .

١٩ — المغرب :

يؤيد المؤتمر طلب المغرب لاسترجاع جميع المناطق التى لا يزال الاستعمار يسيطر عليها ، تحقيقا لوحدة المغرب واستقلاله التام .

٢٠ — الصومال :

يؤيد المؤتمر الشعب الصومالى فى نضاله من أجل الاستقلال ويعترف بحقه فى تقرير المصير .

٢١ — الأمة العربية :

يؤيد المؤتمر كفاح الشعوب العربية فى سبيل الوحدة والاستقلال والتحرر من النفوذ الأجنبى .

ويستنكر بشدة محاولات التدخل الأجنبى التى تهدد السلم فى الشرق الأوسط والعالم كله ، سواء كان ذلك التدخل مباشراً أو عن طريق المعاهدات الثنائية غير المتكافئة المخلة بالسيادة القومية أو عن طريق الأحلاف والمواثيق العسكرية والسياسية أو المعاونات المعلقة على شروط أوعن أى طريق آخر يتنافى مع حرية الشعوب وسيادتها

ويعتبر المؤتمر حلف بغداد ومبدأ ايزنهاور تدخلا فى استقلال البلاد العربية ماساً بسيادتها ومهددا لسلامتها .

٢٢ — مساعدة الشعوب المناضلة :

يناشد المؤتمر الشعوب الإفريقية الأسيوية أن تؤيد تأييداً شاملا كفاح جميع الشعوب المناضلة فى سبيل حريتها واستقلالها .

ويناشد شعوب أسيا وافريقيا أيضاً أن تعبىء الرأى العام — الوطنى والدولى — ضد الاستعمار فى كل صورة ومظاهره ، فمثل هـــذه التعبئة من شأنها تثبيت أقدام الشعوب المناضلة من ناحية وتوعية شعوب العالم للدفاع عن الحقوق الطبيعية للشعوب المغلوبة على أمرها من ناحية أخرى ، وذلك بغية ضمان الأمن والرخاء لتلك الشعوب والمحافظة على السلام العالمى .

ويناشدها كذلك أن تقدم كل مافى طوقها من المساعدات المـادية للشعوب المـكافحة فى جميع مناطق العالم حتى تصل هذه الشعوب إلى حقوقها الشرعية فى الحرية والاستقلال التام .

القرارات الخاصة بالتفرقة العنصرية :

إن المؤتمر وقد أخذ علما :

١ — باهتمام بالغ وأسف عميق بما ينتهج من سياسات التفرقة المنصرية فى بلاد كثيرة من العالم وخاصة فى جنوب أفريقيا وذلك نتيجة للسيطرة الأجنبية والاستعمار

٢ — بالآثار الخطيرة لسياسات التفرقة المنصرية على شعوب العالم الملونة وعلى بقية الجنس البشرى وهى آثار ترتب عليها انخفاض مستوى المعيشة بين الشعوب التى أخضعت لهذه التفرقة فأصبحت فريسة للمرض والفقر ، وأوغرت صدورها بمشاعر الحقد نحو الحكومات والشعوب التى تمارس التفرقة المنصرية .

٣ — بأن الأسباب الحقيقية للتفرقة المنصرية هى الرغبة فى السيطرة السياسية والجشع الاقتصادى ، وكذلك بعض العوامل الأخرى الاجتماعية التى تتصل بالعادات والتقاليد .

٤ — وقد أخذ علما فى اغتباط بالمحاولات التى تبذلها الهيئات الدولية والأمم المتحدة سعيا لا يجاد الوسائل التى تمكن من استئصال التفرقة المنصرية وضمان حقوق الأقليات .

لذلك

فقد قررنا نحن الشعوب الاسيوية الإفريقية المجتمعة هنا ما يأتى :

١ — إستنكار التفرقة المنصرية فى جميع صورها .

٢ — (ا) الإعراب عن الأسف العميق للموقف الذى تنتهجه حكومة جنوب أفريقيا بإهمالها وتحديها على الدوام قرارات الأمم المتحدة فى هذا الشأن .

(ب) دعوة حكومة جنوب أفريقيا إلى الوفاء بتعهداتها المنصوص عليها فى ميثاق الأمم المتحدة بوصفها عضواً فى الأمم المتحدة .

٣ — توصية جميع حكومات العالم أن تتخذ من الخطوات فى كل دولة تمارس فيها التفرقة المنصرية ما يكفل الآتى :

(ا) إلغاء جميع القوانين والنظم التى تجعل التمييز المنصرى شيئاً مشروعاً .

(ب) إطلاق حرية التعبير وحرية الاجتماع وتكوين الجمعيات لجميع الأشخاص

دون أى تمييز .

(ج) منح جميع الأفراد الذين يبلغون سناً معيناً حق الترشيح والتصويت للبرلمان دون تمييز للون أو العنصر أو العقيدة .

(د) المساواة فى الأجور الرجال والنساء طبقاً لما يقومون به من عمل ، وإلغاء السخرة .

(هـ) المساواة فى الحقوق المدنية دون أى تحفظات .

(و) إلغاء جميع تشريعات ملكية الأرض التى تمكن الأوروبيين من نزع ملكية الأرض من الشعوب الملونة .

(ز) منح جميع الأفراد والجماعات الحق فى استغلال موارد ثروتهم وذلك فى نطاق اقتصاد مرسوم يرتضيه جميع المواطنين .

٤ — مناشدة جميع الشعوب والأمم المتحدة وجميع الدول الأعضاء ألا تدخر وسعاً فى سبيل اتخاذ الإجراءات الكفلة باستئصال التفرقة العنصرية كما تحث المؤسسات الدولية على مواصلة جهودها فى محاربة هذه التفرقة .

قرار خاص بالجزائر

نظراً لحق الجزائر الشرعي فى الإستقلال والسيادة القومية ،

نظراً لأن الحكومات الفرنسية المتتابعة تقوم فى الجزائر بحرب استعمارية حقا ، ترمى إلى أبادة الشعب الجزائرى ،

ونظراً لأن هذه الحرب قد أثارت سخط واحتجاج قسم هام من الرأى العام الفرنسى ،

ونظراً لأنها سببت خسائر مادية وخسائر فادحة فى الأرواح وأدت إلى هجرة مئات الآلاف من السكان إلى تونس والمغرب بالإضافة إلى عدد أكبر من الجزائريين الذين أصبحوا بلامأوى فى بلادهم وغدوا فى حاجة ماسة إلى مساعدة عاجلة ،

ونظر الأصرار فرنسا على عدم الدخول فى أية مفاوضات جدية ، وهو اصرار ازداد

وضوحاً بالرغم من توصيات هيئة الأمم المتحدة حينما عرض كل من جلالة ملك المغرب ورئيس جمهوريه تونس وساطتهما بين الطرفين ،

ونظراً لأن هذه الحرب التى فرضت على الشعب الجزائرى تهدد أمن شعوب أفريقيا والسلام العالمى ،

فإن مؤتمر تضامن الشعوب الأفريقية وفلأسيوية المنعقد فى القاهرة :

١ — يستنكر الحرب الإستمارية التى تشنها القوات الإستعمارية الفرنسية والفظائع التى تقترفها ضد الشعبا لجزائرى الذى يكافح فى سبيل استقلاله .

٢ — ويؤكد تعضيده لـفكاح البطولى الذى يقوم به الشعب الجزائر .

٣ — ويطالب :

(ا) بالاعتراف باستقلال شعب الجزائر فوراً .

(ب) وبالمبادرة إلى إجراء مفاوضات على أساس هذا الاستقلال بين الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير الوطنية الجزائرية التى تمثل الشعب الجزائرى .

(ج) بالإفراج فوراً عن الزعماء الخمسة وجميع الوطنيين الجزائريين الموجودين فى السجون والمعتقلات .

٤ — ويستنكر تجنيد الإفريقيين فى الجيش الفرنسى الذى يحارب فى الجزائر ويوجهن نداء إلى هؤلاء ليرفضوا مقاتلة إخوانهم .

(٥) ويطلب من جمع شعوب العالم وخاصة شعوب أفريقيا آسيا أن ينظموا حملات صحفية وأن يقوموا بمظاهرات وأن يتخذوا جميع الوسائل الأخرى الكفيلة بتعبئة الرأى العام ضد حرب الإبادة فى الجزائر وحمل فرنسا علىاحترام حقوق الإنسان واتفاقيات جنيف الخاصة بقوانين الحروب .

وبناء على ماسبق قرر المؤتمر :

(ا) الاحتفال بيوم ٣٠ مارس سنة ١٩٥٨ باعتباره يوم التضامن مع الجزائر فى شتى أرجاء أفريقيا وآسيا وذلك عـــن طريق المظاهرات والاجتماعات وجمع التبرعات ... الخ .

(ب) يوصى بتشكيل لجان لتحرير الجزائر ويوجه نداء إلى عاما لشعوب آسيا وأفريقيا ليمدوا الشعب الجزائرى بالمـال والملابس والأدوية والغذاء وبكل وسيلة من وسائل المساعدات المادية .

(ج) يوصى بمساعدة اللاجئين الجزائريين المحتاجين إلى مساعدة سريعة .

(٦) — يوجه نداء إلى جميع الحـكومات وخاصة إلى حكومات آسيا وأفريقيا :

(ا) لتتولى الدفاع عن استقلال الجزائر لدى المنظمات الدولية .

(ب) لتستخدم جميع الوسائل الملائمة لحمل الحـكومة الفرنسية على وضع حد للحرب فى الجزائر .

(ج) لاتخاذ التدابير المناسبة لحمل الحـكومات التى تساعد فرنسا فى حربها ضد الجزائر على وضع حد لهذه الحرب .

قرارات خاصة بفلسطين

— يعلن المؤتمر أن دولة إسرائيل قاعدة استعمارية تهدد تقدم الشرق الأوسط وسلامته ، ويدين سياستها العدوانية التى تمثل خطراً على السلم العالمى .

— يؤكد المؤتمر حقوق العرب فى فلسطين ويعلن عطفه على اللاجئين الفلسطينيين ويؤيد جميع حقوقهم وعودتهم إلى وطنهم .

وأكد مؤتمر أكرا الذى عقد فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٥٨ ما يلى :

— احترام حقوق الإنسان الأساسية وأهداف ومبادىء وميثاق الأمم المتحدة .

— احترام سيادة جميع الأمم وسيادتها الإقليمية الكاملة .

— الاعتراف بتساوى جميع الأجناس والأمم كبيرها وصغيرها .

— الامتناع عن التدخل فى الشئون الداخلية الخاصة بدولة أخرى .

— احترام حق كل أمة فى الدفاع عن نفسها منفردة أو بالإشتراك مع غيرها بما يتمشى مع ميثاق الأمم المتحدة .

— الامتناع عن استعمال أنظمة الدفاع المشترك لخدمة الأغراض الخاصة لإحدى الدول الكبيرة . وامتناع جميع الدول عن الضغط على الدول الأخرى .

— الامتناع عن أعمال العدوان أو التهديد بالعدوان واستعمال القوة ضد السيادة الإقليمية الكاملة أو الاستقلال السياسى لأية دولة .

— تسوية جميع الخلافات الدولية بالطرق السلمية كالمفاوضة والوساطة والتحكيم أوالتسوية القضائية وغيرها من الوسائل السلمية التى يختارها أطراف النزاع مما يتمشى مع ميثاق الأمم المتحدة .

— تنمية الصالح المشترك والتعاون .

— احترام العدالة والمواثيق (الواجبات) الدولية .

— يؤكد يقينه بأن الأعضاء سيمتنعون عن الاشتراك فى أى عمل من شأنه ربطهم وتقييد حريتهم بما يضر بمصالحهم واستقلالهم .

— يؤمن أنه طالما كان فى المستطاع الاحتفاظ بوحدة وجهات النظر الأساسية فى السياسية الخارجية فإن الدول الأفريقية المستقلة ستتمكن من تأكيد شخصية أفريقية مميزة ومن أن تتكلم بصوت موحد فى خدمة السلام وفى التعاون مع الأمم المتحدة وغيرها من المحافل الدولية :

— إن مؤتمر الدول الأفريقية المستقلة اعترافاً منه بأن وجود الاستعمار فى أى شكل أو صورة يهدد أمن واستقلال الدول الأفريقية المستقلة والسلام العالمى .

وحيث أنه يرى أن مشاكل ومستقبل المناطق غير المستقلة فى أفريقيا ليست من اختصاص الدول الاستعمارية وحدها وإنما تعتبر مسئولية جميع أعضاء الأمم المتحدة وخاصة الدول الأفريقية المستقلة .

هذا وحيث أنه يجب اعلان موعد محدد لحصول كل من هذه المناطق على استقلالها تمشياً مع رغبة أهلها ومع ميثاق الأمم المتحدة .

— يطالب الدول التى تتولى ادارة هذه المناطق باحترام ميثاق الأمم المتحدة فى هذا الخصوص وباتخاذ خطوات سريعة بتنفيذ نصوص الميثاق وتحقيق الأمانى السياسية

لشعوب هذه المناطق نحو الحصول على حق تقرير المصير والاستقلال بما يتمشى مع رغبة هذه الشعوب .

— يطالب الدول التى تتولى إدارة هذه المناطق بأن تمتنع عن إجراءات الكبت التعسفية والحكم المستبد فى هذه المناطق وبأن تحترم جميع حقوق الإنسان .

— يطالب الدول التى تتولى إدارة هذه المناطق بأن تنهى فى الحال جميع أنواع التفرقة فيها .

— يوصى بأن تقوم جميع الدول أعضاء المؤتمر بمد الشعوب غير المستقلة فى نضالها من أجل تحقيق العدالة وتقرير المصير والاستقلال بجميع أنواع المساعدة .

— يوصى بأن تقوم الدول الأعضاء المجتمعة هنا بتقديم التسهيلات لتدريب وتعليم شعوب المناطق غير المستقلة .

— يقرر الاحتفال بيوم الحرية الأفريقى فى الخامس عشر من ابريل من كل عام .

— حيث أنه شديد الإزعاج من جراء استمرار الحرب فى الجزائر رغم قرارات الأمم المتحدة والنداءات المتعددة التى تحث على تسوية سلمية .

وحيث أنه من ناحية أخرى يعتبران الموقف الحالى فى الجزائر يهدد السلام العالمى وسلامة أفريقيا كلها :

— يعترف بحق الشعب الجزائرى فى الاستقلال وتقرير المصير .

— يندد بخطورة اتساع العمليات الحربية وإراقة الدماء الناجمة عن استمرار الحرب فى الجزائر .

— يطالب فرنسا :

— بأن تعترف بحق الشعب الجزائرى فى الاستقلال وتقرير المصير .

— بأن تنهى القتال وتسحب جميع قواتها من الجزائر .

— بأن تدخل فرنسا فى الحال فى مفاوضات سلمية مع جبهة التحرير الجزائرية للوصول إلى تسوية نهائية عادلة .

يناشد جميع الشعوب المحبة للسلام بأن تضغط على فرنسا لكى تتخذ سياسة تتمشى مع مبادىء الأمم المتحدة .

يناشد أصدقاء فرنسا وحلفاءها بأن يمتنعوا عن مساعدة فرنسا بطريق مباشر أو غير مباشر فى عملياتها الحربية بالجزائر .

يؤكد عزمه على بذل كل الجهود لمساعدة الشعب الجزائرى على نيل الاستقلال .

يوصى بأن تصدر حكومات الدول الأفريقية المستقلة تعليماتها إلى ممثليها فى الأمم المتحدة بالتشاور فيما بينهم بصفة مستمرة وأن يقوموا بتعريف أعضاء الأمم المتحدة بالحالة فى الجزائر وبأن يطلبوا تأييدهم ومعونتهم من أجل الحصول على تسوية عادلة سلمية وبأن يوصوا الدول الأفريقية المستقلة باتخاذ الإجراءات التى قد تصبح لازمة بين حين وآخر وخاصة بأن يجدوا الطرق والوسائل التى يمكن عن طريقها للدول الأفريقية المستقلة أن تنير الرأى العام العالمى فيما يختص بالجزائر ويشمل هذا تعيين بعثة فى أقرب فرصة ممكنة مهمتها زيارة عواصم العالم بقصد كسب تأييد الحكومات .

— حيث أن التفرقة العنصرية تعتبر من الشرور التى لا تمت للإنسانية بشىء وحيث أنه على يقين من أن التفرقة العنصرية تتنافى مع المبادىء الأساسية لحقوق الإنسان وكرامته لدرجة أن أصبحت عاملا من العوامل التى تهدد بالانفجار والتى ما زالت تنفث سمومها وآثارها فى بعض مناطق أفريقيا بحيث قد تغرق قارتنا فى بحر من العنف والدماء .

وبعد أن أخذ المؤتمر علماً بمزيد الاشمئزاز بالبيان الذى أدلى به رئيس حكومة اتحاد جنوب أفريقيا حديثاً بمناسبة إعادة انتخابه ومؤداه أنه سيتبع سياسة تفرقة عنصرية لا هوادة فيها ، وسيزيد من اضطهاده للشعوب الملونة فى جنوب أفريقيا :

يندد بممارسة أساليب التفرقة العنصرية بجميع صورها فى جميع أنحاء العالم وخاصة فى اتحاد جنوب أفريقيا واتحاد أفريقيا الوسطى وكينيا وغيرها من المناطق الأفريقية

يناشد المؤسسات الدينية وزعماء العالم الروحيين بأن يعضدوا كل جهد يتجه إلى محو التفرقة العنصرية .

يطالب جميع أعضاء الأمم المتحدة وجميع شعوب العالم أن يضموا أصواتهم إلى القرارات التى أصدرتها الأمم المتحدة ومؤتمر باندونج والتى تدين هذه الأساليب غير الرسمية .

يطالب جميع أعضاء الأمم المتحدة بمضاعفة جهودهم من أجل محاربة ومحو هذا اللون من المعاملة المشينة غير العادلة .

يوصى بأن يقوم جميع أعضاء المؤتمر باتخاذ إجراءات فعالة لمحو آثار التفرقة العنصرية فى كل بلد إن وجدت .

— حيث أنه قد عقد العزم على المحافظة على استقلال وسيادة كل من الدول الأعضاء فى المؤتمر .

وحيث أنه يؤمن أن اجتماع وتشاور الدول الأفريقية المستقلة كما حدث فى المؤتمر الحالى « باكرا » عامل أساسى فى أجل تقوية مساهمتها فى قضية السلام العالمى .

يعلن عزم جميع الدول التى اشتركت فى المؤتمر على :

احترام كل شعب لاستقلال ولسيادة الآخر وسيادته الأقليمية الكاملة :

التعاون فيما بينهم من أجل ضمان استقلالهم وسيادتهم السياسية والأقليمية الكاملة .

التعاون فيما بينها فى التنمية الاقتصادية والفنية والعلمية وفى رفع مستوى معيشة شعوبها .

الإلتجاء إلى المفاوضة من أجل تسوية الخلافات التى قد تنشأ بينها وإذا دعت الحاجة إلى قبول وساطة وتحكيم الدول الأفريقية المستقلة الأخرى .

يندد بجميع أنواع التدخل الأجنبى الموجه ضد استقلال وسيادة الدول الأفريقية المستقلة وسيادتها الأقليمية الكاملة .

بعد أن بحث المؤتمر المذكرة التى قدمها حزب « جوفتنو » عن توجولاند — الموضوعة تحت الإدارة الفرنسية والبيان الذى أدلى به ممثل هذا الحزب أثناء الشهادة

التى سمح له بالأدلاء بها أمام اللجنة السياسية للمؤتمر وواضعاً نصب عينيه أهداف نظام الوصاية العالمى والأهداف التى أعلنها مؤتمر باندونج وإدراكا منه للمسئوليات الهامة الملقاة على عاتق الجمعية التشريعية التى ستنتخب يوم ٢٧ ابريل سنة ١٩٥٨ فيما يختص بمستقبل المنطقة وهى المسئوليات ، المنصوص عليها فى الفقرات السابقة السابعة والثامنة من الجزء التنفيذى من قرارات الأمم المتحدة الصادرة بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٥٧ .

يعبر المؤتمر عن عظيم قلقه بسبب قوانين النظام الانتخابى الحالى للمنطقة .

ويحث السلطات الإدارية الحاكمة أن تتعاون تعاوناً وثيقاً مع مندوب الأمم المتحدة من أجل ضمان إجراء انتخابات عادلة وديمقراطية فى المنطقة .

وبعد أن بحث المؤتمر المذكرة التى قدمها اتحاد شعب الكمرون الموضوع تحت الإدارة الفرنسية واستمع إلى بيان ممثل هذا الحزب أمام المؤتمر . وحيث أنه يضع نصب عينيه على أهداف نظام الوصاية العالمى والأهداف التى أعلنها مؤتمر باندونج وإدراكا منه للمسئوليات الهامة الملقاة على عاتق الجمعية التشريعية التى ستنتخب يوم ٢٧ ابريل سنة ١٩٥٨ فيما يختص بمستقبل المنطقة وهى ، المسئوليات المنصوص عليها فى الفقرات السابعة والثامنة . وحيث أنه وضع نصب عينيه أهداف نظام الوصاية الدولى والأهداف التى أعلنها مؤتمر باندونج .

يندد باستعمال القوة المسلحة ضد الشعب الأعزل فى منطقة الكمرون الموضوعة تحت الوصاية حيث أنه يخالف ميثاق الأمم المتحدة .

يطالب الدول صاحبة الوصاية بأن تنفذ ميثاق الأمم المتحدة وأن تحقق الأمانى المشروعة للشعوب الموضوعة تحت وصايتها وأن تبدأ مباحثات مباشرة مع من يمثلهم .

يناشد الأمم المتحدة بمضاعفة جهودها من أجل مساعدة شعب الكمرون على تحقيق أمانيه السياسية المشروعة .

حيث أنه شديد الانزعاج من جراء استعمال الدول الكبرى للطاقة الذرية والنووية فى الأغراض الحربية .

ورغبة منه فى تقوية مساهمة الدول الأفريقية فى السلام والأمن العالميين . وإدراكا منه ؟ أن السلام العالمى شرط أساسى لتقدم ورخاء جميع الشعوب وأخذا فى الاعتبار أنه لا توجد دولة إفريقية ممثلة فى الوقت الحالى فى المنظمات الدولية المختصة بمسائل نزع السلاح .

يطالب الدول الكبرى بوقف انتاج الأسلحة الذرية والنووية وأن توقف جميع تجاربها الذرية ليس من أجل السلام وحسب ولكن كرمز لتمسكها بحقوق الإنسان .

ينظر بعين القلق ويستنكر بشدة كل التجارب الذرية فى جميع أنحاء العالم وخاصة النية المتجهة إلى إجراء مثل هذه التجارب فى الصحراء الأفريقية .

يناشد الدول الكبرى أن تستعمل الطاقة الذرية والنووية فى الأغراض السلمية وحسب .

يؤكد النظرية القائلة بأن تخفيض الأسلحة التقليدية أساس للاحتفاظ بالسلام والأمن العالميين ويناشد الدول الكبرى أن تبذل كل جهودها فى سبيل الوصول إلى تسوية هذه المسألة الهامة .

يستنكر سياسة بيع الأسلحة كوسيلة للضغط على الحكومات والتدخل فى الشئون الداخلية للبلاد الأخرى .

يحث الأمم المتحدة على أن تضمن للدول الأفريقية تمثيلا عادلا فى جميع الهيئات الدولية المختصة بمشاكل نزع السلاح .

يرى أن التقابل والتشاور فى المسائل الدولية يجب ألا يقتصر على الدول الكبرى .

* * *

وهذه هى القرارات السياسية لمؤتمر الشباب الأفريقى الآسيوى الذى عقد بالقاهرة

ن مؤتمر الشباب الأفريقى الآسيوى المنعقد بالقاهرة فى الفترة من ٢ فبراير إلى ٨ فبراير سنة ١٩٥٩ يرى أن الشباب هم عدة الأمم ، وطليعتها الواعية ، وهم الذين يقع على أكتافهم بناء مستقبل زاهر سعيد لشعوبهم وللعالم ، غير أن الشباب فى نضالهم هذا من أجل بناء مستقبل أفضل لشعوبهم يجدون مايحول دون تحقيق آمالهم

الأكيدة فى الرقى والتقدم والرفاهية والحياة الحرة الكريمة وهم يرون فى الأطماع الاستعمارية التى تهدف إلى استغلالهم واستعبادهم والتدخل فى شئون بلادهم الداخلية تهديداً خطيراً لآمالهم وهم يرون أيضاً أن هذه الأطماع الاستعمارية تقود إلى قيام الأحلاف والمواثيق التى تخالف ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، وتهدد السلام العالمى . كما أن هذه الأطماع تؤدى أيضاً إلى التآمر على الحكومات الوطنية المستقلة ، وإلى خلق حالة من التوتر المستمر فى العلاقات الدولية ، وإلى اغتصاب الحقوق الطبيعية ، للأمم الصغيرة فى الحرية ، والسيادة والاستقلال ، والشباب الأفريقى الآسيوى يرى فى الأطماع الاستعمارية مامن شأنه إثارة الحرب الباردة التى تقود إلى سباق التسلح الذرى وغير الذرى ، مما يؤدى إلى إشعال نيران حرب عالمية ، تهدد الشباب والأمم جميعها ومن أجل هذا وتمشياً مع مبادىء باندونج والقاهرة وأكرا .

ويستنكر مؤتمر الشباب الأفريقى الآسيوى ما يأتى : —

١ — الاستعمار والإمبريالية فى كل أشكاله ومظاهره .

٢ — التدخل الأجنبى فى شئون الدول الأخرى .

٣ — الأحلاف والمواثيق العسكرية والسياسية ، والمعاهدات غير المتكافئة والثنائية العدوانية التى تهدد السلام العالمى ، وتقضى على أمانى الشباب .

٤ — إقامة قواعد عسكرية أجنبية على أراضى الدول الأخرى .

٥ — استغلال الاقتصاد الوطنى لمصلحة الدول الاستعمارية .

٦ — الإعانات المشروطة التى تؤدى فى النهاية إلى الإخلال بسيادة الدول المانحة واستغلالها ، أو أدخالها ضمن مناطق النفوذ .

٧ — استخدام الاستعمار أساليبه المختلفة ومنها ضرب الأفريقيين الآسيويين بعضهم بالبعض .

٨ — هجرة الأجانب إلى البلاد الأفريقية الآسيوية بقصد توطينهم وإحلالهم محل السكان الأصليين مما يؤدى إلى إذابة الشعب الأصلى لهذه البلاد .

ولهذا فالشباب الأفريقى الآسيوى يؤيد تأييداً كاملا .

(١) ميثاق هيئة الأمم المتحدة وقرارات مؤتمرات باندونج والقاهرة وأكرا .

(ب) حق الشعوب فى الحرية والاستقلال.

(ج) حق الشعوب فى تسوية مشكلاتها الداخلية واختيار نظم الحكم الخاصة بها

(د) تأييد سياسة الحياد الإيجابى التى تتبعها بعض الدول الآسيوية الأفريقية لأنها تدعم السلام، وتؤكد مبادىء التعايش السلمى.

(هـ) تأييد حق كل شعب مجزأ فى استكمال وحدته بالطرق السلمية.

٩ — المحاولات الاستعمارية على الدول العربية المتحررة وعلى القومية العربية، تلك المحاولات التى تؤدى إلى تفتيت الوحدة وعرقلة كيانها ونضالها وكفاحها.

والشباب الأفريقى الآسيوى الذى آلى على عاتقه مهمة تحرير القارتين العظيمتين أفريقيا وآسيا، وإيماناً منه بوحدة الأهداف ووحدة النضال، ووحدة الكفاح المشترك يلفت نظر العالم إلى المشاكل السياسية الرئيسية التى تهدد شعوب آسيا وأفريقية وتهدد السلام العالمى.

وشباب أفريقية وآسيا يؤكد:

١ — الجزائر: بالنظر إلى الحق الأزلى لشعب الجزائر فى استقلاله وسيادته الوطنية. وبالنظر إلى أن الشعب الجزائرى يخوض منذ أكثر من أربع سنوات معركة من أجل استرجاع هذا الاستقلال وهذه السيادة وهى معركة يخوضها ضد جيش من أقوى جيوش العالم يسانده مادياً ومالياً حلفاؤه فى حلف شمال الأطلسى.

وبالنظر إلى أن الشبيبة الجزائرية تقوم بدور أساسى فى هذا الكفاح وتقبل عن طواعية تضحيات جسيمة من أجل تحرير بلادها.

وبالنظر إلى الخسائر الجسيمة والأهوال التى يعانيها شباب الجزائر من جراء الحرب.

وبالنظر إلى أن الحكومة الفرنسية لا تعير أدنى اهتمام لقوانين الحرب الدولية وتلجأ علانية إلى وسائل استنكرها الضمير العالمى والمنصوص عليها خاصة فى التصريح العالمى لحقوق الإنسان.

وبالنظر إلى أن فرنسا ترفض أن تنتهز جميع الفرص التى سنحت لها لوضع

حد للحرب لا سيما على أثر تقديم حكومة الجزائر المؤقتة عرضاً بالدخول فى مفاوضات معها قصداً لوقف إطلاق النار

وبالنظر إلى أن الحكومة الفرنسية أكدت مؤخرا عزمها على مواصلة وتقوية حرب الإبادة التى تشنها على شعب الجزائر .

وبالنظر إلى أن الحكومة الفرنسية وهى تسلم خيرات الجزائر الصحراوية للمستغلين الفرنسيين والدوليين ترتكب عدواناً جديداً على حقوق الشعب الجزائرى فى تقرير مصيره بنفسه وهذا فى الوقت الذى لم يعد شك أن السياسة الفرنسية المسماة بسياسة الاندماج منيت بفشل ذريع ، كما بين ذلك التصويت الذى جرى فى الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة عند دراستها لقضية الجزائر وكما بينه العجز الذى وجدت فيه السلطات الاستعمارية أنفسها لتنظيم استشارات مزعومة فى الجزائر .

وبالنظر إلى أن سير الحرب الاستعمارية الجارية حالياً فى الجزائر لا يهم مصير شعب الجزائر فقط ولكن يهم كذلك مصير جميع شعوب أفريقيا لا سيما تلك التى تئن تحت نير الاستعمار الفرنسى .

وبالنظر إلى سيطرة الاحتكارات المالية الفرنسية والدولية على خيرات الصحراء وهى سيطرة تشكل عمل نهب جديد على حساب شعب خاضع للسيطرة الاستعمارية هى فى الواقع تفاقم فى الضغط الاستعمارى المفروض على الشعوب الأفريقية وأن من شأن استغلال ثروات الصحراء أن يؤدى لا محالة إلى تقوية النظام الاستعمارى بأكمله الموجود بالقارة الأفريقية .

فإن مؤتمر الشباب الأفريقى الأسيوى المنعقد فى القاهرة من ٢ — ٨ فبراير سنة ١٩٥٩ .

١ — يستنكر حرب الإباده التى تشنها فرنسا على شعب الجزائر ويندد بالوسائل الوحشية المستعملة من جانب القوات الفرنسية ضد الجزائر .

٢ — يؤكد عزم شبيبة دول أفريقيا وآسيا على مساندة الكفاح البطولى الذى تخوضه الشبيبة الجزائرية لاسترجاع حرية بلادها .

٣ — يناشد المؤتمر شعوب وشباب أفريقيا وآسيا العمل على حمل الحكومات الأفريقية الأسيوية وغيرها التى لم تعترف بعد بحكومة الجزائر المؤقتة الحرة على الاعتراف بها .

٤ — كما يطالب المؤتمر .

(ا) أن يعمل شباب آسيا وأفريقيا على حث حكوماته من أجل حمل حكومة فرنسا على الدخول فى مفاوضات مع الحكومة الجزائرية المؤقتة وذلك لوقف الحرب القائمة بالجزائر .

(ب) بفضح مشاريع التنمية الاقتصادية من جانب الاستعمار الفرنسى والدولى فى الصحراء الغربية .

(ج) بأن يأخذ تأييد قضية الجزائر الصفة الواقعية حتى لا تصل مساعدات الدول الكبرى إلى الاستعمار الفرنسى ، عن طريق حلفائة فى نطاق حلف ميثاق الاطلنطى .

(د) بالإفراج عن الزعماء الجزائريين أحمد بن بلا وزملاؤه وكذلك بالإفراج عن المسجونين السياسيين عموماً .

(هـ) شباب آسيا وأفريقيا بمضاعفة اليقظة لوضع حد للدعايات التى يقوم بها الاستعمار .

* * *

(٢) فلسطين :

١ — يؤيد المؤتمر قرارات مؤتمر تضامن الشعوب الأسيوية الأفريقية الخاصة بفلسطين . التى أصدرها مؤتمر تضامن الشعوب الأسيوية الأفريقية المنعقد فى القاهرة من ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٥٧ إلى أول يناير سنة ١٩٥٨ .

٢ — يعلن المؤتمر أن إسرائيل اغتصاب عدوانى صهيونى استعمارى قام على أشلاء الشعب العربى الفلسطينى الذى طرد من وطنه ، واغتصبت حقوقه وإن استمرار وجودها استمرار لذلك العدوان ، ويؤيد المؤتمر حق الشعب العربى فى تحرير فلسطين

والقضاء على ذلك الاغتصاب العدوانى ، وتحقيق عودة عرب فلسطين إليها ونوالهم جميع حقوقهم .

٣ — أن الاستعمار العالمى والصهيونية مسئولان عن تشريد شعب فلسطين وحرمان شبابها من حق الحياة الحرة الكريمة فى وطن حر كريم والذى حيل بينه وبين قيامه بدوره الفعال فى المساهمة الإيجابية فى بناء الحضارة وتدعيم السلام العالمى وتوطيد الصداقة بين الشعوب .

٤ — لما كان يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ هو اليوم الذى تم فيه اغتصاب فلسطين فإن المؤتمر يؤيد اعتبار هذا اليوم (إننا عائدون) (يوم عودة العرب إلى فلسطين) . فى جميع البلدان الأسيوية الأفريقية يجدد فيه الشباب الإفريقى الأسيوى العزم والعمل على تأكيد حقوق العرب فى فلسطين بالسند المادى والمعنوى .

لما كانت إسرائيل ظاهرة غير شرعية أقيمت لخدمة مطامع الاستعمار والصهيونية فى اغتصابها أرض فلسطين فإن المؤتمر يعلن أن الإسم لهذا الجزء من الوطن العربى هو (فلسطين المغتصبة) .

٦ — يعلن المؤتمر مقاومته لاستمرار الحشد الاستعمارى الصهيونى فى فلسطين المغتصبة الذى يتمثل فى السيل المتدفق من المهاجرين الذين يراد حشدهم فى فلسطين لأغراض توسعية عدوانية ويناشد شعوب آسيا وأفريقيا العمل على إيقاف تلك الاستعدادات العدوانية المهددة للسلم العالمى بصورة عامة ولشعوب آسيا وأفريقيا ، بصورة خاصة ويسحب جميع المحاولات والمشاريع الاستعمارية التى تستهدف تصفية قضية فلسطين ويعلن بأنه لا حل لهذه القضية غير تحرير فلسطين وعودتها لأهلها العرب .

٧ — يطالب المؤتمر حماية حقوق الفلسطينيين الواقعين تحت حكم العصابات الصهيونية التى احتلت فلسطين بالاغتصاب حيث أنهم يعانون أشد أنواع العذاب فى حرياتهم وممتلكاتهم .

٣ — الكمرون :

بالنظر إلى أن هذه هى المرة الأولى فى التاريخ التى تشن فيها حرب استعمارية فى أرض تحت الوصاية الدولية هى الكمرون .

وبالنظر إلى أن الاستعماريين الفرنسيين والبريطانيين يرتكبون يومياً أشد أنواع الفظائع وانتهاك الحقوق البشرية فى تلك المنطقة .

وبالنظر إلى أن هذا الموقف يعوق تطور الشباب الكميرونى واتساع نطاق صداقاته مع شباب العالم .

وبالنظر إلى أن هذه هى المرة الأولى فى التاريخ التى تعقد فيها الأمم المتحدة بصورة خاصة لبحث الأراضى التى تحت الوصاية فى الكمرون .

وبالنظر إلى أن القرارات التى اتخذت بصدد كفاح الشعب والشباب الكميرونى قد اتخذت بالإجماع فى مؤتمر الشعوب الأفريقية الذى عقد فى أكرا فى المدة من ٥ إلى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٥٨ فإن مؤتمر الشباب الأفريقى الآسيوى المنعقد فى القاهرة من ٣ إلى ٨ فبراير ١٩٥٩ :

١ — يحيى الكفاح العظيم الذى يقوم به الشباب والشعب الكمرونى ، ويستنكر بشدة الفظائع والموبقات التى يقترفها المستعمرون الفرنسيون والبريطانيون ضده .

٢ — يدعو جميع منظمات الشباب الأفريقى الأسيوى وجميع السلطات المناهضة للاستعمار فى العالم ، لتعبئة جميع مجهوداتها للحصول من فرنسا وبريطانيا والأمم المتحدة طبقاً لميثاقها على الإجراءات الآتية :

(ا) العفو الكامل بدون أى تحفظ عن جميع المسجونين السياسيين الذين حكم عليهم فى المحاكمات التى أجريت منذ سنة ١٩٥٥ وانسحاب القوات الأجنبية .

(ب) إعادة الحريات السياسية وخاصة عودة الأحزاب التقدمية التى حلت ، والإفراج عن زعمائها المنفيين والمبعدين .

(حـ) تنظيم استفتاء تحت إشراف الأمم المتحدة وحدها حول موضوع إعادة

توحيد الكمرون ، وإجراء انتخابات حقيقية ديمقراطية من أجل قيام مجلس قومى تشريعى .

(د) انتخاب لجنة الدورة الثالثة عشرة تمثل المجموعة الأسيوية الأفريقية فى الجمعية العامة للأمم المتحدة تقوم بتنظيم جميع عمليات الانتخاب والإشراف عليها وتهدف إلى ضمان الاستقرار الديمقراطى والسياسى فى هذه المنطقة من أفريقيا .

٣ — توجيه نداء إلى جميع المناهضين للاستعمار للاحتفال بيوم ٢٠ فبراير ١٩٥٩ كيوم للكاميرون . وعليهم أن يقوموا فى اليوم المذكور بالأعراب عن تضامنهم الإيجابى مع شعب وشباب الكميرون بعقد اجتماعات عامة وجمع التبرعات واللابس والعقاقير وغيرها ، وبإرسال التماسات إلى رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة .

٤ — تطالب السكرتارية الدائمة للمؤتمر بإرسال وفد إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٠ فبراير ١٩٥٩ لتأييد قضية مجاهدى الكميرون بجميع الوسائل .

٥ — تطالب بأن تقوم كل حكومة آسيوية وإفريقية بالحرص على وضع هذا القرار موضع التنفيذ .

(٤) كينيا : يؤيد المؤتمر حق شعب كينيا فى استقلاله وكفاحه واستعادة أراضيه المغتصبة ، ويرى ضرورة عرض قضيته على الأمم المتحدة ، ويطالب بالإفراج عن الزعيم جومو كنياتا وجميع المسجونين السياسيين ، وإلغاء الأحكام العرفية ، ويحتج بشدة على حالة الطوارىء ويطالب بوضع حد لها فى الحال .

(٥) أوغندا : يؤيد المؤتمر حق أوغندا فى الاستقلال ، ويطالب بعرض قضية الشعب اليوغندى على الأمم المتحدة ويطالب الحكومة البريطانية بالتفاوض مع الوطنيين ممثلى الشعب اليوغندى لتحقيق استقلالهم .

(٦) مدغشقر : يؤيد المؤتمر كفاح شعب مدغشقر فى سبيل استقلاله الكامل ويطالب بالعفو الشامل عن الوطنيين المحكوم عليهم فى ثورة ١٩٤٧ كما يطالب بعودة زعماء مدغشقر المنفيين فى فرنسا إلى بلادهم .

(٧) الكونغو : تحت الحكم البلجيكى : يستنكر المؤتمر المذابح التي حدثت فى يناير ١٩٥٩ ، ويطالب باستقلال الكنغو ، كما يطالب المؤتمر بالإفراج عن الزعماء الوطنيين .

(٨) زنزبار : يؤيد المؤتمر كفاح شعب زنزبار من أجل استقلاله .

(٩) قبرص : ١ — يعرب المؤتمر عن تأييده التام لكفاح شعب قبرص من أجل الحصول على الاستقلال التام .

٢ — ويستنكر بقاء الوضع الاستعمارى للجزيرة وإجراءات القمع التى تقوم بها الدولة المحتلة بغية فرض حكمها الاستعمارى .

٣ — ويوصى بتطبيق حق تقرير المصير لقبرص .

(١٠) الصومال : يؤيد المؤتمر حق الشعب الصومالى بأجزائه الخمسة فى الاستقلال والوحدة ، ويطالب بالإفراج عن المسجونين السياسيين وخاصة ضحايا ثورة سنة ١٩٥٨ ، وإلغاء الأحكام العرفية كما يستنكر المؤتمر جميع المؤامرات التى تهدد كيان الصومال .

١١ — أفريقية الاستوائية : يطالب المؤتمر بعرض قضية أفريقية الاستوائية على الأمم المتحدة ويستنكر المؤتمر مطامع فرنسا الاستعمارية فى أفريقية الاستوائية ، ويؤيد تأييداً كاملا قضيتها فى الاستقلال والوحدة الشاملة والانفصال التام عن فرنسا . كما يطالب المؤتمر بالإفراج عن المسجونين السياسيين واعتبار يوم ١٥ يوليو يوماً لشباب أفريقيا الاستوائية .

١٢ — المغرب العربى : يؤيد المؤتمر حق شعب المغرب العربى فى وحدته كخطوة فى سبيل الوحدة العربية الشاملة وفى مطالبته بإجلاء القوات الأجنبية عن أراضيه ويستنكر مؤامرات الاستعمار هناك .

١٣ — روديسيا : يطالب المؤتمر بإلغاء الاتحاد الذى فرض على روديسيا ، كما يطالب بأن يترك لشعوب هذه المنطقة تقرير مصيرها ومستقبل بلادها ، ويطالب بإيقاف الهجرة الأوروبية التى تتم على حساب السكان الأصليين .

١٤ — الجمهورية الشعبية المنغولية المستقلة : يؤيد المؤتمر حق منغوليا فى الانضمام

إلى هيئة الأمم المتحدة ويطالب الشباب الافريقى الآسيوى الدول الأفريقية والآسيوية بالوقوف إلى جانبها وتأييدها لهذا الطلب العادل .

١٥ — كوريا : يؤيد المؤتمر الأفريقى الآسيوى حق الشعب الكورى فى وحدته بالطرق السلمية على أسس ديمقراطية دون أى تدخل أجنبى ويطالب بسحب القوات الأمريكية من جنوب كوريا .

١٦ — فيتنام : إن المؤتمر يؤيد كفاح الشباب الفيتنامى ، والتبادل الحر بين الشمال والجنوب فى سبيل إعادة توحيد البلاد بالطرق السلمية على أساس معاهدة جنيف ، ويطالب بوقف التدخل الأمريكى فى جنوب فيتنام .

١٧ — البحرين : يؤيد المؤتمر كفاح الشعب العربى فى البحرين واعتبارالبحرين جزءاً من الأمة العربية ويستنكر المؤامرات الاستعمارية والرجعية الناهضة لهذه الحقيقة ويطالب بالإفراج عن المسجونين السياسيين خارج البحرين وداخلها .

١٨ — عُمَان يؤيد المؤتمر قضية إمامة عمان العادلة ويناشد الحكومات الأفريقية الآسيوية بتأييدها عند عرضها على الأمم المتحدة ، وذلك تنفيذاً للقرار الذى اتخذه رؤساء الدول العربية فى هذا الصدد ، كما يوصى المؤتمر باعتبار يوم ١٨ يوليو يوماً لعمان

١٩ — اليمن والجنوب العربى يؤيد المؤتمر نضال الشعب اليمنى ومطالبه فى الشمال والجنوب فى سبيل تحرير الجنوب ووحدته مع الشمال ، ويستنكر الحوادث الدامية التى تقع فى الجنوب ويستنكر المؤتمر أيضاً الفظائع التى يتعرض لها الشعب نتيجة لوجود القواعد البريطانية فى هذه المنطقة ويطالب المؤتمر بالجلاء عن تلك القواعد وسحب القوات الأجنبية من المنطقة .

كما يستنكرالمؤتمر :

(ا) قيام الاتحاد الفيدرالى لمحميات عدن .

(ب) المحاولة التى تهدف إلى مسخ عروبة عدن بفتح باب الهجرة لأبناء الكومنولث .

مناشدة إخواننــا من الجاليتين الهندية والصومالية مساندة إخوانهم الوطنيين فى كفاحهم لتقرير المصير .

٢٠ — الصين : يطالب المؤتمر بأن يرد إلى جمهورية الصين الشعبية حقها المشروع فى عضوية الأمم المتحدة ، ويرى المؤتمر أنه لا يمكن حل المشاكل الدولية الهامة حلا معقولا وخاصة التى تخص الشرق الأقصى إلا باشتراك جمهورية الصين الشعبية .

إن تايوان أرض صينية ، وأنه يجب أن يترك حل مشكلة تايوان للصينيين أنفسهم ، ويستنكر المؤتمر بشدة العدوان الاستعمارى للولايات المتحدة فى منطقة تايوان الصينية ، هذا العدوان الذى يهدد السلام العالمى .

٢١ — كامبوديا : يؤيد المؤتمر شعب وحكومة كمبوديا فى كفاحها لتأييد سياسة الحياد الإيجابى والتعايش السلمى ، ويستنكر بشدة الضغط الاستعمارى الأمريكى ويطالب بوضع حد لهذا التدخل .

٢٢ — جوا : يؤيد المؤتمر حق الشعب الهندى فى انضمام جوا إليه والقضاء على الاستعمار الأجنبى فى هذه المنطقة .

٢٣ — أندونيسيا : يؤيد المؤتمر تمام التأييد كفاح الشعب الأندونيسى فى استعادة ايريان الغربية فهى جزء لا يتجزأ من الجمهورية الأندونيسية ويقرر المؤتمر أن جميع المياه حول وبين جزر الأرخبيل الأندونيسى هى كلها ضمن نطاق سيادتها .

ويستنكر المؤتمر المؤامرات الاستعمارية ضد الشعب الأندونيسى .

٢٤ — أوكيناوا : يؤيد المؤتمر مطلب الشعب اليابانى باستعادة أوكيناوا فورا ، خدمة للسلام العالمى ، ويطالب هيئة الأمم المتحدة بأن توصى الولايات المتحدة باتخاذ الإجراءات اللازمة لإعادة أوكيناوا إلى اليابان .

٢٥ — يقر المؤتمر أن لواء الاسكندرية جزء لا يتجزأ من الوطن العربى ويطالب بإعادته إلى الجمهورية العربية المتحدة للوطن الأم .

٢٦ — الأردن : يستنكر مؤتمر شباب آسيا وأفريقيا المؤامرة العسكرية الأمريكية الإنجليزية التى نفذت فى ابريل سنة ١٩٥٧ ضد شعب الأردن . كما يستنكر

إجراءات القتل والتعذيب والإرهاب وإسقاط الجنسية والسجن التى تتخذها حكومة الأردن الموالية للاستعمار ضد شباب وشعب الأردن ، لذلك يؤيد المؤتمر كفاح الشعب فى الأردن ويطالب بإطلاق سراح المعتقلين السياسين العسكريين والمدنيين ، وإطلاق الحريات العامة فوراً .

٢٧ — تونس : يؤيد المؤتمر شعب تونس فى كفاحه من أجل جلاء القوات الأجنبية عن أراضيه خاصة قاعدة بنزرت ، ويطلب عدم ربطه بأحلاف عربية .

ولكى يحقق الشباب كل هذه الأهداف ، فى الحرية والاستقلال ، ولكى يحقق الشباب آمال الشعوب فيه يجب عليه أن يؤمن إيمانا راسخا بأن معركة الشعوب ضد ضد الاستعمار واحدة لا تتجزأ فهى معركة وطنية فى داخل كل بلد ، وهى معركة عالمية تحتاج إلى تأييد كل الشعوب فى جميع أنحاء العالم ، ومؤتمر الشباب الأفريقى الأسيوى يناشد الشباب الأفريقى الأسيوى أن ينظم صفوفه فى داحل بلاده ، وأن يحمل على أكتافه عبء مقاومة الاستعمار . والقضاء عليه .

كما يناشد المؤتمر الشباب الأفريقى الأسيوى ، أن يجهز نفسه ، فكرياً وعملياً ، لمعركة الاستقلال والتحرر ، مستخدما كل وسائل الكفاح السلمى والكفاح المسلح فى كل بلد وفقاً لظروفه الخاصة .

وعلى كل منظمة من منظمات الشباب الأفريقى الأسيوى أن توثق علاقاتها بمثيلاتها من المنظمات فى آسيا وأفريقيا وغيرها ، وحشد القوى وتعبئة الجهود فى سبيل الحرية والسلام ، وذلك لتدعيم التضامن بين شباب العالم للوقوف يداً واحدة ضد الاستعمار والاستغلال والسيطرة الأجنبية .

ومؤتمر الشباب الأفريقى الآسيوى الذى يمثل أكثر من نصف شباب العالم ليناشد الشباب فى جميع أرجاء أفريقية وآسيا أن يقفوا جميعاً صفاً واحداً إزاء مؤامرات الاستعمار وأن يبذلوا ما يملكون من جهود قوية متواصلة فى سبيل تحرر الشعوب الآسيوية الأفريقية وأن يضحوا بأرواحهم فى استبسال وشجاعة لتحرير كل جزء من الأراضى الأفريقية الآسيوية .

ومؤتمر الشباب الأفريقى الآسيوى ينادى باختيار يوم ٢٤ أبريل ليكون يوماً

للنضال ضد الاستعمار والعمل على تحقيق الأهداف التى أقرها ميثاق الأمم المتحدة وفى سبيل تعضيد الحركات الوطنية ودعم مبادىء التعايش السلمى .

« تدعيم السلام العالمى »

ولما كان سباق التسلح النووى وغير النووى يؤدى إلى انفاق الميزانيات الضخمة على هذا التسلح كما يؤدى إلى تكدس الأسلحة النووية وغيرها إلى إقامة قواعد ذرية فى الأراضى الأفريقية الآسيوية بصفة خاصة كما يؤدى إلى الاستمرار فى إجراء التجارب النووية مما يهدد الجنس البشرى تهديداً مباشراً ، بل يهدد السلام العالمى والإنسانية كلها إذا ما قامت حرب عالمية ثالثة .

ولما كان هذا السباق فى التسلح الذرى وغير الذرى ولما كانت التجارب النووية وغير النووية تؤثر تأثيراً خطيراً فى مستقبل الشباب وفى حياته وفى كل ما يتعلق به .

رأى مؤتمر الشباب الأفريقى الآسيوى أن يستنكر بكل شدة :

(ا) الاستمرار فى التجارب النووية وغيرها فى أى مكان فى العالم .

(ب) الاستمرار فى سباق التسلح الذرى وغير الذرى .

(جـ) انفاق ميزانيات ضخمة على التسلح فى الوقت الذى يحتاج فيه إلى أبسط مقومات الحياة .

(د) مرور الطائرات المحملة بالقنابل النووية فوق أراضى الدول الأفريقية الآسيوية مما يعرض العالم لقيام حرب عالمية ثالثة ، نتيجة لأى خطأ .

ولما كان الشباب الأفريقى الآسيوى يعبر عن إرادة شعوب هذه المنطقة الحيوية من العالم ، ولما كان الشباب الأفريقى الآسيوى كغيره من شباب العالم — فى أشد الحاجة إلى تدعيم السلام العالمى ، فقد قرر مؤتمر الشباب الأفريقى الآسيوى ما يلى :

أولا : أن يتضامن مع شباب العالم لوقف التجارب النووية فوراً ودون قيد أو شرط وإلى الأبد فى كل مكان من العالم وفق نظام الإشراف الذى أقره علماء الشرق والغرب فى جنيف فى العام الماضى . ويلفت النظر إلى محاولة فرنسا إجراء

تجارب ذرية فى الصحراء الكبرى الأفريقية .

ثانيا : أن يعمل مع شباب العالم فى سبيل تحريم واستخدام وتخزين الأسلحة النووية فوراً وبدون قيد أو شرط .

ثالثا : السعى الدائم المتواصل لاستخدام الطاقة الذرية فى خدمة السلام وإسعاد البشرية .

رابعاً : السعى للعمل على تصفية القواعد الذرية وغيرها من القواعد العسكرية التى تقيمها الدول الكبرى فى أراضى الدول الأخرى وخاصة الأفريقية منها والأسيوية

خامساً : الإصرار على المطالبة بتخفيض ميزانيات التسلح .

سادساً : الدعوة إلى توحيد بنود الميزانيات التى تصرف على التسلح إلى رفع مستوى المعيشة مادياً وأدبياً .

سابعاً : يستنكر : (ا) إنشاء قواعد ذرية فى داخل أراضى المغرب .

(ب) إنشاء مراكز أبحاث للصواريخ والقنابل الذرية فى داخل الأراضى الجزائرية .

ويطلب المؤتمر شعوب آسيا وأفريقيا تجنيد الرأى العام لاستنكار هذه الحالة التى تعتبر خطراً على السلام العالمى وذلك باستخدام جميع وسائل الدعاية والنشر .

ولما كانت معركة تدعيم السلام العالمى والعمل على تحريم استخدام وإجراء التجارب النووية وغيرها ولما كان العمل على إيقاف سباق التسلح النووى وغير النووى لا يخص شباب أفريقية وآسيا وحدهم ، ولا يخص شعوب أفريقيا وأسيا وحدها وإنما يخص العالم كله وشعوب العالم بأكلها مهما اختلفت نظمها الاجتماعية والإقتصادية والسياسية ومهما اختلفت معتقداتها الدينية والفكرية ، رأى مؤتمر الشباب الأفريقى الأسيوى ما يلى :

أولا : أن يتضامن شباب العالم كله وفى مقدمتهم الشباب الأفريقى الأسيوى للضغط القوى المستمر على الدول الكبرى للوصول إلى تحقيق المطالب السابقة مستخدما فى سبيل ذلك جميع الوسائل المتخلفة وأن يتضامن مع شباب العالم .

ثانياً : أن يضغط الشباب الأفريقى الأسيوى على حكوماتة حتى تتبنى هذه المبادىء وتعمل لتحقيقها داخل هيئة الأمم المتحدة ، وخارجها .

ثالثاً : استخدام كل وسائل الدعاية والنشر من صحافة وإذاعة وسينما ومسرح وفنون لتوضيح خطورة التسلح الذرى وانفاق الأموال الطائلة على هذا التسلح . والعمل على تدعيم السلام العالمى .

رابعاً : تخصيص يوم ٣١ مارس كيوم عالمى يتضامن فيه شباب العالم للعمل ضد التجارب النووية وتحريم استخدامها .

خامساً : دعوة مندوبى الإتحاد السوفيتى وأمريكا وانجلترا المجتمعين بجنيف لاتخاذ مشروع قرار بتحريم إجراء التجارب النووية وكذا استخدام وتخزين الأسلحة النووية .

التفرقة العنصرية

وبالرغم من امتداد الحركات التحررية فى آسيا وأفريقية بالرغم من تحرر كثير من شعوب آسيا وأفريقية ، فإن جزءاً كبيراً من الشباب الأفريقى الإسيوى يعانى الكثير بسبب انتهاج بعض الدول سياسة التفرقة العنصرية التى تحرم الشباب أبسط حقوقهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية وتحول دون رغبتهم وتمتعهم بالحياة الحرة الكريمة ومؤتمر الشباب الأفريقى الأسيوى الذى قاسى بعض أعضائه من أضرار سياسة التفرقة العنصرية ، فقد قرر ما يلى :

أولا : استنكار سياسة التفرقة للعنصرية فى جميع صوره ودعوة شباب العالم إلى استنكار هذه السياسة .

ثانيا : التنديد بالموقف المخزى الذى تقفه حكومة جنوب أفريقية والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الحكومات التى ترتكب جريمة التفرقة العنصرية .

ثالثاً : يدعوالمؤتمر شباب العالم إلى مطالبة هيئة الأمم المتحدة بفصل الحكومات أعضاءهيئة الأممالمتحدة ، التىلم تنفذ القرارات الخاصة بالقضاء علىالتفرقة العنصرية .

رابعاً : الاحتفال بيوم يحدد موعده فيما بعد — ليكون يوماً للعمل على القضاء على التفرقة العنصرية بكافة الوسائل المشروعة ويدعو المؤتمر شباب العالم إلى الاشتراك فى هذا اليوم .

خامساً : يوصى المؤتمر بتشكيل لجنة خاصة فى السكرتارية الدائمة لمؤتمر تضامن الشعوب الأفريقية الإسيوية مهمتها العمل على القضاء على التفرقة العنصرية .

سادسا : يوجه المؤتمر نداء عاما لشعوب آسيا وأفريقية وشباب العالم لتأييد الوطنين ضحايا التفرقة العصرية فى كفاحهم ونضالهم .

سابعاً : يوصى المؤتمر شباب آسيا وأفريقية بمقاومة الحكومات والمنظمات والهيئات التى تقر التفرقة المنصرية .

ثامناً : يطالب المؤتمر بالافراج عن الوطنين الذين اعتقلو أو سجنو بسبب تطبيق القوانين المنصرية .

تاسعاً : يطالب المؤتمر شباب أفريقيا وآسيا بضرورة العمل على الغاء القوانين والنظم التى تجعل التمييز المنصرى سياسة مشروعة وينادى بضرورة منح جميع الأفراد الذين يبلون سنا معينة حق الترشيح التصويت والتوظف دون تمييز للون أو المنصر أو العقيدة كما يطالب المؤتمر شباب أفريقية وآسيا بالغاء جميع التشريعات التى تمكن الاجانب من نزع ملكية الأوض من الشعوب ومنح جميع الأفراد والجماعات الحق فى استغلال موارد ثرواتهم وذلك فى نطاق أقتصاد مرسوم يرتضيه جميع المواطنين .

عاشراً : يفع المؤتمر مهمة القضاء على التفرقة المنصرية على أكتاف الشباب الإفريقى الأسيوى ويطالب المؤتمر هؤلاء الشباب بالعمل المتواصل داخل منظماتها وهيئاتهم وفى كل مجال من مجالات نشاطهم ودعوتهم إلى أن يضموا محاربة التفرقة المنصرية كمنصر هام من عناصر كفاحهم ونضالهم . ودعوتهم أيضاً إلى تجنيد أنفسهم واستخدام الصحافة والأذاعة والفنون للعمل على القضاء على التفرقة المنصرية .

ولكى يستطيع الشباب القيام بدوره كاملا فى القضاء على الاستعمار وتدعيم السلام العالمى وفى تحريم الأسلحة النووية ونزع السلاح ، والقضاء على التفرقة العنصرية يجب أن يتمتع هذا الشباب بكل الحقوق والحريات التى أقرها الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر فى سنة ١٩٤٨ ويجب ألا يحول حائل دون تمتعه بهذه الحقوق وهذه الحريات .

إن مؤتمر الشباب الأفريقى الأسيوى يدعو الشباب الأفريقى الآسيوى إلى الإيمان بهذه المبادىء وإلى الدفاع عنها ، وإلى دعوة شباب العالم إلى الإيمان بها والدفاع عنها ، فكلما كثر عدد المؤمنين بهذه الحقوق وكلما كثر عدد المدافعين عنها كلما استقرت هذه المبادىء ونمت وازدهرت ، وحققت للشعوب كلها التقدم والرفاهية .

ومؤتمر الشباب الإسيوى الأفريقى يطالب بتطبيق حقوق الإنسان وعدم الخروج عليها فى أية حالة من الحالات ويطالب فى الوقت نفسه بوقف حرب الإبادة التى تشنها الدول الاستعمارية فى بعض بلدان أفريقية وآسيا ويستنكر فى الوقت نفسه تشريد الشباب الذى يكافح من أجل تحرير بلاده واستقلال شعبه ، وإسقاط الجنسية عنهم .

ويناشد المؤتمر الدول التى لم توقع على الإعلان العام لحقوق الإنسان أن تبادر بالتوقيع عليه .

وكذلك يناشد المؤتمر دور النشر والإعلان شطب كلمة إسرائيل واستبدالها بعبارة « فلسطين المغتصبة » .

* * *

ومنذ أن التقينا فى باندونج ، وخلال السنوات الخمس الماضية ، حدثت تطورات خطيرة فى تاريخنا ... فى أسيا وأفريقيا ... فى تاريخ العالم كله . . . وكان التضامن الأفريقى الأسيوى كما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى برلمان الهند فى ٣١ مارس سنة ١٩٦٠ يومها يحاول أن يثبت وجوده . والآن فإن التضامن الأفريقى الأسيوى أكد اليوم حقيقته . . ويومها أيضاً كانت هناك شعوب كثيرة فى أفريقيا تتطلع إلى الحرية وتكافح من أجلها . . والآن فإن أعلام الحرية ترتفع على أفريقيا وشعوب هذه القارة المناضلة تحصل على استقلالها الوطنى واحداً بعد الآخر ويومها أيضاً كان الحديث

عن وقف التجارب الذرية وتحريم استعمال الأسلحة النووية يبـدو من الأحلام البعيدة المنال .. والآن فإن وقف التجارب الذرية أصبح أكثر من حلم بعيد المنال .. أصبح إرادة شعوب العالم أجمع وليس أدل على ذلك من رد الفعل المنيف الذى تجاوبت أصداؤه فى أرجاء الأرض كصدى للتفجيرات الذرية التى حدثت أخيراً فى الصحراء الأفريقية الـكبرى . كذلك فإن المؤتمرات الدولية تكرس جهودها الآن لتحريم استعمال الأسلحة النووية والرجاء يحف بهـذه المؤتمرات أن تصل إلى نتيجة إيجابية ترد الطمأنينة إلى عالم تفزعه الاحتمالات الرهيبة التى تهدده إذا ما أصبح الحـكم فيه للرؤوس الذرية المثبتة على الصواريخ العابرة للقارات بدلا من أن يصبح الحـكم فيه للسلام القائم على العدل .

ويوما كذلك كانت الحرب الباردة على أشدها وكانت محاولات فرض الأحلاف العسكرية على الشعوب الراغبة فى السلام تجرى على قدم وساق .. والآن فإن الحرب الباردة بدأت ثلوجها تذوب وأنظار الشعوب تتطلع اليوم بأمل إلى مؤتمرات القمة راجية أن تـكون نتائجها متمشية مع رغباتها وأن يستطيع الزعماء من جميع الدول أن يسمعوا نداءات شعوبهم الملحة من أجل السلام الحقيقى .

كذلك فإن سياسة الأحلاف العسكرية أثبتت عـدم جدواها وبدأت الدول الـكبرى تـكتشف أنها بالصداقة والتعاون الإيجابى المتكافىء تستطيع أن تصنع لنفسها لدى الشعوب المستقلة قواعد أبقى وأقوى من قواعد العدوان .

ويوما كان الحديث عن مشاريع التنمية الاقتصادية يواجه الـكثير من العقبات والصعوبات والآن فإن آسيا وأفريقيا لم تعودا مجرد مستودعات للمواد الخام وإنما تتجه الهمم فيهما وتـكرس الجهود الدائبة لمشروعات عظيمة كبيرة .

ورغم مالا يزال قائما من عقبات التموين وصعوبات الحصول على الخبرة بسبب الرغبة فى الاحتكار والسيطرة فإن آسيا وأفريقيا تتجهان بكل ما تستجمعه قواها إلى إقامة المصانع والمعامل وإلى بنـاء الخزانات والسدود وإلى زرع الأرض الجدباء بالخبرة . .

وما من جدال ـ أيها الأصدقاء ـ إن طريقنا خلال هـذه السنوات الخمس المجيدة لم يكن سهلا ولا هينا ، وإنما كانت المشاق عليه مضنية وكانت المقاومة فى طريقه عنيفة عنيدة وصل الأمر فيها ـ كما تعلمون ـ فيما يتعلق بشعبنا إلى حد العدوان المسلح والحرب الشاملة بجميع ألوانها العسكرية والاقتصادية والنفسية .. ذلك أن إصرارنا على عدم الانحياز وعلى رفض الاشتراك فى الأحلاف العسكرية فى منطقتنا ومقاومة هذه الأحلاف باعتبارها خطراً على منطقتنا وعلى بلادنا قد أغضب منا الدول الداعية للأحلاف كما أغضب منا الدول التى تدور فى فلكها وتماشى سياستها فى منطقتنا .

كذلك فإن مساندتنا للأمانى القومية لشعوب أفريقيا ولشعوب الخليج العربى وشعوب المغرب العربى أثارت ثائرة دول الاستعمار . . كذلك فإن تمسكنا بحقوق عرب شعب فلسطين الذى شرد من دياره وحرم وطنه وممتلكاته ومن مستقبله على الرغم من روح ميثاق الأمم المتحدة بل والقرارات الصريحة الصادرة عن هذه الهيئة حرك ضدنا قوى كثيرة ثم تجمدت هذه القوى ضدنا فى سياسة عدائية بلغت ذروتها فى العدوان الثلاثى على مصر .

ولقـد كان إيماننا وسط العدوان وبينما القنابل تهوى على مدننا وبينما أطفالنا يموتون تحت الأنقاض وبينما رجالنا ونساؤنا يوجهون المعركة فى ميدان القتال .. وبينما الأساطيل والجيوش تحاول غزو شواطئنا . . اننا لا نحارب من أجل حدود وطننا وحسب وإنما نحارب لمبادئ ومعانى أوسع من هذه الحدود .

كان إيماننا أننا نحارب من أجـل حق تقرير المصير ومن أجل شعوب آسيا وأفريقيا فى صنع مستقبل أكثر رخاء وعدلا . . كان إيماننا أننا نحارب من أجل حق كل شعب فى مصادر القوة الطبيعية فيـه ومن أجل حق كل شعب فى إضافة موارد للقوة جديدة إلى ما فيه من الموارد الطبيعية . .

كان ذلك هو إيماننا فى الحرب التى تتردد خلال ضجيجها كلمتان . . قنـاة السويس . . وسد أسوان العالى . وهنا ـ أيها الأصدقاء ـ ينبغى أن نقول لـكم أن آسيا وأفريقيا لم تقصرا فى إشعارنا طوال المعركة بأن إيمانهما يتفق مع إيماننا فى طبيعة المعركة ولقد كانت الهند العظيمة ترجمان آسيا وأفريقيا فى التعبير عن هذا الإيمـان ..

لقد قامت الهند شعباً وحكومة طوال هذه المعركة بدور من أعظم الأدوار التى أدت إلى هزيمة العدوان . . وكانت التأييد المادى والمعنوى عوناً أعظم العون على شد أزر شعبنا وهو يجتاز أصعب تجاربه . وإنى لواثق أننى أعبر تعبيراً أميناً عن شعب الجمهورية العربية المتحدة من أقصى شماله فى القامشلى إلى أقصى جنوبه فى أسوان ، حين أقدم لكم الآن بوصفكم ممثلين لشعب الهند العظيم عميق امتناننا وصادق عرفاننا لتأييدكم الفعال خلال معركتنا الحاسمة .

بقى أن أذكر لكم ـ أيها السادة ـ شيئاً هاماً تحقق فى عداد التطورات الكبرى التى وقعت فى السنوات الخمس منذ التقيت بكم هنا . . ذلك هو قيام الجمهورية العربية المتحدة التى جمعت بين شعب مصر وشعب سوريا فى وحدة تعبر عن آمال الشعوب العربية . . وإنكم لتعلمون ـ أيها الأصدقاء ـ أن فكرة القومية العربية كانت أعظم القوى المحركة للأحداث فى بلادنا وهى فى ذلك تستند على دعامتين ، وحدة الضمير المتمثلة فى وحدة التاريخ ، ووحدة الفكر المتمثلة فى وحدة اللغة ، ولا أدل على ذلك من أن جميع الدساتير الحديثة فى كل الدول العربية تتضمن فى المادة الأولى من موادها على أننا جميعاً أجزاء من الأمة العربية .

ولقد أثبتت فكرة القومية العربية نفسها حين كانت الدافع على قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وكان طريقها إلى ذلك لا يقل جلالا عن هدفها . . وإننا نؤمن مع أستاذكم العظيم المهاتما غاندى روح الهند الخالدة أن الوسائل إلى الغايات جزء منها ، وأن الطريق إلى الأهداف الشريفة يجب أن يكون مشرقاً كله . . هكذا فإن الطريق إلى الوحدة العربية كما ينبغى أن يكون دائماً هو إرادة الشعوب . . إرادتها الإجماعية الحرة .

وليس معنى ماتحقق من الأمانى خلال الأعوام الماضية أن طريق كفاحنا المشترك قد وصل إلى غايته ، وإنما الذى تحقق فعلا هو فى الواقع حوافز أمل إلى ما سينبغى أن يتحقق ، فإن شعوبنا تحمل مسئولية كبرى ولا زال أمامها الكثير مما ينبغى أن تساهم إيجابياً بتحقيقه . . لا زال أمام شعوبنا الكثير مما يجب أن تفعله لتحقق لنفسها القوى الذاتية .

كذلك لا زالت أمام شعوبنا التزامات ضخمه حيال شعوب صديقة وشقيقة ما زالت تحارب معارك حريتها وتجاهد لاسترداد حقوقها . . وأنه لواجبنا نحن الذين سرنا على نفس الطريق وقاسينا مصاعبه ، أن نقف سنداً وعوناً لهؤلاء الذين ما زالوا يجدون للسير فيه ، وكذلك لا زالت أمام شعوبنا مسئوليات ضخمة تجاه قضية السلام . . مسئوليات لم تنقص بما طرأ من خفة حدة التوتر الدولى بل زادت ، فإن آفاق الأمل أوسع نطاقاً من سدود اليأس .

وإن على شعوبنا التى لا مطمع لها فى تحكم أو سيطرة أن تكون دائماً ضمير الإنسانية الحر وحارسة السلام الحقيقى . . وإذا كانت شعوبنا التى تمسكت بعدم الانحياز فى المجال الدولى وصممت عليه باعتباره طريقاً إلى السلام قد ساهمت بذلك فى منع قيام الحرب الذى كان يبدو فى كثير من الأزمات وكان العالم على شفا هاويتها فإن شعوبنا اليوم بعد أن تحقق بعض أملها مطالبة بتكريس جهود أكبر لتكون صورة السلام الجديدة ، صورة أصلية لا زيف فيها ولا تزوير .

وإن شعوبنا لترحب بكل هذه الاجتماعات المتكررة بين قادة العالم ، وإن شعوبنا لتبارك لهم كل جهد يبذلونه ، على أنه ينبغى أن نذكر دائماً أنه ليس يكفى لتوفر السلام وصيانته أن تتكرر الاجتماعات ، وإنما يكون توفير السلام وصيانته عن طريق مواجهة المشاكل من أصولها . . وليس يكفى أن ترفع شعارات نزع السلاح ، وإنما علينا إذا أردنا أن يكون لنزع السلاح قيمة أن نواجه بالعلاج الأسباب والعوامل التى تصل بالشعوب إلى حد يفرض عليها فرضاً فى بعض الأحيان أن تحمل السلاح . . وليس أقرب مثلا إلى ذلك من حالتين فى منطقتنا . . منطقة الشرق العربى . . أولاهما حالة شعب فلسطين الذى شرد من دياره واغتصبت أراضيه وأملاكه وبيوته ، وأهدر مستقبل أبنائه فى حق الحياة الأساسى .

وثانيهما : حالة شعب الجزائر الذى يحمل السلاح اليوم مرغماً ليدافع عن استقلال بلاده ، بل عن حقه فى الوجود على أرض بلاده . . على أنه ينبغى لنا أن نقول على الفور أن القوى المعنوية فى العالم أثبتت قدرتها كعامل فعال أقوى من السلاح وأقدر على صيانة مقدسات الشعوب ، تلك شهادة حق نتقدم بها نحن الذين واجهنا عدواناً

تحالفت فيه قوى أكبر من طاقتنا ، ثم وجدنا من قوى الخير فى العالم ما أعاننا على أن نصمد للعدوان ، وأن ننتصر عليه ، وأن نعيش بعده أصلب عوداً أو أشد جانباً مما كنا قبله .

وإننا لنشعر أن قوى الخير فى العالم سوف تكون أقدر مع كل يوم جديد على مباشرة دورها فى تبديد بقايا الظلام الذى يتلكأ ولا يريد أن ينقشع فى بعض آفاق هذا الكوكب الذى نعيش فيه .

وليس أدل على ذلك ـ أيها الأصدقاء ـ مما جرى أخيراً فى جنوب أفريقيا ، حيث ما زالت سياسة التفرقة العنصرية تجد الجرأة على إهدار الدماء بعد إهدار الحرية ، ولقد أثبتت هذه السياسة الجاهلة أنها لا تعى قيمة للكرامة الإنسانية ، بل أثبتت أيضاً أنها لا تدرك قيمة لطبيعة العصر الذى نعيش فيه .

كذلك فإنه لا زالت أمام شعوبنا جهود عنيفة لتعويض التخلف الطويل الذى أرغمت عليه حتى تستطيع أن تلحق بالمستقبل العظيم الذى ينتظر البشر بفضل اكتشافات العلم والآفاق الرحيبة التى فتحتها المعرفة . . ويرتبط بذلك أن تستعد شعوبنا لما قد تلاقيه من الرغبة فى احتكار العلم كوسيلة للسيطرة وليس من قبيل المبالغة أن يقال : إن احتكار العلم سوف يكون أسلوب الاستعمار الجديد .

كذلك فإنه لا زالت أمام شعوبنا ما يقتضى منها الكثير من الجهد المنظم المدروس ، حتى تستطيع مواجهة التكتل الاقتصادى والنزعة إلى الاحتكارات والمناورات الواضحة المستمرة لخفض أسعار المواد الخام بينما المحاولات مستمرة بنفس النسبة عكساً لرفع أسعار المنتجات الصناعية .

على أننا نأمل أن يسود الاقتناع بأن الاستقرار فى مجتمع الدول لا يمكن أن يتحقق تماماً كالاستقرار فى مجتمع الأفراد بوجود فوارق هائلة بين أطراف هذا المجتمع .

وليس حسداً ولا حقداً أن يجاهد الذين لم تواتهم فرصة الرخاء لتوفيره أنهم فى مجاهدتهم لظروفهم لا يريدون أن يسلبوا غيرهم ما بيده ، وإنما حقهم أن لا يصدمهم الذين سبقوهم أو يمنعوا تقدمهم على الطريق ، بل حقهم أن يتوقعوا من هؤلاء عوناً وتجربة تيسر لهم الخطى وتأخذ بيدهم تعاوناً وصداقة وفهماً .

وفى خطاب آخر ألقاه الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر شعبي بالهند أقيم فى ٣١/٤/١٩٦٠ ، تحدث الرئيس بصراحة عما تعرضنا له خلال السنوات الخمس التى أعقبت باندونج فقال :

حين عدت إلى بلادى بعد زيارتكم هنا وبعد باندونج كانت السحب تتجمع ، وكان ظاهر أننا مقبلون على أحداث عنيفة ، ولما حاولنا شراء بعض السلاح لنستمد به لمواجهة الغارات التى كانت توجه إلى حدودنا وجدنا من حولنا سداً من احتكار السلاح يحول بيننا وبين ما نريد كأنه كان يراد للذين يتربصون بنا أن يعتدوا علينا أن لا تكون فى أيدينا القوة الرابحة ، ولما كسرنا احتكار السلاح بدأت الحرب الاقتصادية والحرب النفسية توجه إلينا على أوسع جبهة ممكنة . . كانت المحاولات مستمرة من ناحية لخفض أسعار القطن وهو المحصول الرئيسى فى ذلك الوقت فى بلادنا ، وكانت المحاولات مستمرة من ناحية أخرى لضرب وحدة شعبنا فى الداخل ، ويكفى أن أقول لكم أنه فى وقت واحد من الأوقات كانت هناك تسع محطات سرية توجه إذاعاتها طوال أربع وعشرين ساعة فى اليوم لتشكيك شعبنا فى نفسه ، فى سيادته .. غير المحاولة المستمرة من حولنا لعزلنا عن بقية شعوب الأمة العربية .

ولقد كنت بعد ذلك فى مؤتمر بريونى فى يوغوسلافيا وحضره معى الماريشال « جوزيف بروز » تيتو رئيس الجمهورية اليوغوسلافية ، وأيضاً البانديت شرى جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند ، كنت عائداً بعد هذا المؤتمر إلى القاهرة ، وكان رئيسكم العظيم معنا وحل ضيفاً على بلادنا لمدة يومين ، حين وجدنا بعد وصولنا إلى القاهرة أن الحرب الموجهة إلينا اقتصادياً ونفسياً قد وصلت إلى ذروة خطيرة حين أعلن سحب عرض المساهمة فى تمويل السد العالى أكبر مشروعاتنا على النيل وأحد وسائلنا لانتزاع الرزق من الصحراء لزيادة الثروة الوطنية ورفع مستوى المعيشة ، وكان سحب هذا العرض بعد الاتفاق عليه ، ثم كانت الطريقة المهينة التى تم بها هذا السحب لدرجة أننى قرأتها فى برقيات وكالات الأنباء قبل أن تصلنى بطريق رسمى مما لا يدع مجالا للشك فى القصد من العملية كلها .

وحين أممنا قناة السويس وأعدناها جزءاً من مصر بعد أن كانت مصر جزءاً

منها ، وأعددناها لتكون فى خدمة الشعب الذى حفرها بعد أن كان الشعب الذى حفرها هو الجند فى خدمتها ، وصححنا وضعها لتكون نعمة لأصحابها بدل أن تكون نقمة عليهم . . حين فعلت ذلك انتقلت المعركة ضدنا من ميدان الحرب الباردة إلى ميدان الحرب الساخنة ، ثم جمدت أموالنا فى بنوك أوروبا وأمريكا ، ثم ظهرت الاحتشادات العسكرية من حولنا ثم كان واضحاً أن معركة مسلحة ستفرض علينا ، ورغم محاولاتنا لتجنب سفك الدماء ورغم محاولاتكم النبيلة معنا لصيانة السلام فى منطقتنا وفى العالم ، ورغم جهود الأمم المتحدة وتوصلها إلى كل حل يحمينا عن طريق المفاوضات مع الذين يواجهونا بالعداء ، فإننا وجدنا أنفسنا نواجه الحرب فعلا فواجهنا فى نفس اليوم الذى تحدد خلال اتصالاتنا فى الأمم المتحدة لتبدأ فيه المفاوضات مع الجانب الآخر فى الخلاف معنا .

كان ذلك اليوم هو ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ وبدلا من أن يلتقوا بنا فى جنيف كما كان متفقا عليه من أجل التفاوض فوجئنا بهم يعبرون حدودنا ثم يحاولون غزو شواطئنا ثم يضربون بالقنابل بيوتنا وقرانا وخطوط مواصلاتنا ولم يكن ذلك من أجل التفاوض بل كان من أجل القتل والإبادة ولم يستطيعوا قتلنا أو إبادتنا بل إنهم على العكس منحونا الفرصة لكى نعيش أعظم أيام حياتنا .

فى ذلك الوقت تحول شعبنا كله إلى جيش يحمل السلاح دفاعا عن أرض الوطن ويكفى أن أقول لكم أننا فى منطقة قناة السويس وزعنا ٤٠٠ ألف قطعة من السلاح على أفراد المقاومة الشعبية بينها أكثر من عشرة آلاف قطعة داخل مدينة بور سعيد نفسها .

وكانت قوة الغزو قد استجمعت طاقتها بعد ضرب المركز بمدافع الأسطول وبعد غارات من الطيران بلغ عددها فى يوم واحد من الأيام السبعة التى جرى فيها الضرب قبل انزال القوات إلى البحر ٤٨٦ غارة جوية ثم استطاعت قوى الغزو بعد ذلك كله أن تقذف بفرقة عسكرية كاملة إلى الشاطىء فى بورسعيد .

وفى ذلك الوقت كنت حريصاً على أن أحيط الشعب علماً بالتطورات دقيقة بعد دقيقة وكنت أتوجه للصلاة فى جامع الأزهر الشهير وكان طريقى فى الذهاب والإياب

غاصا بالجماهير التى تطلب السلاح والإصرار على المقاومة حتى النصر ولقد كان شعبنا فى أشد اللحظات حرجا وأكثرها خطراً يشعر أنه يحارب معركة أوسع من حدود بلاده . كان يحارب من أجل استقلال الوطن ، وكان يحارب من أجل وحدة الأمة العربية ، وكان يحارب من أجل دول آسيا وأفريقيا كلها فى تقرير مصيرها وكان يحارب من أجل السلام وضد إقامة الأحلاف العسكرية وبناء القواعد الذرية .

ولقد كنتم معنا فى ذلك الوقت كله وإنى لأذكر أننى فى خلال المعركة كلفت سفيرنا فى دلهى أن يتصل بالبانديت نهرو .. ولقد كان رائعا أن يكون رأينا واحداً ولقد تلقيت من نهرو رسالة يقول لى فيها أنه لاينبغى أن تدع العدوان ضد مصر ينجح فلو نجح الاستعمار فى أن يعود إلى مصر فلن يتوقف عندها وإنما سيمضى فى محاولته ليعيد عقارب الساعة إلى الوراء ويتصور أنه فى استطاعته أن يعود إلى كل بلد فى آسيا وأفريقيا أرغم على الخروج منها ...

ولقد استطاع صمود شعبنا واستطاع تجمع الأمة العربية واستطاع تأييدكم العظيم وتأييد آسيا وأفريقيا كلها .. استطاع ذلك كله أن يثبت للعدوان ويقاتله حتى تحرك التأييد العالمى كله وهرع جميع أصدقاء الحق فى كل مكان إلى نصرة الحق وانهزم العدوان ولكن هل انتهت المعركة ... إنها لم تنته لقد جرت بعد ذلك محاولة تحقيق أهداف العدوان بوسائل سلبية إن الذين حاولوا قتلنا بالسلاح وفشلوا حاولوا أن ينجحوا فى قتلنا بالجوع والمرض .. والجوع والمرض فعلا ..

فلقد أقاموا العراقيل حتى لا نستطيع شراء القمح الذى نصنع منه خبزنا ووصل بهم الأمر إلى حد أنهم رفضوا أن نشترى الدواء الطبى الذى كنا نحتاجه لعلاج جرحانا ومرضانا وفى نفس الوقت اشتدت من حولنا خطة عزلنا عن غيرنا من الشعوب العربية بل وصل الأمر فى ذلك إلى حد محاولة تغرير أمنية الوحدة العربية وهى الأمل القديم لشعوبنا بأنها نزعة استعمارية جديدة نريد بها أن نفرض سيطرتنا على من حولنا ولكن الشعوب المؤمنة تستفيد من التجارب مهما كانت قاسية وهكذا فإن الشعب السورى طليعة الأمة العربية تولى زمام المبادأة وفرض تحقيق الوحدة عملا وقامت الجمهورية العربية المتحدة لتجمع بين شعبى مصر وسوريا فى أول

وحدة لم يفرضها القادة على الشعوب بل فرضتها الشعوب على القادة .

وكان ذلك بداية طريق طويل من العمل الإيجابى .. ذلك أن الوحدة لم تكد تتحقق حتى بدا التضامن حيا قويا فى كل البلاد العربية التى تحركها فكرة القومية العربية وتحفزها إلى النضال كذلك بدأت الوحدة تقيم لنفسها مثلها العليا وتصنع لها المجتمع الجديد الذى تتطلع إليه الشعوب العربية كذلك فى يوليو القادم سيكون الكيان الديموقراطى الشعبى الذى يحقق حكم الشعب على أوسع القواعد وأعمقها قد قام وليد إرادة شعبية مصممة على البناء .

لقد أحسست أن من واجبى أن أنقل إليكم هذه الصورة الكاملة من كفاح شعوب صديقة لكم أحسست فى أصعب الظروف أنكم تقفون معها وتساندون قضاياها .. أحسست أن ذلك واجبى تجاهكم أنتم الذين قدمتم لنا من اهتمامكم ومن تأييدكم ومن مساعداتكم الإيجابية ما أتاح لكفاحنا أن يصل إلى غاياته التى نشعر فى نفس الوقت أنها نفس غايات كفاحكم .

إن معركة شعوب آسيا وأفريقيا من أجل حريتها معركة واحدة ومعركة شعوب آسيا وأفريقيا من أجل تطوير نفسها معركة واحدة ومعركة شعوب آسيا وأفريقيا من أجل تدعيم السلام . معركة واحدة ولقد وصف البانديت نهرو معاركنا كلها فى عباراته المشهورة حين قال أن الأخطار التى تواجه العالم هى التبعية السياسية والتفرقة العنصرية والفقر الشديد وتلك فعلا معركتنا وليس يخالجنى شك أيها الأصدقاء أن شعوبنا سوف تنتصر فى هذه المعركة وأن كفاحنا المشترك سوف يتحقق له أن يتطلع إلى عالم تسود فيه الحرية وتسود فيه المساواة بين الأجناس والألوان ويعم فيه رخاء لا يتجزأ ولا تعوقه الحدود » .

وبعد .. هل أنا بحاجة إلى وضع نهاية لهذا الكتاب ؟

لا .. إن النهاية ستضعها شعوبنا الأفريقية الأسيوية ستكتب الحرية والوحدة والسلام ..

فى هذا الكتاب

الموضوع		ص
التضامن الإفريقى الأسيوى	(للرئيس جمال عبد الناصر)	٧
إلى إخوتى فى إفريقيا وآسيا		١١
هذه إفريقيا		١٧
إفريقيا بين مخالب الذئاب الأوربية		٣٧
واتخذ الرق أشكالا جديدة		٤١
واستيقظ المارد الأسود		٦٥
دولة تحمى ولا تهدد		٨١
كل شىء يتوقف على الجزائر		١٢٣
أشبه ما يكون بالهلال		١٤٩
من جيبوتى إلى موزمبيق		١٥٣
غرب إفريقيا يتحرر		١٧٩
فى جنوب إفريقيا		١٩١
مؤامرات جديدة على إفريقيا		٢٠٧
السرطان ينتقل إلى غرب إفريقيا		٢٢٣
من باندونج إلى كونا كرى		٢٤٣

القـــاهرة
مطابع دار الكتاب العربى بمصر
محمد حلمى المنياوى





يطلب من
الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع
والمكتب التجاري ببيروت ، ومكتبة المثنى ببغداد